الدكتور عبد العال سالم مكرم

القراءات القرآنية

وأثرها في الدراسات النحوية

عالم الكتب

القراءات القرآنية

وأثرها في الدراسات النحوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مكرم ، عبد العال سالم .
القراءات القرآنية وأثرها فى الدراسات النحوية / عبد العال سالم
مكرم .- القاهرة : عالم الكتب ، 2009
326 ص ، 24 سم
تدمك : 0-659-232-977
1- القرآن ، القراءات
أ - العنوان 228

عالم الكتب

نشر - توزيع - طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى لعالم الكتب
1430 هـ - 2009 م

❖ رقم الإيداع 17785 / 2008

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977- 232- 659-0

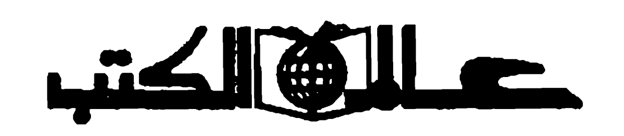
❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

مطبعة أبناء وهبة حسان
٢٤١ (أ) ش الجيش - ميدان الجيش
ت : ٢٥٩٢٥٥٤٠



الأستاذ الدكتور
عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي - جامعة الكويت السابق





﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا﴾.

صدق الله العظيم

* * *

«أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسّر منه».

(حديث شريف)

تقـــديم

بيّنت في كتابي «القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية» ـ الذي طبعته دار المعارف طبعة أولى[1] ـ أنّ القرآن الكريم أثر في الدراسات النحوية تأثيراً كبيراً ووضحت هذا التأثير في أبواب وفصول.

والقرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ـ كما في الحديث الشريف ـ والأحرف المراد بها القراءات المتعدّدة التي تتسع لبعض ظواهر اللهجات العربية السائدة ليكون التحدّي للعرب جميعاً أتمّ والإعجاز أشمل، هذا من ناحية، ولينتفع العرب جميعاً بهذه القراءات، لأنها ليست غريبة على مسامعهم أو بعيدة عن نفوسهم من ناحية أُخرى.

وهذه القراءات أثيرت في مجالها مشكلات عدّة، وقضايا مختلفة، يتضح ذلك في هذه التساؤلات:

ـ كيف نشأت القراءات؟.

ـ ما صلتها باللهجات العربية السائدة؟.

ـ ما علاقتها برسم المصحف؟.

ـ كيف تكون القراءات مقبولة، وكيف تكون شاذة؟.

ـ ما موقف علماء اللغة والنحو من هذه القراءات؟.

كل هذه التساؤلات عُرِضتْ في هذا الكتاب، ونوقشت مناقشة علميّة لبيان وجه الحق فيها.

وهذا الكتاب يعتبر تكملة لأخيه السابق «القرآن الكريم وأثره في

---

(١) طبع طبعة ثانية بمؤسسة الصباح للنشر والتوزيع ١٩٧٨م وطبعة ثالثة بالمكتبة الأزهرية للتراث بمصر ١٩٩٥م.

الدراسات النحوية» وقد تفضل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر بطبع هذا الكتاب على نفقته في سلسلة «دراسات في الإسلام» العدد ٩٩ ـ السنة التاسعة في أغسطس ١٩٦٩ م.

وتفضلت بطبعه طبعة ثانية مؤسسة الصباح للنشر بالكويت ١٩٧٨ م.

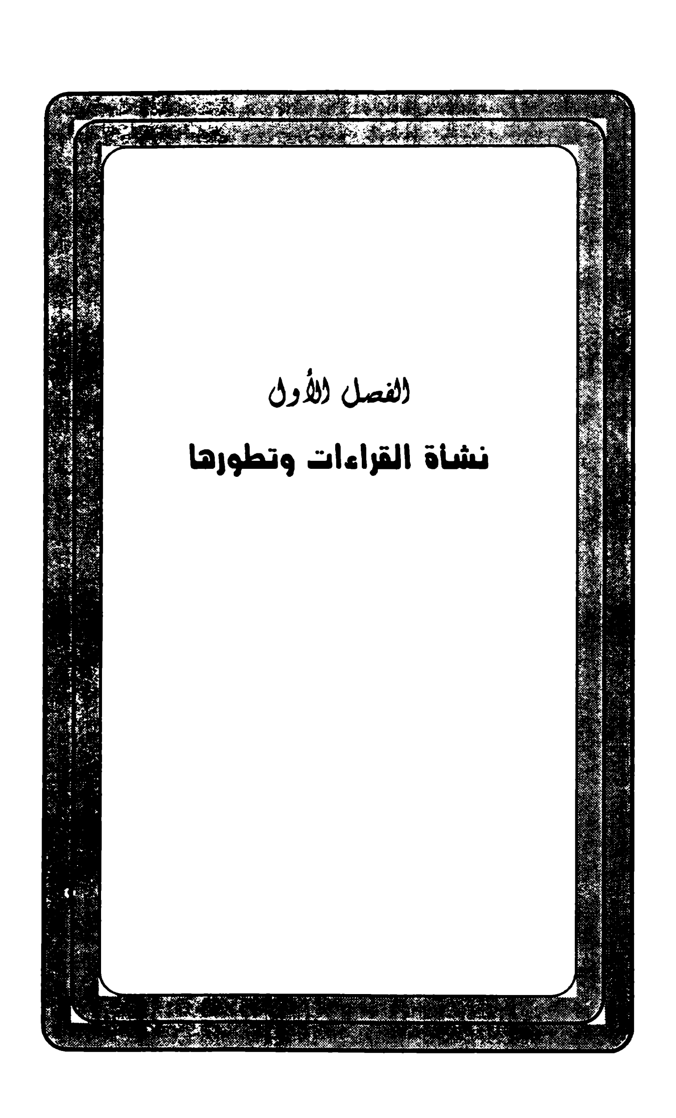
والكتاب مرجع لا يستغنى عنه في مجال القراءات والنحو، وقد أفاد منه كثير من الزملاء، واعتمدوه مرجعاً من مراجع بحوثهم ودراساتهم.

لهذا رأيت أن أُقدّمه من جديد في طبعة جديدة ثالثة بعد أن نفدت طبعته الأولى والثانية من المكتبات، ليواصل مسيرته في رحلته إلى العالم العربيّ والإسلاميّ حاملاً أنواراً من القرآن الكريم، وقبساً من الذكر الحكيم. وأضيفت إلى الطبعة الثالثة زيادات لا بد منها، لتكشف جوانب القراءات القرآنية المتعدّدة والتي تعتبر ضرورة لا بد منها.

وأرجو الله أن يُيسّر الإفادة من هذا الكتاب، والانتفاع به، إنه على ما يشاء قدير.

عبد العال سالم مكرم

القاهرة ـ زهراء حلوان



الفصل الأول

نشأة القراءات وتطورها

١ ـ توثيق النصّ القرآني:

لا أستطيع أن أتحدث عن القراءات القرآنية قبل أن ألقي نظرة عامة موجزة على النص القرآني الذي نشأت عنه هذه القراءات، وقبل أن أعرض نشأة القراءات وتطورها ليعرف القارىء بعض الحقائق عن النّصّ القرآني.

لقد مرت مراحل التوثيق لهذا النص العظيم في مراحل متعددة وفي عهود مختلفة بدأت في عهد الرسول ﷺ، وانتهت في عهد الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذي على يده تمت كتابة المصحف على المنهج أو النمط الذي عليه الآن، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد تعرضنا في مقدمة معجم القراءات لهذه المراحل بالتفصيل والتحليل وهو ميسر لمن يريد الاطّلاع على هذه المقدمة.

وأكتفي هنا فقط بمرحلة التوثيق في عهد الرسول ﷺ لأبين أن مرحلة التوثيق تمت في خمس خطوات:

١ ـ نزول القرآن مُنجَّماً أو مجزَّأً، ونزوله بهذه الكيفية يساعد على حفظه وتثبيته في الصدور.

٢ ـ كتابته حين النزول، فقد كان للرسُول ﷺ كُتّاب وحي بذلوا أنفسهم ـ كما يقول ابن الجزري: «في إتقانه وتلقوه منه عليه السلام حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركةً وسكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وَهْم»[١].

وعلى الرغم من أن كتابة القرآن الكريم حين نزوله حقيقة لا تقبل الشك، وواقع لا يقبل الجدل فإننا نجد بعض المستشرقين أمثال (أرثر

(١) النشر ٦/١.

جفري) ينكر هذه الحقيقة، ولا يؤمن بهذا الواقع لتمسكهم ببعض الأحاديث التي لم يفهموها، أو حاولوا تحريف معناها عن سوء قصد.

وقد فنّدنا في مقدمة المعجم هذا الرأي بأدلة مؤداها أنه ليس المراد من أنه ﷺ قبض ولم يجمع في القرآن شيء أنه لم يكن مكتوباً حين ذاك بل المراد أنه قبض ﷺ ولم يجمع في مصحف.

وليس هناك أصرح من الروايات التي تثبت في جلاء أن القرآن كله «كان مجموعاً في عهد الرسول ﷺ وأنه ما نزلت آية إلاّ وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا»[1].

وما لي أذهب بعيداً وهناك من المستشرقين من وقف ضدّ رأي (أرثر جفري) ومن تبعه وعلى رأس هؤلاء المستشرق (ن. بورلي) حيث يقول ما نصه: «بين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته. ولم يشك أحد في صحته كما أنزل أي شك جدّي. وهذا الكتاب هو القرآن، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد... وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمداً قد قالها فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر خلال حياته.. وأن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئاً ليضيف فقرات أو يضع جُمَل ربط، أو يحذف أو ينسخ.. لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره.. إلى أن يقول: والمهم هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش دون أن يبدل فيه. ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية»[2].

٣ ـ والخطوة الثالثة في التوثيق: التنافس الكبير على حفظ القرآن الكريم، وكثرة تلاوته، فالرسول ﷺ يقول لعبد الله بن عمرو بن العاص: اقرأ القرآن في كذا ليلة.. يدعوه إلى التيسير وهو يقول: إني أطيق أكثر من

---

(١) مقدّمتان في علوم القرآن: ٢٧.

(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه: ٦٨ ـ ٦٩.

ذلك إلى أن قال له: «اقرأ القرآن في ثلاث ليال»(١).

ومما يدعو إلى الغرابة والإعجاب معاً أن النساء شاركن الرجال في شرف حفظ القرآن الكريم وجمعه وتلاوته. فقد روى السيوطي في الإتقان(٢) أنه ظفر بامرأة من الصحابة جمعت القرآن، ولم يعدّها أحد ممّن تكلم في ذلك ثم ذكر ما أخرجه ابن سعد في (الطبقات) أن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن.

٤ ـ والخطوة الرابعة في التوثيق هي أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرضون ما يحفظونه على رسول الله ﷺ، ونذكر من هؤلاء ابن مسعود الذي يقول: قال رسول الله ﷺ اقرأ عليّ ففتحت سورة النساء، فلما بلغت **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**(٣) رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال: «حسبك الآن»(٤).

٥ ـ والخطوة الخامسة وهي الأخيرة في التوثيق: هي أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان، ففي صحيح البخاري قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما: أسرّ النبي ﷺ إليّ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلاّ حضور أجلي(٥).

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧.
(٢) الإتقان ١/ ٧٢.
(٣) سورة النساء: الآية ٤١.
(٤) غاية النهاية ١/ ٤٨٥.
(٥) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٣٢.

٢ ـ نشأة القراءات:

بعد هذا العرض لخطوات التوثيق، لنا أن نتساءل بعد ذلك هل تعددت قراءات هذا النص في عهد الرسول عليه السلام بما نسميه قراءات؟

والإجابة عن هذا التساؤل بنعم. فما بين أيدينا من قراءات هو موصول السند والرواية إلى قراءة النبي ﷺ.

وأول نص يطالعنا في تعدد القراءات في عهد الرسول ﷺ ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبّرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟

قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: أرسله. اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءات التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أُنزلت. إن هذا القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف بما يقطع الشك في صحة سنده فقد روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: أذكر أن رجلاً سمع النبي ﷺ قال:

«أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ لمَا قام فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن الرسول ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ»، فقال عثمان رضي الله عنه وأنا أشهد معهم[1].

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٨٥، والإتقان ١/ ٤٥.

٣ ـ نشأة القراءات ورسم المصحف:

يرى المستشرق «جولد تسيهر» أن نشأة الكثرة من القراءات ترجع إلى رسم المصحف.

وعجبت لِمَ ينفرد «جولد تسيهر» بهذا الرأي الذي اشتهر به؟ وقلت في نفسي: لم تسرّب هذا الرأي إلى عقله؟ ومن الذي أوحى به إليه؟

ولما وقفت على رأي الزمخشري في قراءة ابن عامر للآية المشهورة في سورة «الأنعام» **﴿وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾**[1] ـ تأكد لي أن مصدر الوحي بهذا الرأي هو الزمخشري حيث وقف من قراءة ابن عامر لهذه الآية موقف الناقد.

وبيان ذلك أن ابن عامر كان يقرأ: **﴿قتلُ أولادَهم شركائِهم﴾** برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما في غير ظرف.

وكان من رأي الزمخشري أن هذه القراءة مردودة، لأنها مخالفة للقواعد النحوية التي لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف.

وأرجع الزمخشري خطأ ابن عامر في هذه القراءة إلى رسم المصحف حيث قال: «والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء»[2] فالسبب إذاً في هذه القراءة في رأي الزمخشري هو رسم المصحف، ومعنى ذلك أن ابن عامر اعتمد على المصحف، ولم يعتمد على الرواية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

(٢) البحر المحيط: ج ٤/٢٢٩، ٢٣٠.

ومن هنا فتح الباب أمام هذا المستشرق فقال ما قال.

أما الزمخشري، فلم يسكت الباحثون عن رأيه ففندوه، وناقشوه.

يقول أبو حيان: «وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يُردُّ على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقُرّاء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم، وفهمهم، وديانتهم»[1].

وأما «جولد تسيهر» قد تكفل بالرد عليه الدكتور المرحوم عبد الحليم النجار حيث قال معقباً على رأيه في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي» ما نصه: «لم يكن الخط العربي سبباً في اختلاف القراءات، بل كان مساعداً على استيعاب القراءات الصحيحة بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية من إهمال النقط والشكل فليست العبرة بالخط، وإلا لاعتمدت قراءات يسمح الخط بها»[2].

ولم يكتف الدكتور النجار بهذا الرد على المستشرق بل تعقّب أدلته التي استدل بها على رأيه ليفندها، ويعلن زيفها.

فقد قال المستشرق: إن الآية ﴿**وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه**﴾[3] كان حماد يقرؤها «أباه» بالباء الموحدة.

فرد عليه الدكتور النجار قائلاً: «هذه قراءة منكرة بالاتفاق، فليست من السبع، ولا الأربع عشرة، ولو كان مجرد الخط كافياً لاعتمدت»[4] ويرى المستشرق: أن الآية ﴿**ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون**﴾[5] قرأها بعضهم «تستكثرون» بالثاء المثلثة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٩.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٤٨.

فرد عليه الدكتور النجار قائلاً: «لم تعتمد هذه القراءة في القراءات السبع ولا الأربع عشرة، بل هي منكرة، ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك، وحسبك هذا دليلاً على أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة القراءة»[1].

وربما كان من أكبر الأدلة على بطلان رأي: «جولد تسيهر»: «أن هذه القراءات رويت.. وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف، كما كان القرآن محفوظاً في الصدور قبل تدوين المصاحف، وجمع القرآن، ثم حين دوّنت المصاحف لم يكن النقط عرف، ولا الشكل اخترع، فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط فكانت قراءتهم للكلمة، على حسب ما يروون وينقلون لا على حسب ما يقرأون في المصاحف»[2].

وفي رأيي أن «جولد تسيهر» خانه التوفيق في هذا الرأي، لأنه لم يجد دليلاً واحداً يعتمد عليه اللهم إلا رأي الزمخشري في قراءة ابن عامر التي أشرت إليها، وهي - كما بيّنت - قراءة صحيحة، لا تتعلق برسم المصحف وإنما تتعلق بالرواية والنقل.

ولو كان ما ذهب إليه المستشرق صحيحاً لاضطربت المصاحف وغيرت الآيات، وبدلت كلماتها القرآنية بكلمات أخرى لا تمتّ إليها بصلة، وحينذاك يضيع كتاب الله، وتضيع معالمه، ذلك لأن القارىء الذي لم يتلق القرآن عن طريق المشافهة والسماع يعزّ عليه في كثير من الأحيان أن يقرأ صحيحاً، ومن ثم يعتري قراءته التصحيف، ولا نبالغ إذا قلنا: أن هذه التصحيفات، وقعت من رجال لهم شهرتهم الأدبية، ومقدرتهم اللغوية كالمُبرّد الذي تحدث عن تصحيفه أبو القاسم علي بن حمزة في كتابه «التنبيهات على أغاليط الرواة» فقال:

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٩. نصّ على هذه القراءة البحر المحيط ٤/٣٠٣ والكشاف ٢/٦٥ وانظر قراءة رقم ٢٥٣٧ في معجم القراءات والقارىء بها مجهول.

(٢) القراءات واللهجات ص ١٨٣، بتصرف. للأستاذ عبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، ط أولى.

قال[١] في قول الفرزدق:

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد ومات أبو غسان شيخ اللهازم[٢]

يعني بسطام بن قيس بن خالد الشيباني، وهو فارس بكر بن وائل ثم قال: . . . «وقتل بالحسن وهو جبل، وهذا غلط منه مركب من تصحيف، إنما الحسن شجر» سمي الحسن لحسنه بكثيب من رمل، ينسب الكثيب إليه، فيقال: نقا الحسن، ويقال ليوم قتل بسطام يوم النقا. قال الفرزدق:

خالي الذي ترك النجيع برمحه يوم النقا شَرِقاً على بسطام[٣]

ثم قال ـ والقائل أبو القاسم ـ: «وكان أبو العباس صحفياً، ومن نقل اللغة في الصحف صحّف، وإنما وجده جبل رمل، فقال: جبل، وأسقط الرمل»[٤].

فإذا كان نقل اللغة من الصحف تصحيفاً، فالأمر كذلك بصدد المصحف فمن نقل القرآن عنه، وأغلق أذنه دون الرواية والنقل، وقع في التصحيف.

فحماد الراوية حفظ القرآن من المصحف، وقد أخذ عليه أنه كان يقرأ: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه» بالباء الموحدة[٥].

---

(١) القائل أبو العباس المبرد.

(٢) اللهازم: لقب بني تَيْم الله بن ثعلبة، انظر: أقرب الموارد: ص ١١٦٥ ج ٢، لسعيد الخوري الشرتوني، مطبعة مرسلي اليسوعية سنة ١٨٨٩ م.
وفي ديوان الفرزدق: وقد مات بسطام بن قيس وعامر (ج ٢ ص ٧٦٥، مطبعة الصاوي).

(٣) ديوان الفرزدق: ج ٢ ص ٨٥٠، من قصيدته التي يناقض بها جريراً، مطبعة الصاوي.

(٤) التنبيهات على أغاليط الرواة: ص ١٤٧: أبو القاسم علي بن حمزة، مخطوط ٢٢ لغة، مكتبة الشنقيطي.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٩.

وروي أن حمزة الزيات: «كان يتعلم القرآن من المصحف، فقرأ يوماً - وأبوه يسمع - «الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه»[1] فقال أبوه: دع المصحف، وتلقى من أفواه الرجال»[2].

وحدث إسماعيل بن محمد البسري قال: «سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ: «وجعل السقاية في رجل أخيه»[3] فقلت له: ما هذا؟ قال: تحت الجيم واحدة؟»[4].

ومن أجل هذه التصحيفات التي تخل بمنطق الآيات قالوا: «لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي»[5].

والتصحيف في القرآن من أهم الأسباب التي جعلت أولي الأمر يهتمون بتنقيط المصحف.

وذلك أن الناس: «غبروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كُتَّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات»[6].

ومن عجب أن هذه التصحيفات عدّها ذلك المستشرق قراءات، وبين

---

(١) سورة البقرة: الآية ١ ، ٢. بالزاي والتاء.

(٢) التصحيف والتحريف: ص ٩.

(٣) سورة يوسف: الآية ٧٠.

(٤) التصحيف والتحريف: ص ٩

(٥) التصحيف والتحريف: ص ٩

(٦) وفيات الأعيان: ج ١ ص ١٢٥، ط ١٣١.

أنها نشأت عن خط المصحف، وغاب عن ذهنه أن القراءات مصدرها قراءة رسول الله ﷺ، وتَلْقينها لأصحابه، وهؤلاء لقّنوها لغيرهم حتى وصلت إلينا، وستصل إلى غيرنا بالطريقة نفسها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإلى هذا الوقت نجد معلم الكتاب، يبتدىء مع التلميذ الصغير أول ما يبتدىء بتحفيظ القرآن قبل أن يجيد القراءة والكتابة، لإيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط أو الرسم.

وإذا نظرنا إلى الأمصار الإسلامية وجدنا أن كل مصر التزم قراءة قارىء بعينه مع احتمال رسم المصحف لهذه القراءة، وأن القراء انتشروا في الأمصار ليعلموا الناس قراءة القرآن، إيماناً منهم بأن المصحف وحده لا يغني شيئاً في مجال القراءة.

ففي مصر أول من قرأ القرآن بها: «هو أبو أُمية عبيد بن محمد المغافري.

وكانت القراءات بمصر رواية عن نافع نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش...

ويحدثنا السيوطي أن عمر بن عبد العزيز أرسل نافعاً إلى مصر ليعلم المصريين فأقام نافع بمصر مدة طويلة..

وأخذ الأندلسيون قراءة نافع عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصري المتوفى سنة ١٣١ هـ»[١].

وبعد، أفلم يكن ـ أيها المستشرق ـ لدى المصريين أو الأندلسيين مصاحف يقرأون فيها، ويستغنون بها عن نافع وغيره من القراء؟.

إذا كان الأمر يتعلق بقراءة القرآن الكريم حيثما اتفق لصح ذلك ولكن قراءة القرآن دعامتها الرواية والمشافهة كما بيّنت لك.

* * *

(١) أدب مصر الإسلامية: ص ٣٦: الدكتور محمد كامل حسين، بتصرف. مطبعة الوفد.

٤ ـ القراءات ولهجة قريش:

قبل نزول القرآن الكريم كانت للغة قريش أو لهجتها السيادة على اللهجات العربية الأخرى، وقد استطاعت أن تصل إلى هذه السيادة بعد مراحل متعددة من احتكاك اللهجات العربية بها، فكانت لهجة قريش تأخذ من هذه القبائل ما تحتاج إليه حتى تم تكوينها، وسهل قيادها، وكمل تهذيبها.

وقد ساعدها على ذلك عدة عوامل مختلفة ـ سجلتها في كتابي ـ: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة[1].

على أن هذه السيادة للهجة القريشية ليس معناها أن قريشاً فرضت لهجتها فرضاً، فاللهجات التي يحتك بعضها ببعض، تتأثر كل لهجة منها بالأخرى، منتصرة كانت أو غير منتصرة، لأن قوانين اللغات تقرر: «أن اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها بل إن طول احتكاكها باللغات الأخرى، وشدة كفاحها معها، وما تبديه بعض اللغات المقهورة من مقاومة.. كل ذلك وما إليه يترك في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الأصوات والقواعد، والأساليب، وينقل إليها كثيراً من مفرداتها ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة في النواحي التي تعوز اللغة الغالبة. فاللغة الغالبة تعمد في العادة إلى خصمها المقهور، فتمتص منه ما تحتاج إليه، وتستلبه ما يعوزها قبل أن تجهز عليه»[2].

---

(١) نشر دار الشروق ببيروت ١٩٨٠ م ومؤسسة الرسالة طبعة ثانية.

(٢) فقه اللغة: ص ١١٢: الدكتور علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، ط ثالثة.

ومعنى ذلك أن لهجة قريش اشتملت على خصائص كثيرة من لهجات القبائل العربية الأخرى. فإذا قلنا: إن القرآن نزل بلغة قريش لا نقصد أنه غض النظر عن لغات القبائل الأخرى، وإنما نقصد أنه نزل بلغة قريش، لأنها اللغة النموذجية الأدبية التي تكوّنت بعد مراحل متعددة، والتي اشتملت على كثير من خصائص لهجات العرب الأخرى.

وبهذا الاعتبار لا تصبح لغة قريش غريبة على ألسنة وأسماع القبائل الأخرى، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ليكون معجزاً للعرب جميعاً.

وإذا كان الشأن كذلك فَلِمَ لم يلتزم القرآن الكريم هذه اللهجة وحدها لتكون قراءة الجميع؟ وبذلك يغلق الباب أمام القراءات التي لا تكون دعامتها لهجة قريش.

أقول: لو كان الأمر كذلك لما تمت المعجزة، وادّعى كثير من المكابرين أن القرآن الكريم نزل بالأفصح مما يعزّ على الفصحاء أن يأتوا بمثله.

ولو نزل بالفصيح وحده لكان من الممكن للفصحاء من القبائل الأخرى أن يأتوا بمثله.

وليقطع القرآن الكريم دابر هؤلاء المغرضين نزل بعضه بهذه اللهجات غير لهجة قريش، ليكون تحديه أتم، وقدرته أبلغ في باب الإعجاز.

قال ابن الجزري: «لو جاء القرآن كله بالأفصح والفصيح، فلا تتم الحجة في الإعجاز، وإذ يقال مثلاً: إنه جاء بما لا قدرة للعرب على جِنْسِه، كما لا يصح أن يقول البصير للأعمى: قد غلبتك بنظري، لأن الأعمى يقول له: إنما تتم تلك الغلبة، لو كنت قادراً على النظر، وكان نظرك أقوى من نظري، أما إذا فقد أصل النظر، فكيف تصح مني المعارضة»[1].

---

(١) من مقال للمرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان عنوانه: «القرآن واللغة» بمجلة الأزهر، المجلد ٢٢ ص ٦٠٠.

هذه ناحية، وناحية أخرى - غير الإعجاز - هي الانتفاع بالقرآن الكريم وحفظه، والترغيب في تلاوته، ومداومة النظر فيه، وذلك لو كان بلغة قريش وحدها لما استطاعت هذه القبائل أن تحقق هذه الغاية لأنه بلهجة غير لهجتها.

ولعل قائلاً يقول: إذا كانت اللغة القرشيّة مفهومة لدى العرب لا يصعب فهمها، فلا داعي لتعدد هذه القراءات؟

أقول: إن الفهم شيء والنطق بهذا المفهوم شيء آخر، فقد يصعب على هذه القبائل أن تمرن ألسنتهم على لهجة قريش، بعد أن أصبحت لهجتهم جزءاً من كيانهم، ومن ثم كانت الحكمة واضحة، والعلة ظاهرة في أن ينزل القرآن الكريم بلهجة قريش وغيرها من اللهجات.

* * *

٥ ـ الأحرف السبعة والقراءات:

روى البخاري قال: «حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبيته بردائه. فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟. قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة «الفرقان» على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله. إقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ: فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت. ثم قال: إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ، كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[١].

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف. فقد «روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً: وهو على المنبر ـ أذكّر أن رجلاً سمع النبي ﷺ قال: إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: أُنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، فقال عثمان رضي الله عنه، وأنا أشهد معهم»[٢].

---

(١) صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٨٥، المطبعة الأميرية، سنة ١٣١٢.

(٢) النشر: ج ١ ص ٢١.

واختلف علماء العربية في تفسير هذا الحديث الشريف اختلافاً كبيراً إلى حدّ أن روى له السيوطي في كتابه «الإتقان» أربعين وجهاً[1].

ونحن لا نستطيع أن نسجل هذه الآراء جميعاً لنوازن بينها، ونصل إلى الصحيح منها، لأن ذلك صعب عسير، ونكتفي في هذا المقام بذكر بعض الآراء للمشهورين من علماء اللغة، والنحو والقراءات.

١ - رأي ابن قتيبة:

قال ابن قتيبة: «وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب. ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: **﴿هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم﴾**[2] «وأطهرَ لكم»، **﴿وهل نجازي إلا الكفورَ﴾**[3]، «وهل يجازي إلا الكفور».

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: **﴿ربنا بَعِّدْ بين أسفارنا﴾**[4]، و «ربنا باعِدْ بين أسفارنا»[5]. الخ...

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في الكلمة، بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله: **﴿إن كانت إلا زقية واحدة﴾**[6] و**﴿صيحة﴾**، و**﴿كالصوف المنفوش﴾**، و**﴿كالعهن﴾**[7].

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها

---

(١) الإتقان: ج ١ ص ٤٥، مطبعة الحلبي، ط ثالثة.
(٢) بضم الراء وفتحها. سورة هود: الآية ٧٨.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٧.
(٤) بفتح الباء مع تشديد العين وسكون الدال. سورة سبأ: الآية ١٩.
(٥) باعد خفيفاً بألف.
(٦) سورة يس: الآية ٢٩.
(٧) سورة القارعة: الآية ٥.

ومعناه نحو قوله: ﴿وطلع منضود﴾ في موضع ﴿وطلح منضود﴾[1].

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾[2] وننشرها.

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾[3] وفي موضع آخر: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿وما عملت أيديهم﴾[4]، ﴿وما عملته أيديهم﴾[5].

= رأي ابن قتيبة بين المؤيدين والمعارضين:

من المؤيدين لابن قتيبة:

الشيخ محمد بخيت المطيعي حيث رد على ابن عبد البر الذي أنكر أن يكون معنى الأحرف اللغات لاختلاف عمر وهشام ولغتهما واحدة.

قال الشيخ بخيت «وأقول: إن معنى نزوله باللغات المذكورة هو أن الله أذن بقراءته بكل لغة فيها، فلا مانع أن هشاماً يقرأ بلغة أخرى غير لغة قريش أيضاً، فيكون قد تعلم من النبي ﷺ القراءة بلغة قريش، وبلغة غيرهم»[6].

ومن المؤيدين لابن قتيبة الدكتور إبراهيم أنيس حيث استدل برأي ابن قتيبة في أن المراد بالأحرف اللغات قال: «وقال ابن قتيبة في كتابه «المشكل» فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرىء كل أمة

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٢٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٣) سورة ق: الآية ١٩.
(٤) سورة يس: الآية ٣٥.
(٥) تأويل مشكل القرآن: ص ٢٨، ٢٩: تلخيص وتصرف.
(٦) الكلمات الحسان في الحروف السبعة: ص ٥٩. للشيخ محمد بخيت المطيعي، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٢٣، ط أولى.

بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلي يقرأ: عتى حين، والأسدي: يقرأ: «تعلمون» بكسر التاء، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز[1].

ومن المعارضين لرأي ابن قتيبة ابن عبد البر:

قال ابن عبد البر: «أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات لما تقدم من اختلاف هشام وعمر، ولغتهما واحدة»[2].

وفي رأي ابن عبد البر أن المراد بالأحرف السبعة: «سبعة أوجه من المعاني المتفقة. بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل، وهلم، وتعال»[3].

وأراد ابن حجر أن يوفق بين الرأيين، رأي ابن قتيبة، ورأي ابن عبد البر فقال: «ويمكن الجمع بين القولين، بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك في سبع لغات»[4].

* * *

٢ ـ رأي الطبري:

قال أبو جعفر الطبري بعد أن ساق الأحاديث المتعدّدة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

«صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه. فإن قال: وما برهانك على معنى قول النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»، وقوله: أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيته من أنه نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر، وترغيب وترهيب،

---

(١) اللهجات العربية: ص ٣٨.

(٢) لطائف الإشارات في علم القراءات: ورقة ٩: لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، مخطوط رقم ١٦١، قراءات دار الكتب.

(٣) المصدر نفسه والصفحة. (٤) المصدر نفسه والصفحة.

وقصص، ومثل، ونحو ذلك من الأقوال، فقد علمت أن قائلي ذلك من سلف الأمة، وخيار الأئمة»[1].

ويجيب الطبري مدللاً على رأيه بقوله: «إنّ عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب. . تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني، ثم احتكموا فيه إلى النبي ﷺ فاستقرأ كلّ رجل منهم، ثم صوب جميعهم في قراءاتهم على اختلافها. .

ثم قال: ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد، وما أشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم ﷺ، ويأمر كل قارىء منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه»[2].

رأي الطبري بين المؤيدين والمعارضين:

يؤيد الطبري في هذا الرأي أبو عبد الله الزنجاني فقد قال: «المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة. نحو: أقبل، وهلم وتعال، وعجل وأسرع، وأخر ومهل، وامض وأسر. وهذا الوجه هو ما اختاره الطبري في مقدمة تفسيره. ثم يقول الزنجاني: وهذا الوجه هو الذي لا يراه العقل بعيداً، فإن الاختلاف لو كان في المعنى بسبعة أوجه يفسر بها المعنى، فقد يفضي إلى معنيين متضادين، فكيف يجيز النبي ﷺ خلاف ما أراد الله بيانه من الآية.

ثم استدل بما رواه الأعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية: **﴿إنّ ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا﴾**[3]، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي أقوم، فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى واحد»[4].

---

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٥: أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، بتصرف.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦، بتصرف. (٣) سورة المزمل: الآية ٦.

(٤) تاريخ القرآن: ص ١٥ ـ ١٦: لأبي عبد الله الزنجاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ويعارض الطبري في هذا الرأي الدكتور صبحي الصالح فيقول: «إن علماء الغرب يؤيدون وجهة الطبري لحاجة في نفس يعقوب، وتشبُّثُ «بلاشير» بهذا يؤكد أن نظرية القرآن بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص يثبته على ما يهواه»[1].

* * *

٣ ـ رأي أبي حاتم السجستاني:

قال أبو حاتم السجستاني: «نزل بلغة قريش، وهذيل وتميم، والأَزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر»[2].

نقد هذا الرأي:

استنكر هذا الرأي ابن قتيبة، والقاضي أبو بكر بن الباقلاني. أما ابن قتيبة فقد قال ـ ورائده في قوله ـ قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾**[3] «فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش، وبذلك جزم أبو علي الأهوازي»[4].

وأما القاضي أبو بكر فقد قال ما نصه: «إن الظاهر في قوله تعالى: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾**[5] أنه نزل بجميع ألسنة العرب، ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن، أو قريشاً فعليه البيان لأن اسم العربي يتناول الجميع تناولاً واحداً، ولو ساغت هذه الدعوة لساغ لآخر أن يقول: نزل بلسان بني هاشم مثلاً لأنهم أقرب نسباً إلى النبي ﷺ من سائر قريش»[6].

* * *

(١) مباحث في علوم القرآن: ص ١٣٧. (٢) لطائف الإشارات: ورقة ٩ مخطوط.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤. (٤) لطائف الإشارات: ورقة ٩.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٣. (٦) لطائف الإشارات: ورقة ٩

٤ ـ رأي أبي شامة:

نقل العلامة أبو شامة عن بعضهم أنه نزل أولاً بلسان قريش، ومَن جاورهم من العرب الفصحاء.

ثم أبيح للعرب أن تقرأه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب.

ويدل على ما قاله ما ثبت أن ورود التخفيف كان بعد الهجرة كما في حديث أبي بن كعب أن جبريل لقي النبي ﷺ وهو عند «أضاة»[١] بني غفار، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرىء أُمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته، ومغفرته، فإن أُمتي لا تطيق ذلك»[٢].

٥ ـ رأي الرازي:

يذهب الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوائح» إلى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير وتأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: اختلاف اللغات[٣].

---

(١) أضاة بني غفار بفتح الهمزة، والضاد المعجمة، وآخره تاء تأنيث موضع بالمدينة المنورة نسب لبني ـ غِفار بكسر المعجمة.

(٢) لطائف الإشارات: ورقة ٩.

(٣) نقلاً من «مناهل العرفان في علوم القرآن»: ص ١٤٨: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة الحلبي، ط ثالثة.

وهذا الرأي يختاره اثنان من المحدثين.

أما أحدهما فهو الشيخ الزرقاني حيث يقول: «والذي نختاره بنور الله وتوفيقه من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي في «اللوائح»»[1].

وأما ثانيهما فهو الدكتور صبحي الصالح، فإنه يختار رأي الرازي مع التعديل فيه، وهذا التعديل يتمثل في «الاختلاف في الحروف نحو يعلمون، وتعلمون.. ثم نقد اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر في جعلها وجهاً خاصاً قائماً برأسه مع أنه يندرج تحت وجه الاختلاف في الإعراب»[2].

* * *

١ ـ رأي ومناقشة:

إذا نظرنا إلى هذه الآراء ـ التي عرضنا طرَفاً منها ـ لا نخرج بحقيقة تريح النفس في هذا الموضوع، فلكل رأي أدلته، والأدلة إذا اختلفت، والآراء إذا تناقضت عزّ على الباحث في مجالها أن يطمئن إلى رأي، أو يركن إلى دليل.

والواقع أنه لا داعي لهذه الاختلافات، فالحديث معناه واضح لا يحتاج إلى تأويل أو تخريج، ذلك لأنّ رسول الله ﷺ يريد أن يبيّن لنا أن القرآن الكريم نزل بلهجات متعدّدة من لهجات العرب ليتيح للعرب جميعاً أن يتدبروا معانيه، ويكثروا من التلاوة فيه، فنزل بهذه اللهجات للتيسير والتسهيل. وإن كان معظمه بلغة قريش، لأن قريشاً ـ كما بيّنت ـ قد نهضت لغتها وأصبحت اللغة السائدة في المواسم، والأسواق، وعِلْيَة القوم من الفصحاء الذين لم ينتموا إلى قريش كانوا يتخذون لغة قريش في الأدب والشعر، ولغة الخطابة والبيان «وليؤدي الخطيب رسالته كاملة واضحة،

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ص ١٤٥، ص ١٤٦.

ويترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولباقته كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات الخاصة التي تتصل بلهجة من اللهجات، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها، وألفوها جميعاً، كذلك كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة، أو عجعجة، أو كشكشة لينال إعجاب سامعيه، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم، وإلاّ فكيف كان من الممكن أن يُفضّل شاعر على شاعر في تلك المناظرات، إذا كان المقياس مختلفاً، وأداة القول متباينة.

لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة، مختارة الألفاظ، يعمد إليها الشاعر، والخطيب كلما عنّ له القول، وتلك كانت اللغة النموذجية»[1].

وحتى لا يكون القرآن الكريم وقفاً على الخاصة من القبائل العربية الذين يجيدون لغة قريش نزل بعضه بلهجات القبائل الأخرى بجانب لهجة قريش، ليكون الانتفاع به أكمل، والهداية به أشمل.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التي سمعوها ما وافق لهجتهم، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله ﷺ، وليس لأحد أن يقرأ بلغته كما يشاء، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا في القراءات العيوب الخاصة في لهجات العرب والتي كان يتجنّبها الفصحاء كالكشكشة[2] في ربيعة ومضر، والعنعنة[3] في لغة قيس وتميم، والفحفحة[4] في لغة هذيل[5] إلخ...

ولعل معترضاً يقول: كيف تقول ذلك: وقد وردت في القرآن قراءة ابن مسعود «عتى حين»؟[6].

---

(١) اللهجات العربية: ص٢٧، ٢٨.

(٢) الكشكشة: يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون: رأيتكش وعليكش.

(٣) العنعنة: يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً.

(٤) الفحفحة: يجعلون الحاء عيناً.

(٥) انظر: المزهر: ج ١ ص ٢٢٢، مطبعة الحلبي، ط ثالثة.

(٦) سورة يوسف: الآية ٣٥.

وللإجابة عن هذا الاعتراض أقول: إن ابن مسعود لعله سمع من النبي ﷺ هذه القراءة في هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن في غير سورة «يوسف» مع تكرر «حتى حين» في غيرها.

وهذا يدل دلالة واضحة على التقيد بالقراءة المسموعة فحسب، ولو كان هناك إطلاق للقراءة على حسب ما يدعي بعض المحدثين لقرئت «حتى»: «عتى» في كل آية توجد فيها. هذه ناحية.

وناحية أخرى، قد يحتملها الموقف وهي أن ابن مسعود غلب عليه لسانه الهذلي فقرأها كما قرأ من غير أن يسمعها، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هناك روايات تسند إلى النبي ﷺ في ذلك.

وأردت أن أتحقق من هذلية ابن مسعود لأن ابن مسعود كان من السابقين في الإسلام بمكة، فخيل إلي أنه قرشي، وإذا كان كذلك فمن العجب أن يقرأ «عتى حين» - فرجعت إلى «أسد الغابة» فوضعت يدي على الحقيقة التي تنص على أن ابن مسعود هذلي من قبل أبيه، ومن قبل أُمه أيضاً.

يقول ابن الأثير هو: «عبد الله بن مسعود بن غَافل بن حبيب... إلى أن قال: ابن تميم بن سعد بن هذيل... وأمه: أُم عبد بنت عبدود بن سواء من هذيل أيضاً»[1].

فالقراءات إذاً ليسَ مصدرها هذه اللهجات المتعّددة، وإنما مصدرها قراءة النبي ﷺ.

لهذا فإننا ننكر رأي من قال: أن القراءات ليست من الوحي، فهو رأي مرفوض ومردود.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج ٣ ص ٢٥٦: لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، ط سنة ١٢٨٦ هـ.

ونص صاحب الرأي على أن: «القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً، ولا مغتمزاً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها، وقد حاولوا فيها بالفعل وتماروا، وخطأ فيها بعضهم بعضاً، ولم نعلم أن أحداً من المسلمين كفر أحداً لشيء من هذا، وليست هذه القراءات بالأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن»[١].

لست أدري ما الذي حمل هذا الكاتب أن يلقي هذا الكلام على عواهنه؟

إن كل كلمة في هذا النص تحمل دليل زيفها، وحجة بطلانها، ولو فكر قليلاً لما تجرأ أن يصدر هذا الحكم قبل أن يلم بما قيل في هذه القضية وقد تكلم الباحثون قبله في القراءات، واختلفوا، وتباينت آراؤهم، ولكن أحداً منهم لم يقل مثل هذا القول، نعم حدث من ابن مقسم وابن شنبوذ ـ كما سنبينه بعد ـ أن أصدرا آراء في القراءات كانت لهما فيها وجهات نظر، ومع ذلك عذبا حتى رجعا عن آرائهما.

ويميل أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن القراءات ترجع إلى اختلاف القبائل بيد أنه كان محترساً كل الاحتراس في كل كلمة قالها حتى لا يمس الحقيقة المستقرة في الأذهان التي تنص على أن القراءات مرجعها الوحي لا اللغات.

يقول الدكتور أنيس: «فالمسلم أياً كانت لهجته، وأياً كانت بيئته، وأياً كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها، وتعودها، ولم يقدر إلا عليها يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته، ويجب ألا ننكر عليه، أو أن نهزأ من قراءته، فقد حاول، وبذل الجهد، فله أجر اجتهاده»[٢].

---

(١) في الأدب الجاهلي: ص ٩٥: الدكتور طه حسين، ط دار المعارف بمصر.

(٢) اللهجات العربية: ص ٣٧، ٣٨.

وإني أختلف مع أستاذنا في هذا الرأي، فلو سلمنا بما قال: لتعددت القراءات من قبيلة إلى قبيلة، بل من فرد إلى فرد فقد ينطق الفرد متأثراً بقبيلته في مخارج الحروف وغيرها من المظاهر اللغوية الأخرى، وقد يكون لهذا الفرد عيوب خاصة في نطقه كاللثغة «التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، وكما يقولون بُثْرة، إذا أرادوا بُسْرة[1]، وبثم الله إذا أرادوا بسم الله...

وكاللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعّف على عدد لثغة اللام: فمنهم من إذا أراد أن يقول: عمرو: قال: عمي، فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو: قال عمذ، فيجعل الراء ذالاً»[2].

أقول: إن هذه اللثغة المعيبة قد تكون على رأي الدكتور أنيس قراءات فضلاً عن أنه ـ كما قدمت ـ لكل قبيلة عيوب خاصة تتنافى مع الفصاحة، فتصبح هذه العيوب قراءات، وبذلك تضرب الفوضى أطنابها في قراءات القرآن مما يؤدي إلى اختلاط الأمر بين القراءات الصحيحة، وغيرها من القراءات الأخرى التي قد تشتمل على العيوب العامة لكل قبيلة، أو العيوب الخاصة في بعض الأفراد.

وثمة دليل آخر، يؤيد ما ذهبت إليه من أن القراءات ليس مرجعها اللغات المختلفة للقبائل على الإطلاق من غير أن تقيد بالسّنة أو الرواية، إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختلف مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان ـ كما بيّنت سابقاً ـ وكلاهما قرشي، فبم نفسّر هذا؟ هل اختلفت قريش، وهي قبيلة واحدة في قراءاتها؟

أكبر الظن أن المقاييس اللغوية الحديثة لا تثبت أمام هذه الحقيقة، حقيقة تغاير القبيلة الواحدة في نطقها بعض الكلمات.

---

(١) البُسرة: التمر.

(٢) البيان والتبيين: ص ١/٣٤ ـ ٣٤ بتصرف. للجاحظ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط ثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

وإنما مرجع ذلك إلى أن أحدهما سمع من النبي ﷺ قراءة بعض آيات من سورة «الفرقان» بلهجةٍ ما، وسمعها الثاني بلهجة أخرى، فأخذ كل منهما بالقراءة التي سمعها، وهذا لا يتنافى في أنهما قرآ بغير لهجتهما، لأن القرآن الكريم لم تنزل كل كلمة فيه بلهجات متعدّدة وإنما نزل بعض آياته ببعض اللهجات فحفظها الصحابة كما سمعت بغض النظر عن تلاقيها مع لهجتهم أو عدم تلاقيها.

ويؤيد ما ذهبت إليه أيضاً ما يقرره الرافعي من أن القراءات ترجع إلى عهد النبي ﷺ، وعهد أصحابه فيقول: «يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم، فقد اشتهر بالإقراء منهم سبعة: عثمان، وعلي، وأُبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، وعنهم أخذ كثير من الصحابة، والتابعين في الأمصار، وكلهم يسند إلى رسول الله ﷺ»[1].

وفي إشارة ابن حجر في كتابه «فتح الباري» تأكيد لهذه الحقيقة التي ذهبتُ إليها، فقد نقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: «أنزل القرآن أولاً بلسان قريش، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم استعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة».

قال ابن حجر: «وتتمة ذلك أن يقال: إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعي في ذلك السماع من النبي ﷺ»[2].

أما الناحية العددية في الحديث فإني أوافق أستاذنا الدكتور على أن المراد مجرد التعدد، وليس المراد قصر الأحرف على العدد سبعة، وذلك

---

(١) إعجاز القرآن، والبلاغة النبوية: ص ٥١: مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، ط سادسة.

(٢) فتح الباري: ص ٢٢ ج ٩: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، المطبعة البهية، سنة ١٣٤٨ هـ بمصر.

«لأن العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب العربية»[1].

٢ ـ أمثلة تؤيد أن نشأة القرارات أساسها اللهجات أو اللغات التي نزل بها القرآن الكريم:

أ ـ قراءات بلغة هذيل:

١ ـ ﴿ثلاث عوَرات لكم﴾[2].

قال السيوطي في موضع اتباع العين لحركة الفاء: «فإن كان حرف العلة غير مجانس للحركة ـ نحو: جوزة، وبيضة، فجمهور العرب على التسكين ولغة هذيل الإتباع، قرأ بعضهم **﴿ثلاث عوَرَات لكم﴾** بالتحريك»[3].

٢ ـ ﴿فلأمه الثلث﴾[4].

قال أبو حيان: «وذكر سيبويه أن كسر الهمزة من (أم) بعد الياء والكسر لغة. وذكر الكسائي والفراء أنها لغة هوازن وهذيل»[5].

٣ ـ ﴿يا بشراي هذا غلام﴾[6].

قال أبو حيان: «قرأ أبو الطفيل، والحسن بن أبي إسحاق، والجحدري «يا بشريّ» بقلب الألف ياء، وإدغامها في ياء الإضافة وهي لغة هذيل ولناس غيرهم»[7].

٤ ـ ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾[8].

قال أبو حيان: «قرأ الأعمش، وأبو حيوة: **﴿يعرجون﴾** بكسر الراء، وهي لغة هذيل»[9].

---

(١) اللهجات العربية: ص ٣٩.
(٢) بفتح الواو، سورة النور: الآية ٥٨.
(٣) همع الهوامع: ج ١ ص ٢٣، بتصرف.
(٤) بكسر الهمزة، سورة النساء: الآية ١١.
(٥) البحر المحيط: ج ٣ ص ١٨٤، ١٨٥.
(٦) سورة يوسف: الآية ١٩.
(٧) البحر المحيط: ج ٥ ص ٢٩٠.
(٨) سورة الحجر: الآية ١٤.
(٩) البحر المحيط: ج ٥ ص ٤٢٨.

٥ ـ ﴿فمن تبع هدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون﴾[١].

قال أبو حيان: «وقرأ عاصم الجحدريّ، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر: «هُديّ» بقلب الألف ياء، وإدغامها في ياء المتكلم إذا لم يمكن كسر ما قبل الياء، لأنه حرف لا يقبل الحركة وهي لغة هذيل، يقلبون ألف المقصور ياء، ويدغمونها في ياء المتكلم». وقال شاعرهم:

سبقوا هوَيَّ وأعنقوا لهواهم   فتخرموا[٢] ولكل جنب مصرع[٣]

٦ ـ ﴿يوم يأتي﴾[٤].

قال الزمخشري في الكشاف: «يوم يأت، بغير ياء، ونحو قوله: لا أدر، حكاه الخليل وسيبويه، وحذف الياء، والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في هذيل»[٥].

* * *

ب ـ قراءات وردت بلغة تميم:

١ ـ ﴿الحمد لله﴾[٦] بكسر الدال بدلاً من ضمها، بشهادة النحوي المصري النحاس المتوفى ٣٣٨ هـ كانت صيغة «الحمد لله على هذه النحو خاصة بلهجة تميم»[٧].

٢ ـ في الضمير أنا.

قال الهمع: «وفي الألف لغات ـ يقصد ألف أنا ـ إثباتها وصلاً ووقفاً، وهي لغة تميم، وبها قرأ نافع»[٨].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٨.
(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي: اعنقوا ـ بادروا. تخرموا ـ استؤصلوا. انظر: شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٦٤: تحقيق محيي الدين، المطبعة الرحمانية.
(٣) البحر المحيط: ج ١ ص ١٦٩.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج ٢ ص ٣٣٥.
(٦) سورة الفاتحة: الآية ١.
(٧) العربية: ص ٣٢: يوهان فك.
(٨) الهمع: ج١ ص ٦٠.

ج ـ قراءات وردت بلغة قيس وأسد:

قال السيوطي في الهمع: «وقد تسكن هاء هو وهي بعد الواو والفاء وثم واللام، وقرىء بذلك في السبع، ﴿وهْو معكم﴾[1]، ﴿فهْوَ وليّهم﴾[2] ثم قال السيوطي: بعد ذلك: وتسكين الواو والياء لغة قيس وأسد»[3].

* * *

د ـ لغات قبائل أخرى:

﴿إنْ هذان لساحران﴾[4].

قال الجاربردي: «ذكر الواحدي في الوسيط في تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا إنْ هذان لساحران﴾ أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب ثم قال: إجماع النحويين على أن هذه لغة حارثية، وذلك أن بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد»[5].

وقال ابن جماعة: «نسبها إلى بني الحارث من النحويين الكسائي ونسبها أيضاً إلى خثعم، وزبيد، وهمدان. ونسبها أبو خطاب لكنانة. وبعضهم لبني العنبر وعذرة، ومراد، وغيرهم»[6].

* * *

هـ ـ لغات متداخلة:

﴿ويُهلك الحرث والنسل﴾[7].

قال العكبري: «يقرأ برفع الكاف أي وهو يهلك، ويقرأ بفتح الياء

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤.
(٢) سورة النحل: الآية ٦٣. (٣) الهمع ج ١ ص ٦١.
(٤) بسكون النون، سورة طه: آية ٦٣.
(٥) شرح الجاربردي على الشافية: ج ١ ص ٢٧٧.
(٦) حاشية ابن جماعة على شرح الشافية: ج ١ ص ٢٧٧.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

واللام، ورفع الحرث وهي لغة ضعيفة، لأن الماضي هلك بفتح اللام، فيكون المستقبل مكسور اللام.

ومن فتح اللام في المستقبل جاز أن يكون هلك بكسر اللام، وهي لغة مجهولة أو يكون لغتين من قبيلتين تداخلتا»[1].

* * *

و ـ لغات غير منسوبة:

١ ـ ﴿حجراً محجوراً﴾[2].

قال ابن السِّكيت: «حجر الإنسان وحجره، ويقرأ «حِجراً محجوراً». و «حَجراً محجوراً»[3].

٢ ـ ﴿حتى يبلغ الهَدْيُ محلَّهُ﴾[4].

قال ابن السكيت: «الهدي لغتان بالتشديد والتخفيف، وقرأ بهما جميعاً القراء: حتى يبلغ الهَدْيُ محله، والهِديُّ محله»[5].

٣ ـ ﴿حرَج، وحرِج﴾:

قال ابن السكيت: «وبكل قرأت القراء ﴿يجعل صدره ضيقاً حرَجاً﴾، وحرِجاً»[6].

---

(١) إعراب القراءات الشواذ: لوحة ٣١ لمحب الدين أبي البقاء العكبري، مخطوط مصور رقم ١١٩٩ ـ تفسير ـ دار الكتب.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٢.

(٣) بفتح الحاء وكسرها، إصلاح المنطق لابن السكيت: ص ٣١: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مطبعة دار المعارف، ط ثانية.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٥) بسكون الدال مع ضم الياء ثم بكسر الدال مع الضم والتشديد للياء، إصلاح المنطق: ص ٢٧٥.

(٦) سورة الأنعام: آية ١٢٥، إصلاح المنطق: ص ١٠٠.

٤ ـ ﴿إن يمسسكم قرح﴾[١].

قال ابن خالويه: «يقرأ بفتح القاف وضمها، فالحجة لمن فتح أنه أراد الجراح بأعيانها، والحجة لمن ضم أنه أراد ألم الجراح، وقيل هما لغتان فصيحتان كالجَهد والجُهد»[٢].

٥ ـ ﴿الرعب﴾[٣].

قال ابن خالويه: «يقرأ بإسكان العين وضمها، فالحجة لمن أسكن أن الأصل الضم، فثقل عليه الجمع بين ضمتين متواليتين، فأسكن، والحجة لمن ضم أن الأصل عنده الإسكان فأتبع الضم الضم ليكون اللفظ في موضع واحد، كما قرأ عيسى بن عمر: ﴿تبارِك الذي بيده الملك﴾[٤] بضمتين، وكيف كان الأصل، فهما لغتان»[٥].

٦ ـ ﴿ولا يحزنك﴾[٦].

قال ابن خالويه: «يقرأ بفتح الياء، وضم الزاي، وبضم الياء، وكسر الزاي، فالحجة لمن فتح الياء أنه أخذه من حَزن يحزن حزناً، والحجة لمن ضم الياء أنه أخذه من أحزن وحزناً، ولم يسمع إحزاناً، وإن كان القياس يوجبه»[٧].

٧ ـ ﴿من يرتدّ منكم﴾[٨].

قال ابن خالويه: «يقرأ بالإدغام والفتح، وبالإظهار، والجزم، فالحجة لمن أدغم أنه لغة أهل الحجاز، لأنهم يدغمون الأفعال لثقلها كقوله تعالى: ﴿إنما نعدّ لهم عدّاً﴾[٩] ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: ﴿عَدَدَ سنين﴾[١٠] ليفرقوا بذلك بين الاسم والفعل. والحجة لمن أظهر أنه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) الحجة لابن خالويه: ورقة ٢٧، مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب، دار الكتب.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

(٤) سورة الملك: الآية ١.

(٥) الحجة لابن خالويه: ورقة ٢٧.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

(٧) الحجة لابن خالويه: ورقة ٢٨.

(٨) سورة المائدة: ٥٤.

(٩) سورة مريم: الآية ٨٤.

(١٠) سورة المؤمنين: الآية ١١٢.

أتى بالكلام على أصله، ورغب مع موافقة اللغة في الثواب، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات»[1].

٨ ـ **﴿وإن يروْا سبيل الرشد﴾**[2].

قال ابن خالويه: «يقرأ بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما: وقيل هما لغتان كقولهم: السُّقْم والسَّقَم»[3].

٩ ـ **﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾**[4].

قال ابن خالويه: «يقرأ بضم الضاد وفتحها، وهما لغتان»[5].

١٠ ـ غمض يغمَض لغة في أغمض، وقرأ البراء بن عازب رضي الله عنه والحسن: **﴿إلا أن تَغمضوا[6] فيه﴾**[7].

١١ ـ وقال الصاغاني: «البخل لغة في البَخْل، والبُخْل، والبَخَل، وقرأ أبو رجاء: **﴿بالبَخل[8]﴾**[9].

١٢ ـ وطيبى لغة في طوبى: وقرأ مكوزة الأعرابي **﴿طيبى[10] لهم﴾**[11].

١٣ ـ «الرعاء لغة في الرعاء وقرأ الخليل: **﴿حتى يصدر الرُّعاء﴾**[12] بضم الراء مع التشديد»[13].

* * *

(١) الحجة لابن خالويه: ورقة ٣٧.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.
(٣) الحجة لابن خالويه: ورقة ٥٣.
(٤) سورة الأنفال: آية ٦٦.
(٥) الحجة لابن خالويه: ورقة ٥٨.
(٦) بفتح التاء، سورة البقرة: الآية ٢٦٧.
(٧) ما تفرد به بعض أئمة اللغة: ورقة ٥ للصاغاني، مخطوط رقم ٤١٨ ـ لغة ـ دار الكتب.
(٨) سورة النساء: آية ٣٧.
(٩) البخل: «بضم الباء وسكون الخاء» لغة في البخل «بفتح الباء وسكون الخاء» وكذلك البخل «بضم الباء وسكون الخاء» لغة في البخل «بفتح الباء والخاء» والقراءة «بفتح الباء مع سكون الخاء وكسر اللام»، انظر «ما تفرد به بعض أئمة اللغة»: ورقة ٧.
(١٠) سورة الرعد: الآية ٢٩.
(١١) ما تفرد به بعض أئمة اللغة: ورقة ١١.
(١٢) سورة القصص: الآية ٢٣.
(١٣) ما تفرد به بعض أئمة اللغة: ورقة ١٣، ١٤.

٦ ـ رسم المصحف العثماني، والأحرف السبعة:

تؤكد لنا الروايات المتعدّدة أنه بجانب المصحف العثماني كان لأكابر الصحابة مصاحف أخرى كمصحف علي، ومصحف عائشة، ومصحف أبيّ، ومصحف ابن مسعود.

وليس هناك أدنى شك في أن هذه المصاحف المتعددة لم تكن على قراءة واحدة، ذلك لأن الصحابي قد يسمع قراءة بلهجة تميم مثلاً فيكتبها على حين يسمع غيره قراءة بلهجة قريش أو هذيل فيكتبها أيضاً، ومن هنا تعددت القراءات وكثرت.

ولما انتشر الإسلام في أصقاع الأرض، وسار ركبه في أجزاء المعمورة كان الصحابة يقرأون القرآن في هذه البلاد التي فتحت، على حسب ما سمعوا من النبي ﷺ:

فمن الطبعيّ إذاً أن ينشأ خلاف بين القراء، ومن الطبعيّ أيضاً أن تتسع هوة الخلاف بين الصحابة في القراءات، فينكر بعضهم قراءة بعض. يدل على ذلك فزع حذيفة بن اليمان إلى عثمان، ليقول له:

«يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، كما اختلف اليهود والنصارى، فبعث عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها عليك، فأرسلتها إليه، فأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوا الصحف في المصاحف»[١].

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ص ١٨، ١٩.

فلما تم النقل وكمل النسخ «بعث عثمان إلى كل أفق مصحفاً من تلك المصاحف التي نسخوها، وأمر بما سواه من القرآن، في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[1].

وهنا يرد إلى أذهاننا هذا السؤال: هل كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف بلغات العرب التي أنزل بها؟

بعض الروايات التي سجلتها كتب التاريخ، لا تثبت هذا، بل تنفيه، وتؤكد أن القرآن الكريم كتب بلهجة قريش، وتستند هذه الروايات إلى قول عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الذين وكل إليهم مع زيد بن ثابت كتابة المصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا»[2].

فإذا كان مؤدى نص عثمان رضي الله عنه أن القرآن الكريم كتب جميعه بلهجة قريش، وغض النظر عن اللهجات الأخرى التي نزل بها، والتي يشير إليها حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ـ فإننا نقع في مشكلة تحتاج إلى حل، وتتمثل هذه المشكلة في نشأة القراءات مع هذا المصحف العثماني.

أريد أن أقول: إذا كان القرآن كتب بلهجة واحدة هي لهجة قريش، فكيف إذاً نفسر نشأة القراءات مع هذا المصحف؟

في رأيي أن المصحف لم يكتب بلهجة قريش وحدها، فالنفر الذين كتبوا المصحف نسخوه من الصحف التي أحضرها عثمان رضي الله عنه من حفصة ولم يترك للكتَّاب الحرية في أن يسجلوا من حفظهم شيئاً ـ مع أنهم كانوا حفظة ـ مخافة أن تفتح أبواب القيل والقال، فيقال مثلاً: إن عثمان كتب في مصحفه ما لم يكن في صحف أبي بكر أو مصحفه، فلقَتْل هذه الشبهة في مهدها، والقضاء عليها من أوّل وَهْلة اعتمد على مصحف أبي بكر، ومصحف أبي بكر جمع قراءات النبي ﷺ في العَرْضَة الأخيرة.

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ص ١٨، ١٩.

(٢) الإتقان: ج ١ ص ٥٩.

من أجل ذلك يصحّ لي أن أقول: إن مصحف عثمان رضي الله عنه مشتمل على الأحرف السبعة.

أما أمر عثمان بالكتابة بلغة قريش فلم يكن المقصود منه كتابة المصحف جميعاً بهذه اللهجة، لأن نص حديث عثمان لا يساعد على هذا الفهم، فهو يقول: إذا اختلفتم فاكتبوه بلغة قريش، ومواضع الاختلاف كانت قليلة كاختلافهم في التابوت.

فقال زيد: «هو التابوه، وقال النفر القرشيون: هو التابوت فرفع الأمر إلى عثمان فقال: اكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم»[١].

وواضح أنهم إذا لم يختلفوا ينسخونه كما هو دون زيادة أو نقصان - هذا هو مفهوم كلمة عثمان رضي الله عنه في رأيي.

من هذا العرض نخرج بهذه الحقيقة، وهي أن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة.

وأقصد بالأحرف السبعة القراءات التي قرأها النبي ﷺ في العرضة الأخيرة، والتي استقرت بها قراءات القرآن.

أما حرف أبيّ، وابن مسعود، وغيرهم من أصحاب المصاحف، فلم يشتمل عليها مصحف عثمان، ومن هنا كانت القراءات من هذه المصاحف شاذة كما سنبين بعد إن شاء الله.

وقد قال صاحب «الطراز»: «إن الحرف الواحد كلما كان أكثر استفاضة كان أحق بالقبول، ولأجل ذلك اتفقوا على حَرْف زيد»[٢].

* * *

تجريد مصاحف عثمان من النقط والشكل:

ويبيّن ابن الجزري أن المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه

---

(١) الزينة: ج ١ ص ١٤٦.

(٢) الطراز: ج ٣ ص ٤٦٣.

إلى الأمصار «جردت جميعها من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته»[1] ومعنى ذلك أن قراء الأمصار يقرأون بما سمعوا، وبما رووا، متخذين مصحف عثمان مصدراً يرجعون إليه عند الاختلاف، ولا بد أن تكون قراءاتهم متفقة مع رسم المصحف، ونعني بهذا أن رسم المصحف العثماني شرط في صحة هذه القراءات.

وبهذا الشرط أسقطت القراءات التي تخالف الرسم العثماني.

ونحن إذا نظرنا إلى هذا العمل الضخم الذي قام به عثمان رضي الله عنه نجد أنه صان القرآن الكريم من تحريف كان من الممكن أن يستبد به، ومن تغيير كان من الممكن أن يتسرب إلى بنائه، ولكن تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2] جُنِّد عثمان لهذا العمل ليظل القرآن الكريم في مأمن من عبث العابثين، وعجمة المستعربين.

وظل عثمان على موقفه من هذا الرسم إلى أن لحق بربه.

مشكلة تحتاج إلى حل:

خلاصة هذه المشكلة أن ابن أبي داود في كتابه «المصاحف» أشار إلى إن عثمان رضي الله عنه تخلّى عن تمسكه برسمه، وأطلق القراءة وهذا يختلف مع الحقيقة القائلة أن الرسم العثماني ظل ماثلاً إلى اليوم لا يمس، وأن القراءات التي لا يحتملها رسمه قراءات شاذة. ولما رجعت إلى كتاب «المصاحف» رأيت ابن أبي داود يعنون لهذه الفكرة بهذا العنوان: «إطلاق عثمان رضي الله عنه القراءة على غير مصحفه» وتحت هذا العنوان قال ما نصه: «لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان رضي الله عنه، صعد عثمان المنبر، فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شراً، أذعتم السيئة، وكتمتم الحسنة، وأغريتم بي سفهاء الناس. أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نقموا؟ وما الذي يريدون؟ ثلاث مرات، لا يجيبه أحد، فقام علي رضي الله عنه، فقال: أنا. قال عثمان: أنت أقربهم رحماً، وأحقهم بذلك، فأتاهم،

(١) النشر: ص ٧.

(٢) سورة الحجر: آية ٩.

فرحبوا به وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك، فقال: ما الذي نقمتم؟ قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله عز وجل، وحمى الحمى، واستعمل أقرباءه، وأعطى مروان مائتي ألف، وتناول أصحاب النبي ﷺ، فرد عليهم عثمان رضي الله عنه. أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم، لأني خفت عليكم الاختلاف، فاقرؤوا على أي حرف شئتم»[1].

فهذا النص يدل ظاهرة على أن عثمان رضي الله عنه أطلق القراءة. ولإزالة التناقض بين هذه الرواية، وبين الروايات الأخرى التي تُثْبِتُ أن عثمان جمع الناس على مصحفه، وحذر من مخالفته، وحرّق ما يوجد من المصاحف الأخرى.

أقول لإزالة هذا التناقض أردت أن أتحقق من رواية ابن أبي داود فرأيت أن بعض كتب التاريخ تختلف في هذه الرواية مع رواية ابن أبي داود، فقد نقل المرحوم الشيخ الخضري عن المراجع التاريخية أن عثمان رضي الله عنه قال للثائرين ما نصه: «وقالوا: حميت حمى، وإني والله ما حميت حمى قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعيه أحداً. . إلى أن قال: وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي من ثاغية، ولا راعية، وإني قد وليت، وإني أكثر العرب بعيراً أو شاة فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجيّ، أكذلك هو؟ قالوا: اللهم نعم. وقالوا: كان القرآن كتباً فتركتها إلا واحداً، ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك هو، قالوا: نعم»[2].

ففي هذه الرواية بين عثمان رضي الله عنه أنه لم يحدث في المصحف شيئاً جديداً وإنما سار على سنة أبي بكر وعمر في الحيطة له، وفي صيانته من الاختلاف الذي قد يؤدي إلى النزاع بين المسلمين، فيكون مصيرهم مصير اليهود والنصارى حينما اختلفوا في كتبهم، وليس في هذه

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢ ص ٣٩، المرحوم الشيخ محمد الخضري.

(٢) المرجع السابق.

الرواية ما يدل على أنه أطلق القراءة، هذا دليل.

ودليل آخر، يتضح في أنه لو صحت رواية ابن أبي داود لما كان هناك تناف بين ما قررته من تمسك عثمان برسمه، وبين هذه الرواية.

وبيان ذلك أن رواية ابن أبي داود لا تنص على إطلاق القراءة بما يخالف الرسم، فأطلق لهم حرية القراءة بما رووا، ولكن على شريطة أن تخضع لرسم المصحف، هذا هو مفهوم كلمة عثمان في هذا المقام، وكأنه يريد أن يقول لهم: اقرءوا ما شئتم كما رويتم وسمعتم، فادعاؤكم أني ألغيت القراءات، ادعاء لم يصح، لأني وضعت للقراءات ميزاناً لا يسمح للقراءات الدخيلة أن تتسرب إلى كتاب الله، وهو الرسم الذي تحتمله القراءات المروية.

ودليل ثالث: يتجلى في أن عثمان رضي الله عنه كتب المصحف في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافته وأترك المقام لابن حجر ليحقق لنا متى كتب المصحف العثماني؟ لأنه على ضوء هذا التحقيق نستطيع أن نزيل إبهام رواية ابن أبي داود أو نحل أشكالها.

قال ابن حجر: «خطب عثمان فقال: يا أيها الناس، إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القراءة... (حديث جمع القرآن في المصحف العثماني) ثم قال ابن حجر: وكانت خلافة عثمان رضي الله عنه بعد مقتل عمر، وكان قتل عمر في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة بعد وفاة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر، فإن كان قوله خمس عشرة سنة أي كاملة، فيكون ذلك بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافته.

ثم قال ابن حجر: وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستنداً»[1].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري: ج ٩ ص ١٤: للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطبعة البهية، سنة ١٣٤٨ هـ.

فكتابة عثمان رضي الله عنه للمصحف كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة تقريباً وثورة الأمصار على عثمان رضي الله عنه كانت قبيل قتله، ومن المعلوم أنه قتل رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ[1]، فبيْن كتابة المصحف وقتله عشر سنوات تقريباً، وهي مدة ليست قصيرة في توطيد الرسم العثماني في نفوس القراء، وعلى ألسنتهم، مما يعز على هذه الألسنة أن تنحرف عن نهجه، أو تميل إلى غيره، أو تركن إلى سواه، فلما علم عثمان رضي الله عنه أن الأمور استقرت، وأن الرسم العثماني أصبح حقيقة واقعة خضع نسلطانها القراء جميعاً لم يبال بعد ذلك أن يقرءوا بأي حرف شاءوا ما دامت علة الخلاف قد زالت، وشهوة الجدال قد انتهت، ومن أجل هذا صح له أن يقول: «إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف» أما وقد زال هذا الاختلاف، وأصبح المصحف العثماني مصدراً للقراءات جميعاً التي يحتملها رسمه، فلا مبرر إذاً للخوف، ومن هنا قال: اقرءوا على أي حرف شئتم.

* * *

(١) تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢ ص ٤٢.

٧ ـ الأحرف السبعة والقراءات السبع:

ليست القراءات السبع التي دونها علماء القراءات، وأجمعوا عليها هي الأحرف السبعة التي أشار إليها الحديث، وإنما هي بعض هذه الأحرف.

وقد أجمعوا على هذه القراءات السبع، لأن أصحاب الأهواء كثروا، وأخذوا يقرأون بما لا تحل تلاوته، تاركين المصحف الإمام، مما يؤدي إلى اضطراب في قراءات القرآن. وخوفاً من أن يتسع الخرق على الراقع، وتمتد يد البدعة إلى كتاب الله لتحرف فيه، أو تزيد، أو تنقص تجرَّد قوم «للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا في كل مصر ـ وُجِّهَ إليها مصحف ـ أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدراية، وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء واشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصر على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم»[١].

وقراءات هؤلاء السبع هي المتفق عليها إجماعاً، ولكل منهم سند في روايته، وطريق في الرواية عنه، وكل ذلك محفوظ مثبت في كتب هذا العلم»[٢].

وهذه القراءات السبع التي نسبت إلى هؤلاء القراء غيض من فيض، وإنما جمعها ابن مجاهد لاختياره الخاص، فاشتهرت حتى ظن بعض العوام أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر: ورقة ٥ للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي، مخطوط رقم ٧٣ قراءات، دار الكتب.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥١.

قال ابن الجزري: «لا يجوز أن يكون المراد ـ من الأحرف السبعة ـ هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظن بعض العوام، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا، ولا وجدوا»[1].

وقد اعتقد بعض الناس خطأ أن هذه القراءات السبع هي المعتبرة وما عداها شاذ، ولست أدري كيف وصلوا إلى هذا الحكم مع أن أبا عبيد القاسم بن سلام: «جعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة ٢٢٤ هـ»[2].

وقد لمح هذا الخطأ ابن الجزري فقال: «وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً، وربما كان كثير مما لم يكن في «الشاطبية والتيسير» وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما. وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وسمعوا قراءات السبعة، فظنوا أن هؤلاء السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك، كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطأوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد، أو زاده، أو بين مراده ليخلّص من لا يعلم مِن هذه الشبهة»[3].

آراء العلماء في القراءات السبع:

١ ـ رأي الإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي:

قال: «فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، فذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً، واختياراً، فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم حتى إذا سمع ما يخالفها خطّأ أو كفّر، وربما كانت أظهر وأشهر.. ثم قال: ولقد فعل مسبّع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة

(١) النشر: ج ١ ص ٢٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٣.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٦.

حتى جهلوا ما لا يسعهم جهله، وأوهم كل من قلّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي، لا غير... وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة»[1].

٢ ـ رأي ابن تيمية:

لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة، أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما، كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي، فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين من أهل الإجماع... ثم قال: «ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشر، والأحد عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون في ذلك الكتب، ويقرءونه في الصلاة، وخارج الصلاة، وذلك متفق عليه بين العلماء، لم ينكره أحد منهم»[2].

٣ ـ رأي الكواش:

قال: «كل ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق خط المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ»[3].

٤ ـ رأي السبكي:

قال الشيخ تقي الدين السبكي في شرح المنهاج ما نصه، قال الأصحاب: «تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع، ولا تجوز بالشاذ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ، وقد نقل البغوي الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب، وأبي جعفر مع السبع المشهورة، وهذا القول هو الصواب»[4].

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦.
(٢) النشر: ج ١ ص ٣٩.
(٣) الإتقان: ج ١ ص ٨١.
(٤) المصدر نفسه والصحفة.

٥ ـ رأي مكّي:

قال مكي بن أبي طالب: «من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة في الحديث، فقد غلط غلطاً عظيماً، قال: ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم. فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء»[١].

٦ ـ رأي أبي حيان الأندلسي:

قال: «ليس في كتاب ابن مجاهد، ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً»[٢].

تواتر القراءات السبع:

هل القراءات السبع متواترة؟

مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين، والقراء، أن التواتر شرط في صحة القراءة، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية[٣].

رأي الزركشي:

ويرى الزركشي: «أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ، ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبع، موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد»[٤].

---

(١) الإتقان: ج ١ ص ٨٠. (٢) الإتقان: ج ١ ص ٨٠ و ٨١.

(٣) شرح ابن القاصح على الشاطبية: ص ٦، المطبعة الأزهرية، ط أولى.

(٤) الإتقان: ج ١ ص ٨٠.

رأي ابن الحاجب:

قال في «مختصر المنتهي»: «إن القراءات السبع متواترة فيما ليس من قِبَل الأداء كالمد، والإمالة، وتخفيف الهمزة ونحوها»[1].

ولم يسلم ابن الحاجب من النقد في هذا الرأي، فقال ابن الجزري: «ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول، فقصّ أثره؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما أقدم عليه، وليت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه من ذكر القراءات وأثرها، كما أخلى غيره كتبهم منهم، بل ليته سكت عن التمثيل»[2].

* * *

(١) مختصر المنتهى الأصولي: ص ٤٩، لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية.

(٢) القراءات واللهجات: ص ٧٠.

٨ ـ تراجم موجزة للقراء السبعة:

١ ـ ابن عامر:

هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي إمام أهل الشام وقاضيهم. يكنى أبا عمرو أو أبا موسى.

كان تابعيّاً جليلاً إماماً بالجامع الأموي في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، وجمع له بين الإمامة والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق. ولد سنة إحدى وعشرين أو ثمان وعشرين من الهجرة على اختلاف في ذلك، وتوفي يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة[١].

* * *

٢ ـ ابن كثير:

هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز. يكنى: أبا معبد أو أبا عباد، أو أبا بكر، وهو شيخ مكة وإمامها في القراءة، ونسبته الداري، نسبة إلى تميم الدّاري الصحابي أو إلى العِطْر، قيل: كان عطّاراً، وكان فصيحاً بليغاً مفوّهاً.

نقل قراءته الأئمة كأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد والشافعيّ وغيرهم. ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

ولد بمكة سنة خمس وأربعين في أيام معاوية، وأقام مدّة بالعراق ثم عاد إليها، وتوفي سنة عشرين ومائة[٢].

---

(١) لطائف الإشارات ١/٩٤. (٢) المصدر نفسه ٩٥.

٣ ـ عاصم بن أبي النجود:

هو عاصم بن أبي النُّجود، إمام أهل الكوفة وقارئها. يكنى أبا بكر. والنجود معناه كما قال الجعبري: «من نجّد الثياب: نضّدها، وهو أسدي مولاهم، الكوفيّ».

انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمٰن السلميّ، إذا تكلم تكاد تعجب لفصاحته، وحسن صوته.

مولده مجهول، وتوفي بالكوفة أو السمّاوة، قال شعلة: هو موضع بالبادية سنة سبع وعشرين أو سنة ثمان وعشرين ومائة[١].

٤ ـ نافع:

هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نُعيم إمام دار الهجرة، يكنى أبا رُويم أو أبا الحسن، أصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكاً، فصيحاً عالماً بالقراءات ووجوهها.

ولد سنة سبعين، وتوفي سنة تسع وستين ومائة[٢].

٥ ـ أبو عمرو بن العلاء:

هو زبان بن العلاء بن عمّار أو العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث المازنيّ البصريّ، إمام البصرة ومقرئها.

كان أعلم الناس بالقرآن والعربيّة عَدْلاً زاهداً، يتصدّق بالجوائز، وينفق من أرض ورثها. وكان يُلقّب بسيّد القُراء.

ولد بمكة سنة ثمان أو تسع وستين أيام عبد الملك بن مروان.

ونشأ بالبصرة، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة أو سنة سبع وخمسين ومائة أو غيرها[٣].

---

(١) لطائف الإشارات ١/٩٦.

(٢) المصدر نفسه ٩٤.

(٣) لطائف الإشارات ١/٩٥.

ولأبي عمرو ترجمة وافية ودراسة واسعة في نحوه وقراءاته في كتابي «الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي»[1].

* * *

٦ ـ حمزة:

هو أبو عمارة: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيّات الكوفيّ التيمي مولاهم. وهو من تابعي التابعين.

كان عالماً بالفرائض وَرِعاً. وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، انتهت إليه القراءة بعد عاصم.

ولد سنة ثمانين أيام عبد الملك بن مروان، وتوفي بحلوان سنة أربع أو ثمان وخمسين ومائة أيام المنصور أو المهدي[2].

٧ ـ الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكوفيّ إمام أهل الكوفة.

ونعت بالكسائي لتسربله وقت الإحرام بكساء وهو مولى بني أسد، فارسيّ الأصل من تابعي التابعين، انتهت إليه الرياسة في القراءة واللغة والنحو.

قال نصير: «كان إذا قرأ أو تكلم كأنَّ ملَكاً ينطق على فيه، وكان يجلس على منبر الكوفة، ويقرأ، فتضبط المصاحف بقراءته، وتؤخذ الألفاظ منه.

توفي سنة تسع وثمانين ومائة بإحدى قرى (الرّيّ) في توجهه مع الرشيد إلى خراسان»[3].

---

(١) انظر الحلقة المفقودة من ص ١٨٧ ـ ٢٧٥.

(٢) لطائف الإشارات ٩٦ ـ ٩٧.

(٣) لطائف الإشارات ٩٦ ـ ٩٧.

٩ ـ القراءات الشاذة:

يبين ابن الجزري مقياس القراءة الصحيحة فيقول:

«كل قراءة وافقت العربيّة، ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها»، ولا يحلّ إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم»[١]:

هذا المقياس الذي نص عليه ابن الجزري يوسع دائرة القراءات الصحيحة، ولا يحصرها في دائرة القراءات السبع، وفي الوقت نفسه لا يسمح للقراءات الشاذة أن تدخل في هذه الدائرة، لأن مقياس القراءة الصحيحة يبعدها عن هذه الدائرة.

ونحن إذا نظرنا إلى القراءات السبع لوجدناها منتخبة من قراءات صحيحة موافقة لخط المصحف، وموافقة أيضاً للعربية. يدل على ذلك ما قاله نافع: «قرأت على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شك فيه واحد تركته، حتى اتبعت هذه القراءة»[٢].

وقال مكي: «قرأ الكسائي على حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاثمائة

---

(١) النشر: ج ١ ص ٩.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات: ص ١٧: لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي، طبع نهضة مصر بالفجالة.

حرف لأنه قرأ على غيره، فاختار من قراءة حمزة، ومن غيره قراءة، وترك منها كثيراً»[1].

وقال أيضاً: «وكذلك أبو عمرو قرأ على ابن كثير، وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف، لأنه قرأ على غيره، واختار من قراءته. ومن قراءة غيره قراءة»[2].

لهذا، فإننا نقرر أن القراءة الشاذة هي التي فقدت شرطاً من الشروط التي نص عليها ابن الجزري في النص السابق، وليست القراءات الشاذة، كما يدعي بعض العلماء ـ هي التي لا تخضع للقراءات السبع، أو التي لا تنطبق عليها هذه القراءات السبعية التي اختارها ابن مجاهد باجتهاده الخاص.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

١٠ ـ أشهر القراء الذين نسبت إليهم القراءات الشاذة:

١ ـ ابن شنبوذ: محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ:

من قراءته الشاذة أنه قرأ: **﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله﴾**[1] وقرأ: **﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً﴾**[2] وقرأ: **﴿فلما خرّ تبيّنت الناس أن الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين﴾**[3]. . إلخ.

ولا شك أن هذه القراءات كانت مخالفة لخط المصحف، ولذلك أطلق عليها شاذة ويقال: أنه اعترف بذلك كله، ثم استتيب، وأخذ خطه بالتوبة، فكتب يقول: «محمد بن أحمد بن أيوب، قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه، والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته ثم بان لي أنّ ذلك خطأ. . وأنا منه تائب، وعنه مقلع، وأن الله جل اسمه منه بريء»[4].

٢ ـ ابن مقسم: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن. . . ابن مقسم أبو بكر العطار المقرىء ولد سنة ٢٦٥ هـ، ومات لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٣٥٤ هـ.

حدث أبو بكر الخطيب قال: «ومما طعن به علي أبي بكر ابن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن، فخالف الإجماع فيها، وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة العربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم فأنكروه

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٩. (٢) سورة الكهف: الآية ٧٩.

(٣) سورة سبأ: الآية ١٤.

(٤) انظر الفهرست: ص ٥٣، ٥٤: لابن النديم، مطبعة الاستقامة.

وارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره، واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة، وكتب محضراً بتوبته، وأثبت جماعة ممن حضر المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه.

وقد قال عنه أبو طاهر بن أبي هاشم المقرىء: «وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه في العربية في حرف القرآن، يوافق خط المصحف، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها قصد السبيل، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه»[1].

ومن قراءة ابن مقسم: أنه قرأ في قوله تعالى: **﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً﴾**. قرأ: «نجباً»[2].

قال الرافعي: «فأزالها بذلك عن أحسن وجوه البيان العربي»[3].

٣ ـ **أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي** في أواخر المائة الثانية قد جمع قراءة نسبها إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ومنها: **﴿إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ﴾**[4] وقد كذبوه في إسناده، وجعلوه مثلاً بينهم في القراءات الموضوعة المردودة[5].

* * *

---

(١) انظر: معجم الأدباء: ج ١٨ ص ١٥٠، ١٥١، بتصرف.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٠.
(٣) إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥٧.
(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٥) إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥٧.

تعدّد المصاحف والقراءات الشاذة:

تعدّد المصاحف يعتبر سبباً جوهرياً في تعدّد القراءات. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا تعدّدت المصاحف إلى جانب المصحف الأم الذي جمعه زيد بن ثابت في عهد أبي بكر رضي الله عنه؟ وقبل أن نجيب عن هذا السؤال أحب أن ألقي ضوءاً كاشفاً على قضية جمع القرآن الكريم على يد زيد بن ثابت في عهد أبي بكر رضي الله عنه في إيجاز لأن هذه القضية تناولناها بالبحث المفصّل، والدراسة المستوعبة في مقدّمة معجم القراءات القرآنية[1].

جمْعُ زيد للمصحف بأمر أبي بكر رضي الله عنه كان أمراً ضرورياً، لأن أحداث الدولة والجهاد في سبيل نشر العقيدة، وكثرة الفتن، وبخاصة فتنة أهل الردّة، كل ذلك دعاهم إلى أن يتجهوا إلى كتاب ربّهم، لصيانته من كل تحريف، وإحاطته بأسوار منيعة من التحرّي الكامل، والدقة المتناهية في جمعه حتى لا يدخل فيه ما ليس منه، وبذلك يكون القرآن في قمة التوثيق الكتابي ليكون مرجعاً حينما يستبدّ النسيان بالذاكرة، ومصدراً يفزعون إليه إذا حدث خلاف في قراءة أو جدل في آية.

يقول زيد بن ثابت كاتب الوحي على عهد الرسول ﷺ:

«أرسل إليّ أبو بكر عقب مَقْتَل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في

---

(١) معجم القراءات القرآنية تأليف الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم وطبع على نفقة الجامعة مرتين في ثمانية مجلّدات.

المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد، قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحْي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن، اجْمَعْهُ، فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[1]، واللّخاف[2]، وصدور الرجال»[3].

وكان منهج زيد في جمع القرآن الكريم يقوم على الخطط التالية:

١ ـ عدم قبول قراءة من القرآن الكريم حتى يشهد شهيدان[4].

وقد أخرج ابن أبي داود عن طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[5].

٢ ـ التقاء المحفوظ بالمكتوب لتوثيق النص القرآني، فالمكتوب من دون أن يتواتر سماعه لا قيمة له، ولا قيمة لمسموع ما لم يسجل كتابةً، لأن القرآن الكريم كتب جميعه لم يسقط منه شيء من عهد الرسول ﷺ.

ولحق بالرفيق الأعلى بعد أن تمّ التوثيق بشقيّه المحفوظ والمكتوب.

---

(١) العُسُب: جمع عسيب، وهو جريد النخل.
(٢) اللِّخاف بكسر اللام: جمع لخفة بفتح اللام، وسكون الخاء، وهي الحجارة الدقاق.
(٣) انظر الإتقان ١/٥٧ .
(٤) الإتقان ١/٥٨.
(٥) الإتقان ١/٥٨.

ولعلّ هذا ما عناه ابن حجر حينما قال: المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب[١].

٣ ـ عدم الاكتفاء بالمكتوب دون المحفوظ، فقد يكون هناك خطأ في المكتوب لا يؤيده المحفوظ، وهذا ما قرّره أبو شامة بقوله: «ألاّ يكتب إلاّ من عَيْن ما كتب بين يديْ النبيّ ﷺ لا من مجرّد الحفظ»[٢].

٤ ـ لا يكتفي بالمحفوظ دون المكتوب، فإن المحفوظ وحده، وإن تواتر غير كاف ما لم يكن مكتوباً.

ومن الأمثلة على ذلك رفض آية الرّجم التي جاء بها عمر، فلم تؤخذ لأن عمر كان وحده، فسقط الركن الثاني من الشهادة، حتى ولو كانت الآية مكتوبة عنده[٣].

وكذلك ردّت رواية حفصة: «والصلاة الوسطىٰ، وهي صلاة العصر، فقد سألها أبوها عمر: ألك بهذا بيّنة؟ قالت: لا، قال: فوالله لا نُدخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بيّنة»[٤].

والقارىء لخطوط هذا المنهج لا يعتريه شك بأن هذا المنهج قمة في التخطيط الدقيق، والتحرّي الصادق، وهو منهج لا تصل إلى دقته المناهج العلمية المعاصرة، ومن ثمّ كان الدكتور محمد حسين هيكل على حق حيثما قال: نستطيع أن نقول في غير تردّد: «إنه: اتبع طريقة التحقيق العلميّ المألوفة في عهدنا الحاضر، وقد اتبّع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقّة»[٥].

وبعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بقي هذا المصحف عند عمر.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة. (٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين: ١٥٨ نقلاً عن كتاب «فصل الخطاب للطبرسيّ مخطوط رقم ٦٠٥ تفسير مكتبة تيمور.

(٥) الصديق أبو بكر: ٣٢٢، طبعة أولى.

وقد تمّ في عهد عمر إرسال قُراء إلى بلاد الشام، ليعلموا الناس القرآن بعد أن كثر المسلمون في هذه الديار ونَموْا.

وكان هذا الإرسال جانباً آخر من جوانب التوثيق لقراءة القرآن حتى لا تنحرف الألسنة عن صواب القراءة:

وقد حدّد ابن سعد في طبقاته هؤلاء القراء، وهم: معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء[1].

ومن هذه المرحلة التي بدأت بأبي بكر رضي الله عنه، وامتدّت إلى نهاية عهد عمر رضي الله عنه كانت هناك ظاهرة تستوجب التوقّف عندها، لأن لها أثراً كبيراً في قراءات القرآن، وهي ظاهرة تعدّد المصاحف التي جعلناها عنواناً لهذه النقطة من هذه الدراسة، وقد بدأنا هذه النقطة بسؤال أرجأنا الإجابة عنه، وهو لماذا تعدّدت المصاحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى جانب المصحف الذي جمع بأمره في عهده؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

لم يحاول أبو بكر رضي الله عنه أن يمنع المصاحف الفردية التي انتشرت في عهده بجانب المصحف الإمام الذي جمع بعد طول عناء، وجهد منقطع النظير، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه لم تحدث وقائع تدعو إلى توحيد المصاحف من ناحية ولأن القرآن نزل على سبعة أحرف للتيسير والترغيب في القراءة من ناحية أخرى، ولهذا أباح أبو بكر رضي الله عنه تعدّد المصاحف، وأبقاها كما هي عند أصحابها لم تمسّ، ولم يحاول أن يحجر عليها، فلا يقرأ منها.

وقد تناولنا بإفاضة موضوع تعدّد المصاحف في مقدمة معجم القراءات ونوجز هنا القول عن أشهر هذه المصاحف:

* * *

---

(١) انظر الطبقات الكبرى ٢/٣٥٧، دار صادر، ودار بيروت للطباعة.

١ ـ مصحف عليّ كرّم الله وجهه:

«فعن ابن سيرين قال: «قال عليٌّ: لمّا مات رسول الله ﷺ: آليت ألاً آخذ عليّ ردائي إلاّ لصلاة جُمْعة حتى أجمع القرآن فجمعته»[١]. ومن دون شك فإن هذا الخبر يدل دلالة واضحة على أن فكرة جمع المصحف كانت مستقرة في ذهن علي قبل أن يجمع أبو بكر مصحفه.

ولمصحف عليّ قيمة تاريخيّة إلى جانب أن عليّاً كان من القُراء، وقراءته يمثّلها مصحفه.

وقيمته التاريخية ترجع إلى أن قراءات أربعة قرّاء من القراء السبعة تنتهي إلى قراءة عليّ كرّم الله وجهه.

أمّا هؤلاء القراء الأربعة فهم:

١ ـ **أبو عمرو بن العلاء**: قرأ على نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر وكلاهما قرأ على أبي الأسود، وأبو الأسود قرأ على علي كرم الله وجهه[٢].

٢ ـ **عاصم بن أبي النجود**: قرأ على أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلميّ الضرير الذي قرأ على علي كرم الله وجهه»[٣].

٣ ـ **حمزة الزيات**: قرأ على أبي عبد الله جعفر الصادق الذي قرأ على أبيه محمد الباقر، وقرأ الباقر على أبيه زين العابدين، وقرأ زين العابدين على أبيه سيّد شباب أهل الجنة، وقرأ الحسين على أبيه عليّ بن أبي طالب[٤].

٤ ـ **وقرأ الكسائي على حمزة الزيات**، وعليه اعتمد، وتقدم سند حمزة[٥].

هذا، ومما يجدر ذكره أن مصحف علي كرم الله وجهه لا يختلف

(١) الإتقان ١/٥٧

(٢) النشر ١/١٣٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٦٥.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٧٢.

عن مصحف عثمان رضي الله عنه، وهو المصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والمسلمون اللهم إلاّ في القراءة التي يحتملها رسم المصحف العثماني.

إن قراءة علي في مصحفه لا تخرج عن الرسم العثماني، وما روي عن عليّ كرم الله وجهه من قراءات متفقة مع الرسم واعتبرت شاذّة، فهذه القراءات لم تتواتر ولم يقوَ سندها. ومن هذه القراءات ما يلي:

١ ـ قرأ علي: ﴿فمن خاف من مُوصٍ حَيْفًا﴾[1] وقراءة العامّة جنفاً بالجيم والنون[2].

٢ ـ وقرأ: ﴿لنُثْوِينَّهم في الدنيا حسنة﴾[3]، بالثاء وقراءة العامّة: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ»[4].

٣ ـ وقرأ: ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾[5] وقراءة العامّة: «لَنُحَرِّقَنَّهُ»[6].

٤ ـ وقرأ: ﴿آمَرْنا مُتْرِفيها﴾[7] على وزن «عامَرْنا» وقراءة العامّة «أمرنا»[8].

فهذه جملة من القراءات المنسوبة إلى علي كرم الله وجهه سقتها كنماذج للقراءات التي وافقت رسم المصحف، ولكنها اعتبرت شاذة لضعف سندها وروايتها.

على أن علياً كرّم الله وجهه نسبت إليه قراءات شاذة أخرى وشذوذها من قبل أنها مخالفة لرسم المصحف، ومن نماذجها ما يلي:

١ ـ قرأ عليّ: ﴿حطب جهنم﴾[9]، وقراءة العامة: «حصب جهنم»[10].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٢.
(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٤.
(٣) سورة النحل: الآية ٤١.
(٤) المحتسب ٢/ ٩.
(٥) سورة طه: الآية ٩٧ .
(٦) المحتسب ٢/ ٥٨.
(٧) سورة الإسراء: آية ١٦
(٨) المحتسب ٢/ ١٤.
(٩) سورة الأنبياء: الآية ٩٨
(١٠) المحتسب ٢/ ٦٧.

٢ ـ قرأ: ﴿يا مالُ﴾[١]، وقراءة العامّة: «يا مالِكُ»[٢].

٣ ـ قرأ: ﴿بوالديه حسناً﴾ وقراءة العامة: «إحساناً»[٣].

٤ ـ ﴿فلمّا سَلّما﴾ وقراءة العامّة: «فلمّا أسلما»[٤].

في ضوء هذه القراءات المنسوبة إلى عليّ كرّم الله وجهه نقرّر ما يلي:

١ ـ ليس مصحف علي الذي احتفظ به إلى عهد عثمان قبل أن يقوم الإمام عثمان رضي الله عنه بتوحيد المصحف الإمام وحرق جميع ما سواه ـ مخالفاً للمصحف الإمام إلا في القراءات الشاذة، وهي قراءات تفسيرية أو روايتها آحادية.

٢ ـ بعد توحيد المسلمين على مصحف واحد كانت هناك قراءات آحادية منسوبة إلى عليّ كرم الله وجهه، وتناقلها الرّواة تناقُلاً لم يصل إلى حدّ التواتر هذه القراءات التي سجّلت من كتب التفسير واللغة والقراءات.

٣ ـ بعد مرحلة توثيق النص القرآني في عهد عثمان ما كان لنا أن نعتد بقراءة في مجال التوثيق غير القراءات العامّة المشهورة.

٤ ـ ما نسب إلى الإمام عليّ من قرآن مخالف لما في المصحف الذي بين أيدينا متجاوزاً مخالفة الرسم لا يعتدّ به في مجال القراءات الصحيحة أو الشاذّة وإنما هو تفسير من كلام علي لا من كلام الله تعالى.

٥ ـ تثبت الأخبار أن علياً ـ كرم الله وجهه ـ كان مؤيداً لحركة عثمان في إحراق المصاحف، وتوحيد المسلمين على مصحف واحد، فقد رَوَوْا عنه قوله: «يا معشر الناس» اتّقوا الله عزّ وجلّ، وإيّاكم والغلوّ في عثمان، وقولكم حرّاق المصاحف، فوالله ما حرّقها إلا من كلامنا أصحاب محمد ﷺ»[٥].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٧ .
(٢) المحتسب ٢/ ٢٥٧.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥ .
(٤) المحتسب ٢/ ٢٦٥.
(٥) سورة الصافات: الآية ١٠٣ .
(٦) المحتسب ٢/ ٢٢٢.
(٧) مقدمتان في علوم القرآن: ٤٦.

ويهذا القول سدّ الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ باب الفتنة حتى لا تمتدّ إلى المصحف الإمام يد العبث على مرّ الزمان.

هذا وجملة القراءات الشاذّة التي نسبها ابن جني من المحتسب للإمام عليّ كرّم الله وجهه في ضوء إحصائي لهذه القراءات بلغت ستين قراءة.

وشذوذها كما قلت إمّا من جهة مخالفتها لرسم المصحف الإمام وإما من جهة أنها ضعيفة السند والرواية، فلم تقو قوّة القراءات السبع التي تواترت رواياتها. ولم تخرج عن رسم المصحف الإمام في قراءتها.

وأما ما نسب إلى الإمام عليّ من قراءات مصدرها أهل الشيعة مخالفة للمرسوم، فضلاً عن ضعف سندها، فهي تفسيرات وتأويلات لا تعتبر قراءات شاذة أو غير شاذة، وهي بعيدة عن النصّ القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هذا وفريق من أهل الإماميّة يعتبرون تفسيرات الإمام علي أو تأويلاته للقرآن من قِبَل القرآن تفسيراً ومجازاً، لا واقعاً ولا حقيقة.

وما نسب إلى الإماميّة من اتّهام كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان بأنهم حرّفوا القرآن، أو أسقطوا منه، أو زادوا عليه فهو مَحْض افتراء بعيد عن الحق، دفع إليه هوى النفس، ووسوسة الشيطان.

ومن جملة اتِّهاماتهم قولهم: إن كبار الصحابة أسقطوا من سورة ﴿ألم نشرح. . .﴾: «وجَعَلْنا علياً صِهْرَك» وهو يدلّ من وجهة نظرهم على تخصيص علي بكونه صهراً دون عثمان.

وكذلك أسقطوا سورة الولاية «ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها أهل البيت»[1].

ولا شك أن هذا الفريق الذي يدّعي هذا الادعاء استبدّ به الهوى وأعماه

(١) انظر مختصر التحفة ٣٠، ٣٢ وقد اقتبس النّص من فقه الشيعة الإمامية ١/ ٥٠ للدكتور على السالوس.

التعصب، وما أتى به مخالف لإجماع الأمة فهو قول ساقط وما يحتفظون به من قرآن أو قراءات غير موجودة في المصحف العثماني قولٌ غير مقبول أيضاً.

والإمام علي كرم الله وجهه بريءٌ مما نُسب إليه، فقد كان يعرف للقرآن قدره، ويكفي أن ابن خالويه وهو معروف تَاريخياً بأنه شيعيّ ذكر عن علي حينما عرض لقراءة: «وطلع منضود» مكان: ﴿وطلح منضود﴾ وهي قراءة العامّة، قال: قرأها علي بن أبي طالب على المنبر: «وطلع منضود» فقيل له: «أفلا نغيّره في المصحف؟ قال: ما ينبغي للقرآن أن يهاج، أي لا يغير»[1].

ودليل آخر ذكره صاحب «المباني» حينما قال في معرض الرّد على القراءة المنسوبة إلى علي رضي الله عنه: «والعصر، ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر».

قال صاحب المباني: هذه الروَاية باطلة بما روي عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش قال: قال لي عاصم بن أبي النجود: ما أقرأني أحدٌ من الناس حرفاً إلاّ أبو عبد الرحمٰن السلميّ، وأبو عبد الرحمٰن قرأ على عليّ كرم الله وجهه... إلى أن يقول: إنما روى أبو عبد الرحمن السلميّ عن علي رَضي الله عنه: ﴿والعصر، إِن الإنسان لفي خسر﴾.

ثم قال صاحب المباني: إن من روى عنه: «والعصر ونوائب الدهر» فقد كذب أو نسي»[2].

٢ ـ مصحف أبيّ بن كعب:

أبيّ بن كعب عرض القرآن على النبيّ ﷺ، وقد شهد له بالقراءة بل شهد له بأنه أفضل القرّاء، فعن أبي قلابة: «أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٢٩.

(٢) مختصر البديع: ١٥١ نقلاً عن تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين: ١٦٥.

(٣) مقدمتان في علوم القرآن: ١٠٣، لخص الحديث عن مصحف عليّ من مقدمة معجم القراءات لانتفاع عامة المثقفين بهذه الدراسة.

أقرؤهم أبيّ بن كعب»[1].

وقد بلغت منزلة أبيّ في مجال قراءة القرآن أعظم درجة حينما قرأ عليه نبيّ الأمة رسول الله ﷺ القرآن، فعن قتادة عن أنس رضي الله عنه: «أن النبيّ ﷺ قال لأبيّ: إني أمرت أن أقرأ عليك! وفي لفظ: إني أقريك القرآن! قال: آلله سمّاني لك؟ قال: نعم، فبكى أبيّ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب» رضي الله عنهم»[2].

وكان أبيّ في عهد عمر مرجعاً يحتكمون إليه عند الاشتباه في قراءة آية، وهذا يدلّ على تمكّنه من القرآن وقراءاته، ففي البحر المحيط، قال أبو حيّان:

«وعن عمر أنه كان يروي: ﴿الذين اتّبعوهم بإحسان﴾[3] بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد بن ثابت: إنها بالواو، فقال عمر: ائتوني بأبيّ، فقال: تصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة: «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم»[4] وأواسط الحشر: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾[5]، وآخر الأنفال: ﴿والذين آمنوا من بعد...﴾[6].

وكان لأبي مصحف كما كان لعليّ، ولا غَرْو في ذلك فأبيّ من حفظة القرآن الكريم كما قلنا، وهو من كُتّاب الوحي للرسول ﷺ.

واشتهر أُبيّ بأنه جمع القرآن في عهد النبي ﷺ[7]. وكان يكتبه في صحف سميت فيما بعد مصحفاً بقراءته التي سمعها من النبي ﷺ، هذا وقراءة أبي من خلال مصحفه الذي جمعه قبل أن يحرق عثمان المصاحف

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٣٢، ٣٣.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٤) سورة الجمعة: الآية ٣.

(٥) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٦) سورة الأنفال: آية ٧٥، وانظر البحر ٥/ ٩٢.

(٧) الإتقان ١/ ٧٢.

ذات قيمة كبيرة، لأن ستة من أسانيد القراء السبعة متّصل إسنادهم بأبي بن كعب. وهؤلاء الستة هم: نافع ـ وابن كثير ـ وأبو عمرو ـ وعاصم بن أبي النجود ـ وحمزة الزيات ـ والكسائي[1].

والقراءات التي نسبت لأبيّ لا تخرج عن أمرين اثنين، وهما:

١ ـ ما تواتر من القراءات، واحتمله الرسم العثماني، فهذه القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد فيما بعد، وقد قلت بأن ستاً من هذه القراءات متواترة السند إلى أبي رضي الله عنه.

٢ ـ ما انفرد به أبي من القراءات بدون تواتر فإنه يعتبر قراءة شاذّة ومعظم هذه القراءات مرجعه إلى القراءات التفسيرية.

أ ـ قراءات تدور حول الترادف:

ترادف الكلمات في قراءته مع كلمات القراءات المتفقة مع رسم المصحف العثماني وإليك نماذج منها:

١ ـ قرأ أبيّ: «وغير الضالين»، وقراءة العامة: «ولا الضالين»[2].

٢ ـ قرأ أبيّ: «فلما أضاء لهم مرّوا فيه» وقراءة العامة: «مشوا فيه»[3].

٣ ـ قرأ أبيّ: «فتذروها كالمسجونة» وقراءة العامة: «كالمعلّقة»[4].

٤ ـ قرأ أبيّ: «ربنا وابعث فيهم في آخرهم رسولاً»[5] بزيادة «في آخرهم».

٥ ـ قرأ أبيّ: «إن الساعة آتية أكاد أخفيها[6] ـ من نفسي» بزيادة «من نَفْسِي».

---

(١) انظر مقدمة معجم القراءات ٢١ ـ ٢٢.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٧. وانظر البحر ١/٢٩ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥، وانظر البحر ١/٩٠.

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٩، وانظر البحر ٣/٣٦٥.

(٥) سورة البقرة ١٢٩، وانظر البحر ١/٣٩٣.

(٦) سورة طه: الآية ١٥، وانظر البحر ٦/٢٣٣.

ب ـ قراءات أخرى نسبت إلى أبيّ وهي متفقة مع الرسم، ولكنها ضعيفة في باب الرواية لأنها لم تبلغ حدّ التواتر ومن نماذج هذه القراءات ما يلي:

١ ـ قرأ أبيّ: «وقرآناً فرّقناه»[١] بالتشديد، وقراءة العامة: «فرقناه» بالتخفيف.

٢ ـ قرأ أبيّ: «فقبصْتُ قبصة»[٢] بالصاد، وقراءة العامة: «فقبضت قبضة»[٣].

٣ ـ قرأ أبيّ: «ولا تكلّمون أنه»[٤] بفتح الألف، وقراءة العامة: إنه بكسرها[٥].

٤ ـ قرأ أبيّ: «صادِ»[٦] بكسر الدال، وقراءة العامة «صْ» بسكونها.

شبهات حول مصحف أبيّ:

هناك قراءات منسوبة إلى أبي رضي الله عنه تحتاج إلى نقاش، لأنها لا تتفق مع هذا العمل الضخم بالنسبة لتوثيق النصّ القرآني في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهي قراءات تشبه الروايات الإخبارية التي تحتاج إلى سند قائم على منهج إخباري صحيح لتقبّل هذه الروايات.

من هذه الروايات:

قراءة أبيّ: «والسابقون الإيمان بالنبيّ فهم عليّ وذريته الذين، اصطفاهم الله من أصحابه، وجعلهم الموالي على غيرهم أولئك هم الفائزون الذي يرثون الفردوس هم فيها خالدون»[٧].

إن نسيج هذه الرواية يعلن إنها موضوعة، لاضطراب أسلوبها،

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٦، وانظر المحتسب ٢/ ٣.

(٢) سورة طه: الآية ٩٦.

(٣) وانظر المحتسب ٢/ ٥٥.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٨.

(٥) المحتسب ٢/ ٩٨.

(٦) سورة ص: الآية ١، وانظر المحتسب ٢/ ٢٣٠.

(٧) انظر المصاحف لابن أبي داود/ ٩٧.

وتكلف كلماتها، وضعف بنيانها، هذه ناحية، وناحية أخرى، إن التعصب لعليّ كرم الله وجهه من قبل بعض الفرق الشيعية هو الذي دعا إلى اختلاق هذه القراءة، ونسبتها إلى علي، وعليّ كرم الله وجهه منها براء، لأنها لو كانت قرآنية لاشتمل عليها مصحفه، وانتشر ذكرها بين الصحابة، وحيث إنها لم تكن كذلك وليست في مصحفه، ولم ينتشر ذكرها بين الصحابة فهي قراءة كاذبة، ونسبتها إلى مصحف أبيّ أكثر كذباً»[١].

٣ ـ مصحف ابن مسعود:

ابن مسعود علم من أعلام القرآن، تربّى في بيت النبوّة «وكان يتولى فراش النبي ﷺ ووساده، وسواكه، ونعله، وطهوره»[٢].

ورجل هذا شأنه مع النبيّ ﷺ لا بد أن يكون قريب الصّلة منه يعرف كثيراً من أسرار النبوّة، وحقائق الرسالة، ولهذا قال الرواة: «وكان النبيّ عليه السلام يطلع ابن مسعود على أسراره ونجواه»[٣].

وفي مجال قراءاته قال عنه ﷺ: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأه قراءة ابن أم عبد»[٤].

ويتحدّث ابن مسعود عن نفسه في مجال القراءة فيقول: «حفظت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة»[٥].

وقيمة مصحف ابن مسعود ترجع إلى أن ثلاثة من القراء السبعة ينتهي سندهم إلى ابن مسعود، وهؤلاء هم حمزة، وعاصم، والكسائي[٦].

ولمكانة ابن مسعود في قراءة القرآن الكريم كان مرجعاً قرآنياً كبيراً في نظر الصحابة والتابعين، فقد قرأ عليه: «الأسود، وتميم بن حذلم، والحارث بن قيس، وزر بن حبيش، وعبيد بن مقيس، وعبيد بن نضلة، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلميّ، وأبو عمرو الشيباني،

---

(١) انظر مقدمة معجم القراءات ٢١ ـ ٢٤.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/٣٤.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) انظر مقدمة معجم القراءات/ ٢٦.

وزيد بن وهب، ومسروق»[1].

ولا شك أن هذا العدد من القراء يفسّر لنا منزلة ابن مسعود في ميدان القراءة، ومضمار التوثيق.

وإمكانيّة اتصاله بالنبيّ ﷺ وكثرة ملازمته له يدل دلالة واضحة على سموّ هذه المنزلة.

ولا شك أن ابن مسعود كان يشعر بهذه المنزلة، ويحسّ بها في قرارة نفسه فقد قال فيما روي عنه: «والله الذي لا إله غيره لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تبلّغنيه الإبل لرحلت إليه»[2].

ومع منزلة ابن مسعود في مجال القراءة والعلم بالقرآن فقد نسبوا إليه أن مصحفه لا يضمّ «أم الكتاب والمعوّذتين».

وقد ظن بعض الجاحدين أن ابن مسعود كان يرى أن هذه السّور ليست من القرآن. وقد سفه هذا الرأي الإمام ابن قتيبة في كتابه: «تأويل مشكل القرآن».

فقال: عبد الله [أي ابن مسعود] ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا كالعوذة والرّقية وغيرهما، وكان يرى رسولَ الله ﷺ يعوّذ بهما الحسن والحسين وغيرهما كما كان يعوّذ بـ «أعوذ بكلمات الله التامّة وغير ذلك، فظنّ أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة جميعاً. . .

وأما فاتحة الكتاب فإني أشك فيما روي عن عبد الله من تركه إثباتها في مصحفه فإن كان هذا محفوظاً، فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظن به ذلك، وهو من أشدّ الصحابة عناية بالقرآن وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم. . . وهو مع هذا متقدم في الإسلام بدريّ لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يؤمّ بها، وهي السبع المثاني، وأم

---

(١) غاية النهاية ١/٤٥٨.

(٢) غاية النهاية ١/٤٥٨، ٤٥٩.

الكتاب. . . ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان ورأى ذلك لا يجوز على سورة «الحمد» لقصرها، ولأنها تثنّى في كل صلاة، وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلّمها وحفظها كما يجوز ترك تعلّم غيرها وحفظه، إذْ كانت لا صلاة إلاّ بها فلما أمن عليها العِلّة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن»[1].

من أجل ذلك يمكن أن نقول: إن مصحف ابن مسعود لا يختلف في جوهره، وفي لفظه، وفي ترتيبه عن مصحف أبي بكر كما لا يختلف عن المصحف الإمام الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه.

ومصحف ابن مسعود كمصحف عليّ، ومصحف أبيّ ضم بعض القراءات التي اختلفت عن رسم المصحف الذي أقرّته الجماعة في عهد عثمان رضي الله عنه وهذه القراءات كما قلنا تحمل طابع التفسير، وليست قراءات من صُلْب القرآن وهذه نماذج منها:

١ ـ قرأ ابن مسعود: «فالصّوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن».

وقراءة العامّة: «فالصالحات قانتات حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله»[2] بدون: فأصلحوا إليهن».

قال أبو حيّان: وينبغي حملها على التفسير، لأنها مخالفة لسواد الإمام وفيها زيادة، وقد صحّ عنه بالنقل الذي لا شك فيه أنه قرأ وأقرأ على رسم السواد، فلذلك ينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير»[3].

٢ ـ في مصحف ابن مسعود: «ووصّى ربك» من التوصية. وقراءة العامة «وقضى ربك»[4] قال أبو حيّان: وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير، لأنها

---

(١) تأويل مشكل القرآن / ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٣) البحر ٢/ ٢٤٠.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

قراءة مخالفة لسواد المصحف، والمتواتر هو: «وقضى» وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد القُراء السبعة»[1].

٣ ـ قرأ ابن مسعود: «لا يظلم مثقال نملة». وقراءة العامة: «مثقال ذرّة»[2].

٤ ـ قرأ ابن مسعود: «بيت من ذهب» وقراءة العامة: «بيت من زخرف»[3].

٥ ـ قرأ ابن مسعود: «عليها صوافن» والعامة: «عليها صوافّ»[4].

وهناك قراءات شاذة لابن مسعود ليست تفسيرية كالقراءات التي سبقت الإشارة إليها، لأنها تتفق مع رسم المصحف، والشذوذ تسرّب إليها من باب ضعف الرواية، ومن نماذج هذه القراءات ما يلي:

١ ـ قرأ ابن مسعود: «وكان عبد الله وجيهاً» وقراءة العامة: «وكان عند الله وجيهاً»[5].

٢ ـ قرأ ابن مسعود: «ولو جئنا بمثله مداداً» وقراءة العامة: «ولو جئنا بمثله مدداً»[6].

٣ ـ قرأ ابن مسعود: «من الكبر عَتياً» بفتح العين، وقراءة العامّة بكسر العين: «عِتياً»[7].

٤ ـ قرأ ابن مسعود: «من كل جدث ينسلون» وقراءة العامّة: «من كل حدب ينسلون»[8].

---

(١) البحر ٦/ ٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠، وانظر البحر ٣/ ٢٥١.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٩٣، وانظر البحر ٦/ ٨٠.

(٤) سورة الحج: الآية ٣٦، وانظر المحتسب ٢/ ٨١.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٩، وانظر المحتسب ٢/ ١٨٥.

(٦) سورة الكهف: الآية ١٠٩، وانظر المحتسب ٢/ ٣٩.

(٧) سورة مريم: الآية ٢٨، وانظر المحتسب ٢/ ٣٩.

(٨) سورة الأنبياء: الآية ٩٦، وانظر المحتسب ٢/ ٦٦.

هذا وقد بلغت القراءات الشاذة المنسوبة إلى ابن مسعود في ضوء كتاب «المحتسب» أربعاً وسبعين قراءة»[١].

وقبل أن نختم الحديث عن تعدّد المصاحف نشير إلى أن هناك مصاحف أخرى منسوبة إلى مجموعة من الصحابة ذكرها السجستاني في «المصاحف» نذكر منهم: عبد الله بن عباس ـ عمر بن الخطاب ـ حفصة بنت عمر ـ عائشة بنت أبي بكر ـ أم سلمة ـ عبد الله بن عمرو ـ عبد الله بن الزبير[٢].

ولم نتحدث عن هذه المصاحف اكتفاء بمصاحف كبار الصحابة التي تحدثت عنها سابقاً.

والحقيقة أن هذه المصاحف ليست إلا صحفاً أو أجزاء من القرآن الكريم كتبها كل واحد منهم بناء على ما سمع من الرسول عليه السلام، وأطلق عليها اسم المصاحف مجازاً، لأن جمع المصحف لم يكن لأحد من الصحابة قبل أبي بكر، وإلاّ لَمَا تكلّف عناء جمعه على المنهج الصارم الذي تحدثنا عنه. وجميع هذه الصحف أو هذه الأجزاء كتبها كل منهم على ما سمع من ناحية، وعلى التفسير المذكور في الأحرف السبعة من ناحية أخرى.

ولا شك أن المصاحف التي خصصتها بمزيد من البحث لم تكن كاملة أيضاً فمصحف عليّ كرّم الله وجهه على فرْض أنه نجا من حريق عثمان فقد وجد ناقصاً كما حكى ابن النديم في الفهرست حيث ينقل عن ابن المنادي في سلسلة متصلة السند «عن عليّ عليه السلام أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه»[٣].

---

(١) انظر فهرس المحتسب ٢/٥١٦.
(٢) انظر كتاب «المصاحف» لابن أبي داود ٥٥ ـ ٨٨.
(٣) انظر الفهرست ٢٨.

وهذه الرواية التي ساقها ابن النديم لا أطمئن إليها للأسباب التالية:

أولاً: لا يمكن أن يكون في طاقة البشر من يكتب القرآن الذي بين أيدينا في ثلاثة أيام. هذا أمر لا يطمئن إليه العقل حتى ولو كان الكاتب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه.

ثانياً: إملاء القرآن من حفظ القلب فقط من دون أن يكون هناك مجموعة تراجع هذا المحفوظ، وتعين علياً ـ كرم الله وجهه ـ في هذا الإملاء عمل غير متكامل قد يتسرّب إليه النقص أو الزيادة بسبب النسيان، وهو طبيعة من طبائع البشر.

على أن هذا المصحف كما يروي سيرته ابن النديم لم ير كاملاً، فقد قال ابن النديم: «وكان المصحف عند أهل جعفر، ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رحمه الله ـ مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط عليّ بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مرّ الزمان»[١].

وهذا الخبر إن صحّ، وهو بشهادة ابن النديم نفسه الذي رأى هذا المصحف رأي العين يدلّ على أن مصحف علي لم يكن كاملاً، وكيف يتوارثه بنو حسن مع أنه بخطّ أبيهم، وهو على هذا النقص إن لم يكن في الأصل ناقصاً؟

وأمّا مصحف ابن مسعود، فقد عرفنا أنه سقط منه المعوذتان وأم الكتاب، وأمّا مصحف أبيّ فقد تحدث عن عدد آياته ابن النديم فقال: «وجميع آي القرآن في قول أبيّ بن كعب ستة آلاف آية ومائتان وعشر آيات»[٢] مع أن ابن عباس يذكر أن آيات القرآن: «ستة آلاف آية، وستمائة آية، وست عشرة آية»[٣].

وفي المصحف الذي بين أيدينا، والذي تمّ طبعه بمطبعة حكومة الكويت الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ينصّ معرّفه فيقول:

«واتبعت في عدّ آياته طريقة الكوفيين على حسب ما ورد في كتاب:

---

(١) الفهرست ٢٨.
(٢) المصدر نفسه ٣٠.
(٣) مفتاح السعادة ٢/ ٣٩٥.

«ناظمة الزُّهر» للإمام الشاطبي، وشرحها لأبي عبدٍ رضوانَ المخَللاتي، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي، وكتاب: «تحقيق البيان» للأستاذ الشيخ محمد المتولي شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً، وآي القرآن الكريم على طريقتهم **٦٢٣٦** آية»[١].

والذي حملني على هذه المقارنة هو أن نثبت أن مصحف أبيّ أيضاً لم يكن كاملاً، وإنما كمل القرآن بعد جمع أبي بكر له ـ كما تحدثت سابقاً.

ومن أجل تعدد المصاحف إلى جانب مصحف أبي بكر، وانتشار القراء في الأمصار تعدّدت القراءات، وثار الجدل، واحتدم النزاع، واتسعت الفروق بين القراءات، وأطلّت الفتنة برأسها على كتاب هذه الأمة فهيأ الله الخليفة الورع عثمان بن عفّان ليقضي على كل فتنة تحاول أن تمسّ جلال القرآن الكريم.

وبتوفيق الله وإلهامه قام عثمان رضي الله عنه بحركته التاريخية لتوحيد المسلمين على مصحف واحد حتى لا تطلّ رأس الفتنة، وحتى يجتث الخلاف من جذوره، وحتى تبقى للمسلمين هيبتهم وقوّتهم وتماسكهم بكتاب ربهم من دون خلاف[٢].

---

(١) انظر المصحف ص (ج) في التعريف.

(٢) لخص بحث تعدد المصاحف من مقدمة معجم القراءات بتصرّف.

١٢ ـ القيمة الدينيّة للقراءات القرآنية:

من القيم الدينيّة للقراءات القرآنية أن نتبيّن من دراستها القراءات المتواترة التي نقرؤها تعبّداً، والقراءات التي نأخذ بها في مجال الدراسات الشرعيّة واللغوية، وهي التي نطلق عليها القراءات الشاذّة.

ويترتّب على هذه المعرفة بروز قضيّة خطيرة أعلنت عن نفسها في حقل القراءات القرآنية، وهي:

هل تجوز القراءة في الصلاة بالقراءات الشاذّة؟

لقد دار حول هذه القضيّة حوار طويل، ونقاش حادّ ذكره ابن الجزريّ في كتابه النّشر[١].

وعلى الرغم من أن أصحاب الشافعيّ وأبا حنيفة، وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد يجوّزون القراءة في الصلاة بالشاذ. فإن أكثر العلماء منعوا القراءة بها في الصلاة، والصلاة بها باطلة.

والسبب في ذلك أن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبيّ ﷺ، وإن ثبت النقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني.

ومن القيم الدينية للقراءات أننا نأخذ بها سواء كانت متواترة أو شاذّة في بناء الأحكام الشرعيّة.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٤، ١٥.

أ ـ **في الميراث**: قراءة حفص في المصحف الذي بين أيدينا: **﴿وإن كان رجل يورثُ كلالَة أو امرأةٌ وله أخ أو أُخت فلكلّ واحد منهما السدّس﴾** [النساء: ١٢] وقرأها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وآخرون: «وله أخ أو أخت من أم» بزيادة «من أم».

فإن القراءة الأولى المتواترة تُفسّر على أنّ المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم بناءً على هذه القراءة الشاذة.

ب ـ **في كفّارة اليمين**: نجد أن القراءة مرجّحة لحكم اختلف فيه، وبيان ذلك قوله تعالى: **﴿لا يؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم، ولكن يُؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تُطْعمون أهليكم أو كِسوتهم أو تحرير رقبة﴾** [المائدة: ٨٩] وقد وردت الكفارة في القتل: **﴿أو تحرير رقبة مؤمنة﴾** [النساء: ٩٢].

وقد اختلف العلماء في تحرير الرقبة، وفلو أعتق إنسان كيف ما كان فالإعتاق يجزىء من منطوق هذه الآية، ولكن الشافعي رضي الله عنه اشترط الإيمان في الرقبة بناء على القراءة الأخرى في كفارة القتل، والتي تشترط إيمان الرقبة.

ج ـ **في العبادات**: غسلِ الأرجل أو مسحها في الوضوء: وردت قراءة: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾** [المائدة: ٦]، فقراءة حفص عن عاصم وأرجلكُم «بالنصب معطوفة على «وجوهكم» فتكون الأرجل مغسولة والجر عطفاً على برءوسكم، فتكون الأرجل ممسوحة، فبين النبي ﷺ القراءتين، فجعل المسح للابس الخُفّ، والغسل لغيره.

د ـ **في الظواهر الكونية**:

هناك قراءات قد تفسر الظواهر الكونية، ففي الآية السادسة والثمانين من سورة الكهف وهي: «حتى إذا بلغ مَغْرَب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة» وهي قراءة حفص عن عاصم في المصحف الذي بين أيدينا، ومعنى حمئة: أنها مملوءة بالماء والطين من الحمأة.

وقرأها الباقون أي غير عاصم من القراء: «في عين حامية».

ويذكرون لهاتين القراءتين قصة وقعت بين معاوية رضي الله عنه، ومجموعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمرو وابن عباس، فقد قرأها معاوية: «في عين حامية» واعترض ابن عباس قائلاً: ما نقرؤها إلاّ حمئة، فالتفت معاوية إلى عبد الله بن عمرو وهو عالم بالقراءات يسأله، كيف تقرؤها، فأجاب: كما قرأتها يا أمير المؤمنين، وغضب ابن عباس حينما اتهم بالجهل بالقرآن فهتف محتجاً: «في بيتي نزل القرآن».

وحسماً للخلاف أرسل معاوية إلى كعب الأحبار. وكان عالماً من علماء اليهود أسلم، وأصبح من كبار التابعين فقال له معاوية: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فأجاب: أمّا العربية فأنتم أعلم بها، وأمّا أنا فأجد الشمس في التوراة تغرب في ماء وطين فوافقه ابن عباس[1].

وجه من وجوه القراءات:

على أننا إذا ألقينا نظرة على معجم القراءات القرآنية قراءة رقم ٤٨٨٠ رأينا أن قراءة «حامية» من القراءات السبع فقد قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي[2] ويفسّرها ما رواه أبو ذر من أنه كان ردف رسول الله ﷺ وهو على حمار فرأى الشمس حين غربت فقال: يا أبا ذر: أين تغرب هذه؟ فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تغرب في عين حامية بل ينسب إلى عبد الله بن عمرو نفسه أنه قال: إن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية، في نار الله الحامية، ولولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض».

ومن القراءات القرآنية التي تفسّر الظواهر الكونية، وتتفق مع الظواهر العلمية ما ذكر الآلوسي في تفسير قراءة: ﴿والشّمس تَجْري لِمُسْتقرّ لها﴾ [يس: ٣٨] وهي قراءة حفص عن عاصم في المصحف الكريم الذي بين

---

(١) انظر: القرآن وعلومه في مصر ١٥٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٤.

أيدينا. وتناول الآلوسيّ تفسير هذه القراءة السبعية قائلاً: «تجري لمستقرّها تحت العرش، فالمستقرّ: اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة.

قال الواحديّ: وعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرّت تحت العرش إلى أن تطلع.

وساق ابن حجر في فتاويه جملة من الأخبار تتعلق بالموافقة على هذا التفسير.

على أن هذا التفسير لم يقتنع به أئمة آخرون لهم وزنهم الديني ومكانتهم في عالم التفسير والعلوم الإسلامية، وعلى رأس هؤلاء إمام الحرمين فقد ذكر أن لا خلاف في أنها تغرب عند قوم، وتطلع على آخرين، والليل يطول عند قوم، ويقصر عند آخرين. وهناك من الأماكن ما تكون فيه السّنة نصفُها ليل، ونصفُها نهار. والأدلة قائمة على أنها لا تسكن عند غروبها، وإلاّ لكانت ساكنة عند طلوعها بناء على أن غروبها في أفق وطلوعها في أفق آخر.

وأيضاً هي قائمة على أنها لا تفارق فلكها، فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش.

وقد وقف الآلوسيّ حائراً في حلّ هذه المشكلة حتى قال: وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ما سمعت من الأخبار الصحيحة وبين ما يقتضي خلافها من العيان والبرهان فلم أوفق لأن أفوز بما يروي الغليل، ويشفي العليل.

رحم الله الألوسيّ، فقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضربها.

وفي رأيي أن الآلوسي لو نظر إلى القراءة الأخرى التي تفسر هذه القراءة، والقراءات يفسّر بعضها بعضاً ـ لما وقع في هذه الحيرة، فهناك قراءة أخرى: ﴿**والشمس تجري لا مستقر لها**﴾، وهي قراءة تتفق مع العلوم

---

(١) انظر قراءة رقم ٧٣٠٠ في معجم القراءات القرآنية.

الفلكيّة، وتنسجم مع النظريات العلميّة التي تؤكد أن الشموس والنجوم والكواكب، والأقمار كلها متحرّكة غير ساكنة، لأنها تدور حول نفسها تارة وحول غيرها تارة أخرى وهذا ما نجده في النصّ القرآني نفسه في هذا الموضع بعينه كما يقول القرآن الكريم: **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون﴾** على أن هذه القراءة الثانية قرأ بها مجموعة من الصحابة والتابعين.

فمن الصحابة: عبد الله بن مسعود، وابن عباس وعكرمة.

ومن التابعين: عطاء بن رباح، وعليّ بن الحسين، وجعفر الصادق.

وبعد:

فإني أختم هذا البحث عن القيمة الدينية للقراءات بما ذكره ابن الجزري في النشر، حيث تعرّض لهذه القيمة بأسلوب ممتع، وبيان فيّاض، فماذا قال:

قال ما نصه: [فائدة]: اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد. منها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز.

ومنها: ما في ذلك عظيم البرهان، وواضح الدلالة. إذا هو مع كثرة هذا الاختلاف، وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبيّن بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد، وأسلوب واحد وما في ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ.

ومنها: سهولة حفظه، وتيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والإيجاز، فإنه من يحفظ كلمة، ذات أوجه أسهل عليه، وأقرب إلى فهمه، وأوعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات، لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً، وأيسر لفظاً.

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته وإنعامهم النظر، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل بقدر ما تبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم.

ومنها: بيان فضل هذه الأمة، وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال.

ومنها: ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة لهذه الأمة الشريفة من إسنادها كتاب ربها... وكل قارىء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله.

ومنها: ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل.. فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار من إمام حجّة قائم بنقل كتاب الله، وإتقان حروفه، ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مرّ الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور»[1].

هـ - القراءات الشاذة توضح المعنى المراد:

قد تحتمل الآية القرآنية معنيين أو أكثر، فالقراءات الشاذة توضح المراد وتكشف المبهم، وتحدّد المعنى المختار.

١ - ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾**[2].

---

(١) النشر: ج ١ ص ٥٢، ٥٣، بتصرف.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

اختلف المفسّرون والفقهاء اختلافاً كبيراً في هذه الآية، فأبو بكر ابن الأنباري يقول: «الوقف على: «وما يعلم تأويله إلاّ الله»: تامٌّ[1] لمن زعم أن الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله، وهو قول أكثر أهل العلم»[2].

ومن الفقهاء الذين أيدوا هذا الوقف فقهاء الحنفية «القائلون بأن المتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه، فالراسخون مبتدأ، وجملة يقولون خبر عنه»[3].

ويسرد ابن الأنباري الرأي الآخر في الوقف، ويعتبره الوقف الحسن فقال: «عن مجاهد في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ قال: والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به، فعلى مذهب مجاهد: «الراسخون» مرفوع على النسق على «الله». والوقف على «في العلم» حسن غير تام، لأن قوله: «يقولون آمنا به» حال من الراسخين، كأنه قال: «قائلين آمنا به» فالوقف قبل الحال غير تام»[4].

وهذا الرأي «هو الذي ذهب إليه الشافعية، وسائر من فسّر المتشابه بما لم يتّضح معناه.

وهذا الرأي الثاني رجحه الألوسي في تفسيره بعدّة وجوه[5].

والذي يعنينا من هذه القضية هو أن هناك قراءات شاذة ترجح الرأي الأول وهو أن تأويله موقوف على الله تعالى وحده وهو ما ذهب إليه الأحناف كما بيّنا.

وهذه القراءات الشاذة متمثلة في قراءة ابن مسعود: «إنْ تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون»، وقراءة أبيّ: «ويقول الراسخون في العلم» والوقف على قوله: «آمنّا به»: حسن[6].

---

(١) انظر الوقف التام ومعناه في بحث مصطلحات في علم القراءات ٩٨ من هذا الكتاب.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٥.

(٣) تفسير الألوسي ٣/ ٨٤.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء.

(٥) انظر تفسير الألوسي ٣/ ٨٤.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٦، وانظر في هذه القراءات معجم القراءات القرآنية قراءة رقم ٩٢٦، ٩٢٧.

واضحٌ إذاً أن القراءات الشاذة ساعدت في فهم المعنى المراد من هذه الآية وقوّت رأياً على رأي، ورجحت جانباً على جانب.

* * *

٢ ـ ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: قراءة طلحة:

«ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة، وهي على الظالمين ساءت الغاشية».

وقراءة العامة أوالجمهور: «ليس لها من دون الله كاشفة»[١].

قال ابن جني: «هذه القراءة تدل على أن المراد بقراءة الجماعة «ليس لها من دون الله كاشفة» حذف مضاف بعد مضاف.

ألا ترى أن تقديره: «ليس لها من جزاء عبادة معبود دون الله كاشفة؟ فالعبادة على هذا مصدر مضاف إلى المفعول كقوله: «بسؤال نعجتك»[٢] و «لا يسأم الإنسان من دعاء الخير»[٣]. ثم حذف المضاف الأول، فصار تقديره ليس لها من عبادة معبود دون الله كاشفة، ثم حذف المضاف الثاني الذي هو: «عبادة»، فصار تقديره: ليس لها من معبود دون الله كاشفة، ثم حذف المضاف الثالث، فصار إلى قوله: «ليس لها من دون الله كاشفة» وهذا على تقديرك: «دون الله» اسماً هنا، لا ظرفاً، لأن الإضافة إليه تسلبه معنى الظرفية التي فيه كقولهم:

* يا سارق الليلة أهل الدار *[٤]

وتلك عادة سيبويه إذا أراد تجريد الظرف من معنى الظرفية فإنه يمثله بالإضافة إليه، وذلك مما ينافي تقدير حرف الجرّ معه، لأن حرف الجرّ

---

(١) سورة النجم: الآية ٥٨. (٢) سورة ص: الآية ٢٤.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٩.

(٤) من شواهد سيبويه ١/٨٩، ٩٠، ٩٩، وابن الشجري ٢/ ٢٥١، وابن يعيش ٢/٤٥، ٤٦، والخزانة ١/٤٨٥، ٢/١٧٢، ١٧٩، والهمع والدرر رقم ٧٩٣. وقائله مجهول.

يسقط، فلا يعترض بين المضاف والمضاف إليه».

وبعد هذا التحليل لهذه القراءة أحسّ ابن جني أن كثرة المحذوفات قد لا تتفق مع سلامة الأسلوب، وارتباط المعاني، فبادر على الفور لينزع هذا الشك من النفس فقال: «ولا تستنكر كثرة المضافات المحذوفة هناك، فإن المعنى إذا دلّ على شيء، وقبله القياس مُضي على ذلك، ولم يستوحش منه، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: «فقبضت قبضة من أثر الرسول»[1] ألا ترى أن معناه: من تراب أرض أثر وطء حافر فرس الرسول، أي من تراب الأرض الحاملة لأثر وطء فرس الرسول[2].

و ـ القراءات الشاذة والتفسير اللغوي:

قد تحوي الكلمات الشاذة كلمات توضح معاني الكلمات التي وردت في قراءة العامة أو الجمهور.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ قراءة أبيّ «فتذروها كالمسجونة» وقراءة الجمهورة «كالمعلقة»[3].

٢ ـ قراءة أبيّ «للّذين يقسمون من نسائهم» وقراءة الجمهور: «يؤلون من نسائهم»[4].

٣ ـ قراءة أبيّ: «وإذا طاف طائف من الشيطان تأملوا» وقراءة الجمهور: «إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا»[5].

٤ ـ قراءة ابن مسعود: «بيت من ذهب» وقراءة الجمهور: «بيت من زخرف»[6].

---

(١) سورة طه: الآية ٩٦. (٢) المحتسب ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٢٩، وانظر البحر ٣/ ٣٦٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٦، وانظر البحر ٢/ ١٨٠.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٠١، وانظر البحر ٤/ ٢٥٠.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٩٣، وانظر البحر ٦/ ٨٠.

٥ ـ قراءة ابن مسعود: «لا يظلم مثقال نملة» وقراءة الجمهور: «لا يظلم مثقال ذرة»[١].

٦ ـ قراءة ابن مسعود: «عليها صوافن» وقراءة الجمهور: «عليها صواف»[٢].

٧ ـ قراءة ابن مسعود: كالصوف المنفوش وقراءة الجمهور: «كالعهن المنفوش»[٣].

٨ ـ قراءة ابن مسعود وإبراهيم: «وزوجناهم بعيس عين» وقراءة الجمهور: وزوجناهم بحور عين»[٤].

قال ابن جنى في المحتسب: الأعيس: الأبيض، وإن المرأة العَيْسَاء: البيضاء، ومنه جمل أعيس، وناقة عيساء، وقال في وصف امراءة:

* كأنها البكرة العيساء*[٥]

ز ـ القراءات الشاذة والتيسير اللغوي:

لا شك أن القراءات الشاذة مورد ضخم لكثير من الاستعمالات اللغوية التي تدل في ظاهرها على بعدها من البناء اللغوي السليم.

وعند التدقيق والتحقيق يتبين لنا أن هذه الأساليب التي نرميها بالبعد عن العربية، لها ما يسندها من القراءات القرآنية.

وفي بحث نشره الزميل الدكتور أحمد مختار في كتاب: «الموسم الثقافي لكلية البنات الجامعية عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ بعنوان: «القيمة اللغوية

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٠، وانظر البحر ٣/ ٢٥١.
(٢) سورة الحج: الآية ٣٦، وانظر المحتسب ٢/ ٨١.
(٣) انظر معجم القراءات قراءة رقم ١٠١٦٦، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٥٨، والكشاف للزمخشري ٤/ ١٧٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦.
(٤) سورة الطور: الآية ٢٠.
(٥) انظر المحتسب ٢/ ٢٦١، ٢٩٠.

للقراءات القرآنية» أشار إلى هذه الظاهرة في عدة نقاط نلخصها فيما يلي:

١ ـ الفعل «توفى» ففي اللسان: «وفى» يقال: «تُوفِّي فلان وتوفّاه الله: إذا قبض نفسه، وفي الصحاح: إذا قبض روحه فالوفاة للإنسان من الله تعالى، تقع عليه، ومن هنا كان الفعل تُوفي مبنياً للمجهول دائماً في اللغة الفصحى.

وفي استعمالاتنا اللغوية الشعبية نقول: فلان تَوفّى، ونرمي من يقول هذا بالجهل، وعدم استيعاب اللغة الفصيحة.

يقول الدكتور مختار «جاءت القراءة القرآنية مصححة النطق الحديث، وذلك في قوله تعالى: «ومنكم من يُتَوفّى، ومنكم من يُرَدّ إلى أرذل العمر»[١].

فقد قرأ الأعمش وغيره: ومنكم من يَتوفّى «بالبناء للمعلوم»[٢].

أقول حينما جاءت الآية القرآنية الشاذة مصححة بهذا الاستعمال فما علينا ضير إذا استعملنا هذا التعبير.

٢ ـ الفعل هُرِع في كتب اللغة مبنيّ للمجهول دائماً، ومضارعه يُهرَعُ فإذا قيل: إن فلاناً هَرَع بالبناء إلى المعلوم إلى أداء الواجب رمينا من قال بهذه الصيغة بأنه خرج عن الخط اللغوي السليم.

«ولكن من القرّاء من قرأ: «وجاءه قومُه يَهرْعون إليه»[٣].

وعلى الرغم من أن هذه القراءة مجهولة القارىء إلاّ أننا نعتمد عليها في المجال اللغوي لتصحيح بناء يهرعون للمعلوم، وأنه لا ضير على استعماله بناء على هذه القراءة.

ومما يدل على أن القراءة الشاذة مقيدة بالرواية أن هذه الصيغة كررت في «الصافات» في قوله تعالى: «فهم على آثارهم يُهرعون»[٤] وجاءت على

---

(١) سورة الحج: الآية ٥ وانظر هذه القراءة في معجم القراءات قراءة رقم ٥١٧.
(٢) انظر ص ٥٤ من كتاب الموسم الثقافي.
(٣) سورة هود: الآية ٧٨، وانظر الصفحة نفسها من كتاب «الموسم الثقافي».
(٤) سورة الصافات: الآية ٧٠.

اللغة الفصيحة بالبناء للمجهول، وإلا لقرئت مرة أخرى في هذا الموضع بالبناء للمعلوم، لأن الذي قرأها في هود شاذة بالبناء للمعلوم من السهل أن يسير على مذهبه فيقرؤها في الصافات بالبناء للمعلوم، ولكن القراءة حتى ولو كانت شاذة ليست رأياً أو مذهباً أو منهجاً، ولكنها سماع ورواية.

٣ ـ استعمال كلا مع المثنى المؤنث المجازي:

يذكر الزميل الفاضل أنه «يشيع في الاستعمال الحديث استعمال: «كلا» مع المؤنث المجازي التأنيث، فنقول: كلا الدولتين، وكلا الصحيفتين. ونحو ذلك. وقد جاءت القراءة القرآنية لتصحح هذا الاستعمال. وذلك في قوله تعالى: «كلتا الجنتين آتت أكلها»[١] فقد قرأها ابن مسعود: «كلا الجنتين آتت أكلها، قال في البحر: أتى بصيغة التذكير لأن تأنيث الجنتين مجازي»[٢].

ونكتفي بهذا القدْر من النقاط التي سردها الزميل الدكتور مختار في بحثه القيم بعنوان «القيمة اللغوية للقراءات القرآنية».

ومن خلال هذه النقاط تبين لنا أن القراءات القرآنية، وبخاصة القراءات الشاذة يجب أن يعاد فيها النظر من حيث الدراسة والبحث لاستخراج ظواهر لغوية قد تصحح الكثير من أساليبنا اللهجية الحديثة، وبدلاً من أن يخطىء بعضنا بعضاً من غير رويّة علينا أن نطمئن أولاً، هل هذه الأساليب لها ما يقابلها من القراءات، إن كان الجواب بنعم فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب، وإن كان الجواب بالنفي قررنا أن هذه الأساليب ليست عربية الاستعمال.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣٣.

(٢) انظر هذا النص في ٥٦ من كتاب «الموسم الثقافي».

١٣ ـ مصطلحات في علم القراءات:

١ ـ القرآن:

يرى الشافعي: أنه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى.

ويرى الفراء: أنه مشتق من القرائن، لأن الآيات فيه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن.

ويرى الزجاج: أنه وصف على: «فُعلان» مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه: قرأت الماء في الحوض، أي جمعته.

ويرى قطرب: أنه سمّي قرآناً، لأن القارىء يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب: ما قرأت الناقة سلىً قط، أي ما رمت بولد.. والقرآن يلفظه القارىء من فيه، ويلقيه، فنسمّيه قرآناً.

ويرى السيّوطي بعد عرضه هذه الآراء في «الإتقان» أن رأي الشافعي أسلم الآراء حيث يقول: «والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعيّ»[١].

ويرى ابن عطية أن القرآن مصدر من قولك: قرأ الرجل: إذا تلا يقرأ قرآناً وقراءة.

ويستدل ابن عطيّة لتأكيد مصدريته بقول حسان رضي الله عنه يرثي عثمان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجّود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي قراءة[٢].

* * *

(١) انظر: الإتقان ١/ ٥٠.

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ٢٨٤.

٢ ـ السورة:

أ ـ من الناحية اللغوية:

قال فيها القتيبي ما نصه: «السورة تهمز، ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت أي أفضلت من السؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن.

ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدّم، وسهل همزتها.

ومنهم من شبهها بسور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة. وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسّور، ومنه السّوار لإحاطته بالساعد، وعلى هذا فالواو أصليّة.

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة، لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً، وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات[1].

ب ـ من الناحية الاصطلاحية:

قال الجعبريّ: حد السّورة قرآن يشتمل على آيٍ ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات»[2].

* * *

٣ ـ الآية:

أ ـ المعنى اللغوي: لها من الناحية اللغوية ثلاثة معان:

١ ـ جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

٢ ـ العجب: تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، فكأن كل آية عجبٌ في نظمها، والمعاني المودعة فيها.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٦٤.

٣ ـ العلامة: تقول العرب: خربت دار فلان، وما بقي لها آية، أي علامة، فكأن كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ.

ب ـ المعنى الاصطلاحيّ:

قال الجعبري: حد الآية قرآن مركب من جُمَلٍ ولو تقديراً، ذو مبدأ أو مقطع مندرج في السورة.

وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها»[١].

* * *

٤ ـ المثاني:

يسمى القرآن الكريم بالمثاني، لأن فيه بيان قصص الكتب الماضية فيكون البيان ثانياً للأول الذي تقدمه، فيبيّن الأول الثاني. وقيل: إنه اسم الفاتحة وحدها.

* * *

٥ ـ القراءات:

بيّن الزركشي في كتاب البرهان معنى القراءات والتفرقة بين معناها ومعنى القرآن فقال:

«القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي[٢] المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز.

والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيره.

وهذه القراءات كما يقول جلال الدين البلقيني: تنقسم إلى متواتر، وأحاد، وشاذ.

فالمتواتر: القراءات السبع المشهورة.

---

(١) البرهان ١/٢٦٦.
(٢) انظر الإتقان ١/٨٠.

والأحاد: قراءات الثلاثة[1] التي هي تمام العشرة، ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذ: قراءة التابعين كالأعمش[2].

* * *

٦ ـ المصحف:

في اللسان: «صحف»: المُصْحَفَ والمِصْحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين. قال الفراء: يقال: مُصْحفٌ، ومِصْحف كما يقال: مُطْرف ومِطرفٌ.

وهناك خبر ساقه صاحب البرهان [١/ ٢٨١، ٢٨٢] لا ندري ما صحته وهو منسوب للمظفريّ القاضي شهاب الدين بن عبد الله بن أبي الدم الحموي المتوفي ٣٦٢ هـ، والخبر هو «قال المظفريّ في تاريخه: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلاً فكرهوه،

---

(١) الثلاثة هم:
أ ـ أبو جعفر: يزيد بن القعقاع المخزومي التابعي إمام المدينة النبوية توفي سنة ٣٠ هـ.
ب ـ يعقوب: أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي انتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو بالبصرة. ولد سنة ١١٧ هـ وتوفي سنة ٢٠٥ هـ.
ج ـ خلف: هو الإمام محمد خلف بن هشام البزار ـ بالزاي والراء ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٢٩هـ ببغداد.

(٢) اشتهر من التابعين أربعة قراء وهم:
أ ـ ابن مُحَيْصِن: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكي، توفي ١٢٣.
ب ـ اليزيدي: أبو محمد: يحيى بن المبارك، ولد ١٢٨، وتوفي ٢٠٢ هـ.
ج ـ الحسن البصريّ: الإمام أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، ولد سنة إحدى وعشرين، وتوفي سنة ١١٠ هـ.
د ـ الأعمش: أبو محمد سليمان بن مهران. ولد سنة ستين، وتوفي سنة ١٤٨. وانظر الإتقان ١/ ٧٥.

وقال بعضهم: سمّوه: السِّفْر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود رأيت للحبشة كتاباً يدعونه المصحف، فسمّوه به».

* * *

٧ ـ **المقرىء**:

هو العالم بالقراءات، رواها مشافهة، فلو حفظ الشاطبية مثلاً فليس له أن يقرأ بما فيها إن لم يشافهه مَن شوُفه به مُسلْسلاً، لأن في القراءات شيئاً لا يحكم إلاّ بالسماع والمشافهة[1].

* * *

٨ ـ **القارىء**:

أ ـ المبتدىء: هو من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات.

ب ـ المتوسط: إلى أربع أو خمس.

ج ـ المنتهي: هو من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها[2].

* * *

٩ ـ **الرسم**:

أ ـ قياسيّ، وهو موافقة الخطّ للفظ.

ب ـ اصطلاحي: وهو مخالفته ببدل أو زيادة أو حذف أو فصل أو وصل للدلالة على ذات الحرف أو أصله، أو رفع اللّبْس.

ومن الأمثلة:

١ ـ حرف بدل على الرسم ويلفظ به اتفاقاً مثل: «اصبطر».

٢ ـ حرف يرسم ولا يلفظ به اتفاقاً مثل: «الصلوٰة».

---

(١) لطائف الإشارات ١/ ١٧١.

(٢) الإتحاف / ٥.

٣ ـ حرف يرسم، ويختلف في اللفظ به مثل: «الغدْوة».

٤ ـ حرف يزاد ويلفظ به مثل: «حسابيه».

٥ ـ حرف يزاد ولا يلفظ به اتفاقاً مثل: «أولئك» و «مائة».

٦ ـ حرف يزاد ويختلف فيه مثل: «سُلطانِيَهْ».

ثم عقب صاحب الإتحاف بعد هذه الأمثلة بقوله:

«وأكثر رسم المصحف موافق لقواعد العربيّة إلا أنه قد خرجت أشياء عنها يجب علينا اتباع مرسومها، فمنها ما عرف حكمه، ومنها ما غاب عنّا علمه، ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق بل عن أمر عندهم قد تحقق»[1].

* * *

١٠ ـ فرش الحروف:

هو ما قلّ دوره من حروف القراءات المختلف فيها، لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السّور، فهي كالمفروشة بخلاف الأصول، لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع. وسمّى بعضهم الفرش فروعاً مقابلة للأصول»[2].

* * *

١١ ـ الإدغام الكبير:

الإدغام: هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثّاني مشّدداً.

والإدغام الكبير: ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً سواء أكان الحرفين مثلين أم جنسين أم متقاربين.

وسمّي كبيراً لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السّكون.

* * *

---

(١) الإتحاف/ ١٠.　　(٢) سراج القارىء/ ١٤٨.

١٢ ـ الإدغام الصغير:

هو الذي يكون فيه الحرف الأول من الحرفين ساكناً[١].

* * *

١٣ ـ الوقف:

هو عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنيّة الإعراض[٢].

والوقف أربعة أقسام:

١ ـ تامّ: وهو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كقوله تعالى: **﴿وأولئك هم المفلحون﴾**[٣].

٢ ـ الكافي: وهو منقطع في اللفظ، متعلّق في المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما بعده نحو: «**﴿حرّمت عليكم أمهاتكم﴾**[٤].

٣ ـ الحسن: وهو الذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلّقه به في اللفظ والمعنى نحو: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم.

٤ ـ القبيح: وهو الذي لا يفهم منه المراد مثل: الحمد، فلا يوقف عليه ولا على الموصوف دون الصفة، ولا على البدل دون المبدل منه[٥].

* * *

١٤ ـ الإشمام:

هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت.

---

(١) النشر ١/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) النشر ١/ ٢٤٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٥) البرهان ١/ ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢.

وقال بعضهم: أن تَجْعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة، وكلاهما واحد ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف.

والكوفيون يسمّون الإشمام روْماً، والروم إشماماً».

* * *

١٥ ـ الاختلاس:

هو الإتيان بثلثي الحركة أو بأكثرها[١].

* * *

١٦ ـ الرَوم:

هو عبارة عن الإتيان بأقل الحركة: أو هو النطق ببعض الحركة.

وقال بعضهم: هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها وكلا القولين واحد. وهذا التعريف عند القُراء.

وعند النحاة: هو عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفيّ[٢].

* * *

١٧ ـ المدّ:

وهو طول زمان الصوت وهو في مصطلح القراءات: عبارة عن زيادة المدّ من حروف المد لأجل همزة أو ساكن[٣].

* * *

١٨ ـ التحقيق:

عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات وتوفية الغنّات[٤].

* * *

---

(١) الإتحاف /١٣٦.

(٢) النشر ١/ ١٢١، والاتحاف/١٣٦.

(٣) سراج القارىء /٤٨.

(٤) التيسير / ٣١، ٣٢.

١٩ ـ الحدر:

هو مصدر من حدر بالفتح يحدُر بالضم إذا أسرع، وهو عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر، والتسكين، والاختلاس، وتخفيف الهمزة، ولا يخرج عن حدّ الترتيل.

٢٠ ـ التدوير:

هو عبارة عن التوسّط بين المقامين من التحقيق والحدر[١].

* * *

٢١ ـ الترتيل:

هو مصدر من رتّل فلان كلامه: إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم له من غير عجلة، وهو الذي نزل به القرآن، قال الله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾[٢].

* * *

٢٢ ـ التجويد:

هو مصدر من جوّد تجويداً.

وهو عبارة عن الإتيان بالقراءة مجوّدة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق.

ومعناه: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ الغاية في التحسين»[٣].

* * *

٢٣ ـ الاختيار:

معناه: أن القارىء اختار قراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به.

---

(١) النشر ١/٢٠٥. (٢) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٣) انظر في الترتيل والتجويد النشر ١/٢١٠ ـ ٢١٢.

فآثره على غيره، وداوم عليه، ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء.

وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي[1].

* * *

٢٤ ـ الحرف:

معنى الحرف: كالحدّ ما بين القراءتين. وقيل أيضاً: إن الحرف المراد به الحروف كما قال الله تعالى: **﴿والملَك على أرجائها﴾**[2] أي والملائكة، وقولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم أي الدنانير والدراهم.

والمعنى أن القارىء يؤدي حروف أبي عمرو بأعيانها من غير زيادة ولا نقصان[3].

٢٥ ـ مصطلحات القراء:

أ ـ مكيّ: علماء مكة كابن كثير ومجاهد.

* * *

ب ـ مدنيّ: علماء المدينة كيزيد، ونافع، وشيبة، وإسماعيل.

١ ـ يزيد: هو أبو جعفر القارىء، يزيد بن القعقاع المخزومي إمام المدينة النبويّة، تابعيّ، توفي سنة ١٣٠ هـ على الأصح[4].

٢ ـ نافع تقدمت ترجمته «من القراء السبعة».

٣ ـ شيبة: شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني المقرىء

---

(١) انظر النشر ١/ ٥٢.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٧.

(٣) سرّ الفصاحة/ ١٥.

(٤) لطائف الإشارات ١/ ٩٧.

الإمام مولى أم سلمة رضي الله عنها، وأحد شيوخ نافع في القراءة وقاضي المدينة ومقريها مع أبي جعفر. أدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما. وتوفي سنة ١٣٠ هـ[١].

٤ ـ إسماعيل بن جعفر، ويقال له: إبراهيم المدنيّ، قرأ على شيبة بن نصاح توفي سنة ١٨٠ هـ[٢].

* * *

جـ ـ بصري: عاصم الجحدري:

وهو عاصم بن أبي الصباح العجاج، وقيل ميمون الجحدري البصري مات قبل الثلاثين ومائة[٣].

* * *

د ـ شاميّ: كابن عامر، والذماري، وشريح.

١ ـ ابن عامر: من القراء السبعة، وتقدمت ترجمته.

٢ ـ الذماريّ: يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى، ويقال: أبو عمرو ويقال: أبو عليم الغسّاني الذماري ثم الدمشقي، شيخ الإقراء بدمشق، توفي سنة ١٤٥ هـ[٤].

٣ ـ شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرميّ الحمصيّ، صاحب القراءة الشاذّة ومقرىء الشام، وهو والد حيوة بن شريح الحافظ، وله اختيار في القراءة، مات ٢٠٣ هـ[٥].

هـ: كوفي: عبد الله بن حبيب السلّمي، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٦٤، ٦٥.
(٢) غاية النهاية ١/ ١٦٢.
(٣) غاية النهاية ١/ ٣٤٩.
(٤) غاية النهاية ١/ ٣٦١.
(٥) غاية النهاية ١/ ٣٢٥.

١ ـ عبد الله بن حبيب بن ربيعة أو عبد الرحمن السلميّ الضرير، مقرىء الكوفة، وتوفي سنة ٧٤ وقيل: ٧٣ هـ[١].

٢ ـ عاصم من القراء السبعة، وتقدمت ترجمته.

٣ ـ الكسائي في القراء السبعة، وتقدمت ترجمته.

و ـ حرميّ: عند اتفاق المكيّ والمدنيّ.

* * *

ز ـ عراقي: عند اتفاق البصري والكوفي.

ح ـ دمشقي: عند مخالفة شريح لصاحبيه.

ط ـ حمصي: عند انفراد شريح عن صاحبيه.

* * *

ي ـ الحرميان: نافع وابن كثير[٢].

* * *

ك ـ الإبنان: ابن كثير وعبد الله بن عامر[٣].

ل ـ الأخوان: حمزة بن حبيب، وأبو الحسن الكسائي[٤].

م ـ عليّ: عند انفراد الكسائي.

ن ـ النحويان: الكسائي وأبو عمرو.

س: الكوفيون: الأخوان وعاصم[٥].

* * *

---

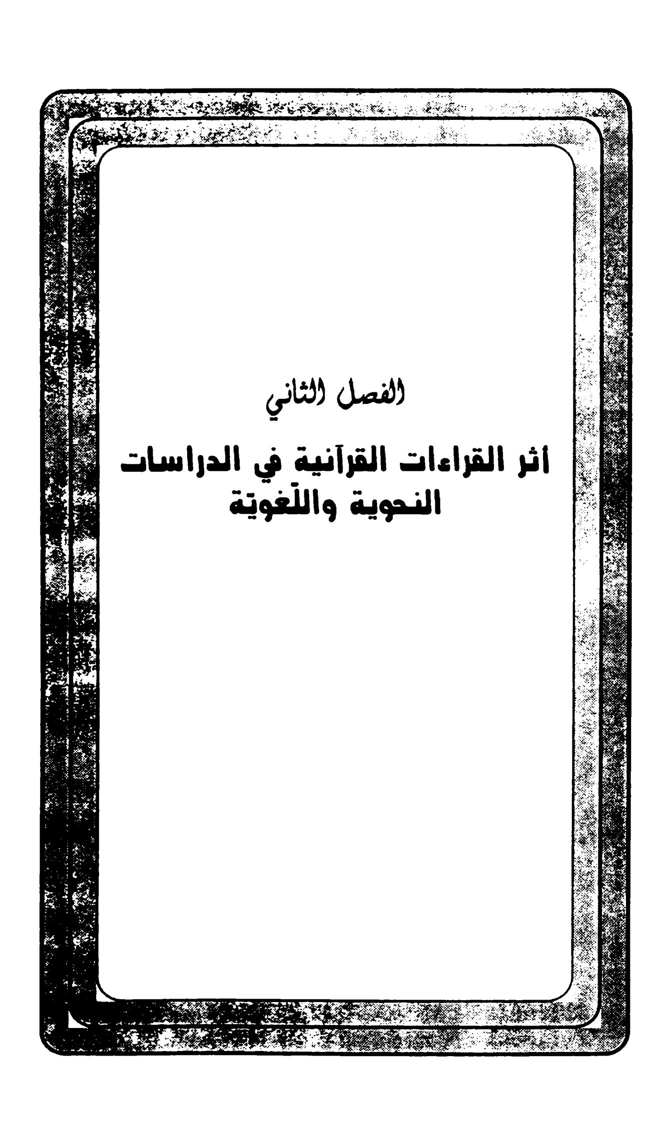
(١) غاية النهاية ١/٤١٣، ٤١٤.

(٢) تقدمت ترجمتهما فهما من القراء السبعة.

(٣) تقدمت ترجمتهما فهما من القراءة السبعة.

(٤) تقدمت ترجمتهما فهما من القراءة السبعة.

(٥) انظر هذه المصطلحات في غيث النفع /٤٥، ٤٦.



الفصل الثاني

أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية واللّغوية

تمهيد:

شغلت القراءات أذهان النحاة منذ نشأة النحو، ذلك، لأن النُّحاة الأوَل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قُرّاء كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس والخليل. ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجّههم إلى الدراسة النحوية واللغويّة ليلائموا بين القراءات والعربية، بين ما سمعوا ورووا من القراءات وبين ما سمعوا ورووا من كلام العرب.

فأبو عمرو بن العلاء كما يحدثنا أبو عبيدة كان يقرأ: **﴿لَتَخِذْت عليه أجراً﴾**[1]. قال: أبو عبيدة: فسألته عنه، فقال: هي لغة فصيحة، وأنشد قول الممزق العبدي:

وقد تَخِذَتْ رجلي إلى جنب غرزها   نسيفاً كأفحوص القطاة المطرّق[2]

وكان أبو عمر يؤيد قراءة النصب في قوله تعالى: **﴿ثم لَننزَعنَّ من كل شيعة أيهم أشد﴾**[3].

قال أبو عمر: خرجت من الخندق ـ يعني خندق البصرة ـ حتى صرت إلى مكة لم أسمع أحداً يقول: «اضرب أيُّهم أفضل، أي كلهم ينصبون»[4].

وابن أبي إسحاق كان يقرأ: **﴿والمقيمي الصلاة﴾** بالنصب[5].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٧٧.

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي: رقم ٦١ بتحقيقي.

(٣) سورة مريم: الآية ٦٩.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن: ورقة ٢٥١، مخطوط رقم ٦٤٤، تفسير، دار الكتب لابن الأنباري.

(٥) سورة الحج: الآية ٣٥.

قال أبو الفتح: أراد المقيمين، فحذف النون تخفيفاً لا لتعاقبها الإضافة[1].

وابن كثير: كان يقرأ: ﴿**وإن تك حسنةٌ**﴾[2] بالرفع.
والخليل: كان يقرأ: ﴿**حتى يصدر الرُّعاءُ**﴾[3] بالضمّ[4].

وكان عيسى: يقرأ: ﴿**من نهار بلاغاً**﴾[5] قال أبو الفتح هو على فعل مضمر، أي بلغوا أو بلغوا بلاغاً[6].

ولما استقرت قواعد النحو مسجلة في (الكتاب). وظهرت المدرسة البصرية، ثم الكوفية، اتجه النحاة إلى القراءات، آخذين منها ما يؤيد وجهة نظرهم من جهة، ورافضين ما لم يقبله القياس، أو يتفق مع الأصول من جهة أخرى.

وكانت دائرة الخلاف تتسع وتضيق تبعاً لبعد هذه القراءات عن الأصول والمقاييس أو قربها منها.

ولم تكن الخلافات النحوية في مجال القراءات وقفاً على البصريين أو الكوفيين، بل تجاوزت ذلك إلى المذاهب الفردية والآراء الشخصية لمشاهير النحاة، حيث كثر بينهم الجدل حول هذه القراءات، واحتدم النزاع.

وهدفي من هذه الدراسة أن أبين أن القراءات أثرت في هذه الدراسات كما بينت في كتاب سابق[7] أن القرآن الكريم أثر في دراسات النحو تأثيراً كبيراً.

أما تأثير القراءات في الدراسات النحوية، فإنه يقوم على النقاط الآتية:

---

(١) المحتسب: جـ ٢ ص ١١٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٤٠.
(٣) سورة القصص: الآية ٢٣.
(٤) ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصاغاني: ص ١٣، ١٤.
(٥) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.
(٦) المحتسب: جـ ٢ ص ٣٣٢.
(٧) هو كتاب: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية طبع طبعة أولى بدار المعارف بالقاهرة، وطبع طبعة ثانية بمؤسسة الصباح الكويت وطبع طبعة ثالثة بالمكتبة الأزهرية للتراث بمصر.

ا - القراءات بين البصريين والكوفيين

البصريون كانوا لا يحتجون بالقراءات إلا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم، وذلك كاستدلالهم مثلاً في كلا وكلتا بقراءة حمزة والكسائي.

وبيان ذلك أن البصريين يذهبون إلى أن كلا وكلتا فيهما إفراد لفظي وتثنية معنوية، والألف فيهما كالألف في عصا ورحا. ويستدلون على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها تجوز إمالتها، قال الله تعالى: **﴿إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدُهما أو كلاهُما﴾**[(١)]. وقال تعالى: **﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾**[(٢)]. قرأهما حمزة والكسائي وخلف، بإمالة الألف فيهما، ولو كانت الألف فيهما للتثنية لما جازت إمالتها لأن ألف التثنية لا تجوز إمالتها[(٣)].

وكاستدلالهم أيضاً على أن (إن) المخففة من الثقيلة تعمل النصب في الاسم بقراءة من قرأ: **﴿وإنْ كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾**[(٤)] في قراءة من قرأ بالتخفيف، وهي قراءة نافع وابن كثير، وروى أبو بكر عن عاصم بتخفيف إن، وتشديد لما[(٥)].

هذا والكوفيون لم يتحفظوا في مجال القراءات كما تحفظ البصريون ذلك، لأنهم رأوا أن القراءات سندها الرواية، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر وغيره، لأن شعار الرواة فيها الدقة والضبط

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣. (٢) سورة الكهف: الآية ٣٣.

(٣) الإنصاف: جـ ٢ ص ٤٤٨ المسألة ٦٢. (٤) سورة هود: الآية ١١١.

(٥) الإنصاف: جـ ١ ص ١٩٦ المسألة ٢٤.

والإتقان... ومن ثَمّ كانت في نظرهم مصدراً لتقعيد القواعد ـ وبناء الأساليب، وتصحيح الكلام بغض النظر عن موافقتها للمقياس المأخوذ أو عدم موافقتها، لأنّها في ذاتها يجب أن تشتق منها المقاييس، وتستمد الأصول.

ومنهج الكوفيين في الواقع أسلم وأصح في ميدان القراءات من منهج البصريين لأن اتخاذ القراءات مصدراً للاستشهاد يثري اللغة، ويزيد من رصيدها، ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام، فلا تمد يَدها إلى تعريب أو إلى دخيل.

والقراءات كما بينت سجل واف للغات التي نزل بها القرآن الكريم، وما دام سندها الرواية، ودعامتها السماع، فهي من أجل هذا أقوى من المصادر الأخرى كالشعر وغيره، لأن رواة القراءات يتحرجون من عدم الدقة فيها على حين لا يبالون بالحرج في غيرها حينما تخون الحافظة، أو يستبد النسيان، أو يقع على الألسنة التحريف.

وقد عجب ابن حزم من منطق البصريين إزاء القراءات، فقال ما نصه:

«من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذه مذهباً، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم، فيأخذ في صرف الآية عن وجهها».

وقال في موضع آخر:

«ولا عجب أعجب مِمّن إنْ وجد لامرىء القيس، أو لزهير، أو لجرير، أو للحطيئة، أو للطرماح، أو لأعرابي أسدي، أو تميمي، أو من سائر أبناء العرب لفظاً من شعر أو نثر جعله في اللغة، وقطع به، ولم يعترض فيه.

ثم إذا وجد لِلّه تعالى خالق اللغات وأهلها ـ كلاماً لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه، ويحرفه عن موضعه»[1].

---

(١) نقلاً عن أصول النحو: ص ٢٩: للأستاذ سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ط ثانية.

بقي أن نعرض بعض المسائل التي اختلفت فيها وجهة نظر الفريقين بسبب القراءات.

من المسائل التي اختلفت فيها وجهة الفريقين بسبب القراءات:

١ ـ وقوع الفعل الماضي حالاً:

يذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالاً، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أو جاؤكم حَصِرَتْ صدورهم﴾[١]. فحصرت فعل ماض، وهو في موضع الحال، وتقديره حصرةً صدورهم، والدليل على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ: ﴿أو جاؤكم حصرةً صدورهم﴾[٢]، وهي قراءة الحسن البصري، ويعقوب الحضرمي، والمفضل عن عاصم.

أما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز أن يقع حالاً، وخرجوا الآية التي استدل بها البصريون، وكان تخريجهم يقوم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن تكون صفة للقوم المجرور في أول الآية.

والوجه الثاني: أن تكون صفة لقوم مقدر، ويكون التقدير فيه: «أو جاؤكم قوماً حصرت صدورهم»، والماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالاً بالإجماع.

والوجه الثالث: أن يكون خبراً بعد خبر، كأنه قال: «أو جاؤكم ثم أخبر» فقال: ﴿حصرت صدورهم﴾.

والوجه الرابع: أن يكون محمولاً على الدعاء، لا على الحال، كأنه قال: ضيق الله صدورهم كما يقال: جاءني فلان، وسع الله رزقه[٣].

* * *

٢ ـ هل تكون إلاّ بمعنى الواو:

ذهب الكوفيون إلى أن إلا تكون بمعنى الواو، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو، واحتج الكوفيون لمذهبهم بقوله تعالى: ﴿لئلا

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٠. (٢) سورة النساء: الآية ٩٠.

(٣) الإنصاف: جـ ١ ص ٢٥٤، ٢٥٥ المسألة ٣٢.

يكون للناس عليكم حجة إلاّ الذين ظلموا منهم﴾[1] أي: «ولا الذين ظلموا» وأيدوا حجتهم بقراءة بعض القراء «إلى الذين ظلموا» مخففاً بمعنى مع الذين ظلموا منهم[2].

ونقض البصريون دليل الكوفيين في القراءة فقالوا: وأما قراءة من قرأ: ﴿إلى الذين ظلموا منهم﴾ بالتخفيف، فإن صحت وسلم لكم ما ادعيتموه على أصلكم من أن إلى تكون بمعنى مع فليس لكم فيه حجة تدل على أن إلا تكون بمعنى الواو، لأنه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى، وإذا اعتبرتم هذا في القراءات وجدتم الاختلاف في معانيها كثيراً جداً، وهذا مما لا خلاف فيه، وإذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة من قرأ: ﴿إلى الذين﴾ بالتخفيف بمعنى مع، وقراءة من قرأ ﴿إلا﴾ بالتشديد بمعنى لكن؟[3].

* * *

٣ ـ هل فعل الأمر معرب؟:

ذهب الكوفيون إلى أن فعل الأمر للمواجه المعرّى عن حرف المضارعة ـ نحو ـ أفْعَل ـ معرب مجزوم.

وذهب البصريون إلى أنه مبني على السكون.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه معرب مجزوم، لأن الأصل في الأمر للمواجه في نحو «افعلْ» لِتفعل، كقولهم: في الأمر للغائب «لِيفعلْ» وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿فبذلك فلتفرحوا هو خير مما**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٠.

(٢) واحتج الكوفيون بورود إلى معنى مع بقوله تعالى: **﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾** أي مع المرافق، ومع الكعبين، **﴿مَنْ أنصاري إلى الله﴾**، أي مع الله، **﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾** أي مع أموالكم، الذود إلى الذود أبل، أي مع الذود.

(٣) الإنصاف: جـ ١ ص ٢٦٦، ٢٧٢، المسألة ٣٥.

يجمعون﴾[1] في قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القراء، وذُكرت القراءة أنها قراءة النبي ﷺ من طريق أبيّ بن كعب، ورويت هذه القراءات عن عثمان بن عفان، وأنس بن مالك والحسن البصري.. إلخ. فثبت أن الأصل في الأمر للمواجه في نحو ـ افعل ـ أن يكون باللام نحو: لتفعلْ، كالأمر للغائب، إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجه في كلامهم، وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال، فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف.

وأما البصريون، فقالوا: إن علة وجود الإعراب في الفعل المضارع وجود حرف المضارعة، فما دام حرف المضارعة ثابتاً كانت العلة ثابتة سليمة عن المضارعة كان حكمها ثابتاً، ولهذا كان قوله تعالى: **﴿فبذلك فلتفرحوا﴾**[2] مُعَرَباً[3].

* * *

٤ ـ هل يجوز نقلِ حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها؟:

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها.

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

أما الكوفيون فقالوا: «حكى الكسائي قال: قرأ على بعض العرب سورة «قَ» فقال: **﴿مناع للخير معتد مريبنَ الذي﴾**[4] بفتح التنوين» لأنه نقل فتحة همزة الذي إلى التنوين قبلها.

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٨.

(٢) الإنصاف: ج ٢ ص ٥٢٤ إلى ص ٥٤١ م ٧٢.

(٣) البصريون: قالوا: إن فعل الأمر مبني على السكون لأن الأصل في الأفعال أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وإنما أعرب ما أعرب من الأفعال لمشابهةٍ ما بالأسماء، ولا مشابهة بوجهٍ ما بين فعل الأمر والأسماء، فكان باقياً على أصله في البناء». (الإنصاف في المسألة نفسها).

(٤) قَ: الآيات ٢٥، ٢٦.

وحكى أيضاً عن بعض العرب ﴿بسم الله الرحمن الرحيمَ الحمد لله﴾[1] بفتح الميم، لأنه نقل فتحة همزة ﴿الحمد﴾ إلى الميم قبلها.

وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وهو من سادات أئمة القراءة ﴿وإذا قلنا للملائكةُ اسجدوا﴾[2] فنقل ضمة همزة اسجدوا إلى التاء قبلها، فدل على جوازه.

وأما البصريون فقالوا: أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿الٓمَ الله﴾[3] فلا حجة لهم فيه، لأن حركة الميم إنما كانت لالتقاء الساكنين وهي الميم واللام من الله... ثم قالوا: والجواب عن احتجاجهم بقراءة بعض العرب ﴿مُرِبينَ الذي﴾ فإن الفتحة في التنوين ليس عن إلقاء حركة همزة الذي، وإنما حرّكتْ لالتقاء الساكنين - وهما التنوين واللام من الذي، ثم قالوا: على أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنه لا إمام لها، وكذلك ما حكاه عن بعض العرب من فتح الميم من ﴿الرحيمَ الحمد لله﴾ لأنها لا إمام لها على أنه لا وجه للاحتجاج بها، لأن فتح الميم فتحة إعراب، لأنه لما تكرر الوصف عدل به إلى النصب على المدح بتقدير: أعني[4].

٥ - وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل[5]:

روى ابن مجاهد عن ابن عباس أن في مصحف ابن مسعود:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان ربنا﴾ وفيه: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم﴾[6] وفيه: ﴿والملائكة باسطو أيديهم، يقولون أخرجوا﴾[7]. قال أبو الفتح في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا - يقصد البصريين - من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ١.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٤.
(٣) سورة آل عمران: الآيات ١، ٢.
(٤) الإنصاف جـ ٢ ص ٧٤١ - ٧٤٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٧.
(٦) سورة الزمر: الآية ٣.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

محمول على معناه دون أن يكون القول مقدراً معه[1].

* * *

٦ ـ إعمال إن النافية:

أجاز إعمالها الكسائي، وأكثر الكوفيين:

قرأ سعيد بن جبير: «**﴿إنْ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم﴾**[2]»[3].

* * *

٧ ـ ﴿الحمد لُله﴾ بضم اللام:

الكوفيون اجتهدوا في تأييد هذه القراءة لمناسبة الإتباع. قال يوهان فك:

«وعلى النقيض من ذلك البصريون الذين عابوا هذه القراءة بحجة أنها سقطت من الاستعمال تماماً، وأنها مخالفة للقواعد، ومصطدمة بالإعراب»[4].

هذه طائفة من المسائل التي اختلف فيها البصريون والكوفيون في مجال القراءات وهي غيض من فيض ذكرت بعضها لتكون دليلاً يزيد ما أقول من أن القراءات أثرت في النحو البصري والكوفي تأثيراً كبيراً.

* * *

(١) المحتسب لابن جني: رقم ٣٧٩، تفسير: ص ١١٢ ـ ١١٣.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.　　(٣) الهمع: ج ٢ ص ١١٦، بتحقيقي.
(٤) العربية: ص ٣٢.

٢ ـ القراءات المشكلة وموقف النحاة منها

هناك قراءات مشكلة ظاهرها يدل على أنها متعارضة مع الأصول مخالفة للمقاييس.

ووقف النحاة أمام هذه القراءات المشكلة ليوضحوا غامضها، ويزيلوا إشكالها، واجتهد كل منهم ليدلي بدلوه بين الدلاء في مضمار هذه القراءات.

وبسبب هذه القراءات المشكلة أثرى النحو، وتعددت مسائله، وفاضت كتبه حتى امتلأت بالآراء المتعدّدة.

ونحن لا نستطيع في هذا المقام جمع هذه القراءات المشكلة، وآراء النحاة فيها، لأن ذلك يطيل أمد البحث، وقد لا نصل إلى الغاية منها، وإنما نكتفي هنا بنماذج معدودة لنشير إلى هذه الحقيقة التي ذكرتها وهي أن القراءات كانت مصدراً كبيراً لثروة نحوية، امتلأت بها خزائنه.

نماذج للقراءات المشكلة، وآراء النحاة فيها:

١ ـ ﴿إن هذان لساحران﴾[١]:

رأي ابن قتيبة:

قال: قالوا في قوله سبحانه: ﴿إن هذان لساحران﴾ هي لغة بلحارث بن كعب، يقولون: مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه، وركبت علاه، وأنشدوا:

---

(١) سورة طه: الآية ٦٣.

تـزوّد مـنـا بـيـن أذنـاه ضـربـة   دعته إلى هابي التراب عقيم(١)

وأنشدوا:

طاروا علاهُنّ فِطر علاها(٢)

ثم قال: على أن القراء قد اختلفوا في قراءة هذا الحرف، فقرأه أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر. إنّ هذين لساحران، وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة.

ثم قال: وقرأ بعضهم: ﴿**إنْ هذان لساحران**﴾ اعتباراً بقراءة أبي، لأنها في مصحفه: إنْ ذان إلا ساحران.

وفي مصحف عبد الله: ﴿**وأسروا النجوى إنْ هذان ساحران**﴾ منصوبة الألف بجعل ﴿**إن هذان**﴾ تبييناً للنجوى(٣).

رأي ابن الأنباري:

قال: «إنْ بمعنى نَعَم وجه ضعيف لدخول اللام في الخبر وهو قليل في كلامهم».

وقيل: إن الهاءِ مضمرة مع إن كما تقول: إنه زيد ذاهب، وفيه أيضاً ضعف، لأن هذا إنما يجيء في الشعر.

---

(١) في اللسان: جـ ١٠ ص ٦٤: تزود منا بين أذنيه طعنة.. إلخ فتكون القاعدة كما هي لم يحدث فيها تغيير، والبيت لهوبر الحارثي. اللسان: جـ ١٩ ص ١٦٣، هابي التراب. قال في اللسان: وموضع هابي التراب كأن ترابه مثل الهباء في الرقة. انظر: اللسان: جـ ٢٠ ص ٢٢٦.

(٢) اللسان: جـ ١٩ ص ٣٢٢ يروى عن الخليل: قال سيبويه: ألف علا زيداً ثوب منقلبة من واو إلا أنها تقلب مع المضمر ياء تقول: عليك، وبعض العرب يتركها على حالها. قال الراجز:

أيّ قـلـوصِ راكـب تـراهـا   فـاشـدد بـمـثـنـى حَـقـب حـقـواهـا

نـاديـة ونـاديـاً أبـاهـا   طـاروا عـلاهُـنّ فِـطـر عَـلاهـا

(٣) تأويل مشكل القرآن: ص ٣٦، ٣٧.

وقيل: لأن (هذان) لما لم يظهر الإعراب في واحده وجمعه، حملت التثنية على ذلك، وهذا أضعف من الذي قبله.

ومن قرأ إنْ بالتخفيف كان فيه وجهان: أحدهما: أن تكون إنْ مخففة من الثقيلة، ولم يعملها، لأنها إنما عملت لشبه الفعل، فلما حذف منها النون، وخففت ضعف وجه الشبه فلم تعمل.

والثاني: أن تكون إن بمعنى ما، وهذان الوجهان يخرجان على مذهب الكوفيين[1].

رأي أبي محمد بن أبي طالب الأندلسي:

قال: من رفع هذان حمله على لغة بني الحارث بن كعب يأتون بالمثنى بالألف على كل حال.

وقيل: إن بمعنى نعم، وفيه بعد لدخول اللام في الخبر، وذلك لا يكون إلا في شعر كقوله:

أم الحليس لعجوز شهربه

وكان وجه الكلام لأم الحُلَيْس عجوز[2]:

وكذلك كان وجه الكلام في الآية: إن حملت إن على معنى نَعَم ﴿إن لهذان ساحران﴾ كما تقول: نعم لهذان ساحران.

وقيل: إن المبهم لما لم يظهر فيه إعراب الواحد، ولا في الجمع جرت التثنية على ذلك فأتى بالألف على كل حال.

وقيل: إنها مضمرة[3] مع إنْ تقديره إنه هذان لساحران. كما تقول: إنه زيد منطلق وهو قول حسن، ولولا أن دخول اللام في الخبر يبعده.

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ورقة ٢٥٧، مخطوط رقم ٦٤٤، تفسير دار الكتب.

(٢) تكملة الرجز: ترضى من اللحم بعظم الرقبه.
الشهربة: العجوز الكبيرة. انظر: الدرر اللوامع: رقم ٢٢٥ بتحقيقي.

(٣) في الأصل أنها مضمرة مع إن، ولعل: المراد: أن الهاء مضمرة مع إن.

فأما من خفف إنْ فهي قراءة حسنة، لأنه أصحّ في الإعراب ولم يخالف الخط[1].

رأي الصاحبي:

قال: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الإعراب يقتضي أن يقال: إن هذان.

قال: وذلك أن «هذا» اسم منهوك، ونهكه أنه على حرفين أحدهما حرف علة، وهي الألف، و «ها» كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء، فلما ثنى احتيج إلى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتيج إلى حذف إحداهما فقالوا: إنْ حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد، وإن أسقطنا ألف التثنية كان في النون منها عوض، ودلالة على معنى التثنية، فحذفوا ألف التثنية، فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم واحتاجوا إلى إعراب التثنية لم يغيروا الألف عن صورتها، لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع فتركوها على حالها في النصب والخفض.

قال الصاحبي: ومما يدل على هذا المذهب قوله جل ثناؤه: ﴿**فذانك برهانان من ربك**﴾[2] لم تحذف النون - وقد أضيف - لأنه لو حذفت النّون لذهب معنى التثنية أصلاً. لأنه لم تكن للتثنية ها هنا علامة إلا النون وحدها، فإذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية[3].

رأي ابن كيسان:

قال السيوطي: رأيت بخط ابن القماح قال: ذكر القفطي في كتاب

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات لأبي محمد مكي بن أبي طالب، مخطوط رقم ٢٣٢، تفسير دار الكتب.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٢.

(٣) الصاحبي لأحمد بن فارس: مطبعة المؤيد، ص ٢١.

«إنباه الرواه» أن القاضي إسماعيل بن إسحاق سأل أبا الحسن محمد بن أحمد بن كيسان ما وجه قراءة من قرأ: ﴿إنّ هذان لساحران﴾ على ما جرت به عادتك من الإغراب في الإعراب، فأطرق ابن كيسان ملياً ثم قال: بجعلها مبنية لا معربة، وقد استقام الأمر. قال: فما علة بنائها ـ قال: لأن المفرد منها هذا، وهو مبني، والجمع هؤلاء وهو مبني فتحمل التثنية على الوجهين، فأعجب القاضي ذلك وقال: ما أحسنه لو قال به أحد. فقال ابن كيسان: ليقل به القاضي وقد حسن[1].

رأي ابن هشام:

قال بعد أن ذكر عدة آراء لغيره من النحاة وناقشها:

وقيل: هذان اسمها، ثم اختلف. فقيل جاءت على لغة بلحارث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائماً كقوله:

قد بلغا في المجد غايتاها[2]

واختار هذا الوجه ابن مالك.

وقيل: هذان مبني لدلالته على معنى الإشارة، وإن قول الأكثرين . . هذين جراً ونصباً ليس إعراباً أيضاً، واختاره ابن الحاجب.

قلت: وعلى هذا فقراءة هذان أقيس، إذ الأصل في المبني ألا تختلف صيغه مع أن فيها مناسبة لألف ساحران، وعكسه الياء في ﴿إحدى ابنتي هاتين﴾[3] فهي هنا أرجح لمناسبة ياء ابنتي[4].

رأي أبي عبيدة:

قال: ومجاز المحتمل من وجوه الإعراب كما قال: ﴿إن هذان

---

(١) الأشباه والنظائر: جـ ٦ ص ٦ جـ٢ ص ٣٢٨ بتحقيقي.

(٢) نسب قوم هذا الرجز لرؤبة بن العجاج ونسبه آخرون لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي، هامش شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: ص ٣٩، مطبعة مصطفى محمد.

(٣) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٤) مغني اللبيب جـ ١ ص ٣٧ ـ مطبعة الحلبي.

لساحران﴾ قال: وكل هذا جائز معروف قد يتكلمون به[1].

* * *

هذه طائفة من آراء متعدّدة في هذه القراءة التي وردت في ﴿إن هذان لساحران﴾.

والواقع أنه لا داعي لهذه التأويلات والتقديرات التي تشتت الفكر، وتحير العقل، وتجعل طالب النحو يعيش في دوامة من اضطرابات الآراء وتناقض الأفكار التي يلمسها في دراسته لمسائل هذا العلم، لِمَ لا نريح أنفسنا، ونوفر هذا المجهود الذي لا يوصل إلى الهدف. ونقول: إنها لغة، واللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع لهذه المقاييس النحوية، ولم تكن لغة قبيلة واحدة بل ذكر بعض النحاة أنها لغات قبائل متعددة كما قال ابن جماعة إنها: «لغة بني الحارث وخثعم وزبيد وهمدان وبني العنبر وعذرة ومراد وغيرهم»[2].

ومن عجب أن تكون لغة لهذه القبائل المتعدّدة، ثم يأتي النحاة ـ بعد ذلك ـ يتأولون، ويخرجون، ونسوا أنه يجب أن تؤخذ هكذا كما رويت وكما قرىء بها.

٢ ـ ﴿وامسحوا برءوسكم وأرجَلِكم﴾[3]:

رأي أبي جعفر النحاس:

قال أبو جعفر النحاس: «من قرأ بالنصب جعله عطفاً على الأول» ﴿واغسلوا أرجلكم﴾.

ثم قال: إن الأخفش وأبا عبيدة يذهبان إلى أن الخفض على الجوار والمعنى للغسل. وقال الأخفش: مثله: ـ هذا جحر ضب خرب ـ وقال أبو جعفر معقباً: وهذا القول غلط عظيم، لأن الجوار لا يجوز في الكلام أن

---

(١) مجاز القرآن: ص ١٦: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي م ٢١٠ هـ، تحقيق محمد فؤاد سزكين، ط أولى، سنة ١٩٥٤ م.

(٢) حاشية ابن جماعة على شرح الشافية: جـ ١ ص ٢٧٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

يقاس عليه وإنما هو غلط، ونظيره الإقواء[1].

وينسب أبو جعفر قراءة النصب إلى «عروة بن الزبير ونافع والكسائي»:

قال: وقرأ أنس بن مالك: ﴿وأرجلكم﴾ بالخفض، وهي قراءة أبي جعفر وأبي عمرو بن العلاء وعاصم وحمزة والأعمش.

على أنه يقال: تمسحت بمعنى تطهرت للصلاة. فتكون على هذا الخفض كالنصب.

قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: التقدير: وأرجلكم غسلاً، ثم حذف هذا لعلم السامع[2].

رأي الزجاج:

قال: القراءة بالنصب، وقد قرئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربية، فمن قرأ بالنصب فالمعنى ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم﴾ على التقديم والتأخير، والواو جائز فيها ذلك كما قال جل وعز: ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[3] والمعنى: اركعي واسجدي، لأن الركوع مثل السجود.

ومن قرأ: وأرجلكم بالجر عطف على الرؤوس: قال بعضهم: نزل جبريل بالمسح والسنة في الغسل.

وقال بعض أهل اللغة هو جر على الجوار. فأما الخفض على الجوار فلا يجوز في كتاب الله[4].

---

(١) إعراب القرآن: ورقة ١٥٠: لأبي جعفر النحاس، مخطوط رقم ٤٨، تفسير دار الكتب.

(٢) الناسخ والمنسوخ: ص ٢١: لأبي جعفر النحاس، مطبعة السعادة، ط أولى، سنة ١٣٢٣ هـ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج: ورقة ٥٩، ٦٠، مخطوط رقم ١١١ م، تفسير.

رأي ابن الحاجب:

قال: من قرأ بالخفض عطف على قوله برؤوسكم وأرجلكم، والمراد اغسلوا أرجلكم وليس الخفض على المجاورة، وإنما على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر.

والعرب إذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى، ولكل واحد متعلق جوّزت ذكر أحد الفعلين، وعطفت متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كأنه شريكه في أصل الفعل إجراء لأحد المتقاربين مجرى الآخر كقولهم: تقلدت بالسيف والرمح، وعلفتها بالتبن والماء.

وقال الإمام الزمخشري: إنه مخفوض على الجوار وليس بجيد إذ لم يأت الخفض على الجوار في القرآن الكريم ولا في الكلام الفصيح وإنما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب، فلتحمل الآية على ما ذكر[1].

رأي الزمخشري:

قال: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب، فدل على أن الأرجل مغسولة. فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر، ودخولها في حكم المسح؟».

قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة الإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها[2].

تعقيب:

ويعقب ابن المنير على الزمخشري فيقول: ولم يوجه الجر بما يشفي الغليل، والوجه منه أن الغسل والمسح متقاربان من حيث أن كل واحد

---

(١) الأمالي لابن الحاجب: ص ٥٥، مخطوط رقم ١٠٣٤ نحو - دار الكتب.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التأويل: جـ ١ ص ٤٧٤.

منهما إمْساسٌ بالعضو، فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثمّ كقوله:

متقلداً سيفاً ورمحا[1]

وقوله:

علفتها تبناً وماءً بارداً[2]

ونظائره كثير، وبهذا وجّه الحذاق[3].

رأي العُكبَري:

قال: وأرجلكم يقرأ بالنصب، وفيه وجهان: أحدهما هو معطوف على الوجوه والأيدي، أي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، وذلك جائز في العربية بلا خلاف، والسنة الدالة على وجوب غسل الرجلين تقوي ذلك.

والثاني: أنه معطوف على موضع برؤوسكم، والأول أقوى، لأن العطف على اللفظ أقوى من العطف على الموضع.

ويقرأ في الشذوذ بالرفع على الابتداء، أي وأرجلكم مغسولة ـ كذلك ـ ويقرأ بالجر، وهو مشهور أيضاً كشهرة النصب، وفيه وجهان:

أحدهما: أنها معطوفة على الرؤوس في الإعراب، والحكم مختلف، وليس بممتنع أن يقع في القرآن لكثرته فقد جاء في القرآن والشعر فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وحور عينٍ﴾[4] على قراءة من جر وهو معطوف على قوله: ﴿بأثواب﴾، ﴿وأباريق﴾ والمعنى مختلف إذ ليس المعنى: عليهم ولدان مخلدون بحور عينٍ.

---

(١) لعبد الله بن الأبعري. انظر: الأشباه والنظائر بتحقيق: ٢/ ١٥٠.

(٢) قال السيوطي: تمامه: حتى شتت همالة عيناها. ثم قال: هذا رجز مشهور لم أر أحداً عزاه إلى راجز (شواهد المغني: ص ٣١٣)، المطبعة البهية بمصر. وهو لرؤبة انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي بتحقيقي رقم ١٥١.

(٣) الانتصاف: ص ٤٧٤: لأحمد بن المنير، مطبعة الاستقامة، طبعة ثانية.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٢٢.

قال الشاعر وهو النابغة:

لم يبق إلا أسير غير مُنْفَلِتٍ   أو مُوثَقٍ[1] في حبال القدّ مجنوبِ[2]

والقول في مجروره، والجوار مشهور عندهم في الإعراب. وقلب الحروف بعضها إلى بعض والتأنيث وغير ذلك.

فمن الإعراب ما ذكرنا في العطف، ومن الصفات قوله: ﴿عذاب يوم محيطٍ﴾[3] واليوم ليس بمحيط وإنما المحيط العذاب. وكذلك قوله: ﴿في يوم عاصف﴾[4] واليوم ليس بعاصف، وإنما العاصف الريح. ومن قلب الحروف قوله عليه الصلاة والسلام: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» والأصل موزورات، ولكن أريد التآخي. ومن التأنيث قوله: ﴿فله عشر أمثالها﴾[5] فحذف التاء من عشر، وهي مضافة إلى الأمثال، وهي مذكرة[6].

وهذه القراءة أيضاً مرجعها اللغة لا القياس، فالنحاة لم يحيطوا بكلام العرب، وبنوا أقيستهم على مجموعة من النصوص لم تحط بكل ما قال العرب.

وقد أصاب العُكْبرِي في هذا البحث القيم إذ بيّن أن الجوار أمر لا تنكره اللغة، وإذا لم تنكره اللغة لا ينكره القرآن، لأنه نزل بلغات العرب، بلسان عربي مبين.

* * *

---

(١) ديوان النابغة: ص ١٢، من مجموعة خمسة دواوين، ٧ الوهبية، سنة ١٢٩٣ هـ.

(٢) القد: الشيء المقدود بعينه، مجنوب: جنب الفرس والأسير بجنبه جنباً بالتحريك فهو مجنوب وجنيب قاده إلى جنبه (اللسان في الكلمتين).

(٣) سورة هود: الآية ٨٤.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

(٦) إملاء، ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: جـ ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩، مطبعة الحلبي.

٣ ـ ﴿وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾[١]:

رأي الفراء:

قال: وفي بعض مصاحف أهلِ الشام شركايهم بالياء فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ زُيِّن ويكون الشركاء هم الأولاد، لأنهم منهم في النسب والميراث.

ثم قال: فإن كانوا يقرءون زَيَّنَ فلست أعرف جهتها إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عشايا[٢] ثم يقولون في تثنية الحمراء حمرايان، فهذا وجه أن يكونوا قالوا: زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم، وإن شئت جعلت زين إذا فتحته فعلاً لإبليس ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد.

وليس قول من قال: إنما أراد مثل قول الشاعر:

فَزَجَجْتُها متمكناً زج القلوصَ أبي مزاده[٣]

بشيء، وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز، ولم نجد مثله في العربية[٤].

والفراء في هذه القراءة قراءة أهل الشام يبيّن وجه هذه القراءة فإن كانت «شركايهم» بالياء فينبغي أن تكون زُيِّن مبنية للمفعول.

والفراء لا يدري ماذا يقرأ أهل الشام؟ فإن كانوا يقرءون زين بالبناء للمفعول فإن الشركاء على هذه القراءة هم الأولاد، لأنهم منهم في النسب والميراث.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

(٢) أي يبقون حرف العلة في الطرف بعد الألف الزائدة على أصله ولا يبدلونه همزة فيقولون في بنيت بنايا لا بناء (من هامش معاني القرآن للفراء في الموضع نفسه).

(٣) قيل المراد: زججت الكتيبة أي دفعتها، والقلوص: الناقة الضعيفة، وأبو مزادة: رجل (هامش معاني الفراء).

(٤) معاني القرآن للفراء: ص ٣٥٧، ٣٥٨ جـ ١. مطبعة دار الكتب، تحقيق الأستاذين أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار.

وإن كانوا يقرأون زين بالبناء للفاعل فهذه القراءة لا يعرف جهتها ثم يحترس، ويقول إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون: عشايا، ومعنى ذلك (أن شركايهم) جاءت على لغة من يبقى حرف العلة في الطرف بعد الألف الزائدة على أصله ولا يبدلونه همزة.

رأي الزجاج:

قال: من التقديم والتأخير قراءة ابن عامر... والتقدير قتل شركائهم أولادهم، فقدم المعفول على المضاف إليه، قالوا: وهذا ضرورة ليست بضرورة، لأنه قد كثر عندهم ذلك وأنشدوا منه:

بين ذراعي وجبهة الأسد[1]

أي بين ذراعي الأسد وجبهته[2].

رأي الطبري:

قال: قرأ أهل الشام: ﴿وكذلك زين﴾ بضم الزاي لكثير من المشركين قتل بالرفع، أولادهم بالنصب، شركائهم بالخفض، بمعنى: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض... وذلك في كلام العرب قبيح ـ غير فصيح ـ وقد روي عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ ما ذكرت من قراءة أهل الشام، رأيت رواة الشعر، وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه، وذلك قول قائلهم:

فزججتها متمكناً   زج القلوصَ أبي مزاده

والقراءة التي لا أستجيز غيرها **﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾** بفتح الزاي من زين، ونصب القتل بوقوع زين

---

(١) نسب للفرزدق من شواهد سيبويه ٩٢/١، والخزانة ٣٦٩/١، وذراعا الأسد، وجبهة الأسد: أسماء نجوم.

(٢) إعراب القرآن: ص ١٦٨، مخطوط رقم ٥٢٨ ـ تفسير دار الكتب ـ وهذا الكتاب منسوب للزجاج وهو منه بريء كما سنبين في الباب الثالث إن شاء الله.

عليه، وخفض أولادهم بإضافة القتل إليهم، ورفع الشركاء بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل[1].

رأي الزمخشري:

قال: ﴿قتل أولادهم شركائهم﴾ برفع القتل ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير ظرف.

ثم قال متحدثاً عن ابن عامر صاحب هذه القراءة: والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف ﴿شركائهم﴾ مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أقوالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب[2].

تعقيب:

ويعقب أبو حيان على الزمخشري بقوله:

«وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت».

وأعجب لسوء ظن الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم وفهمهم، وديانتهم». ثم قال: وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب: هو غلام ـ إن شاء الله ـ أخيك، فالفصل بالمفرد أسهل.

وقد استدل أبو حيان في رده على الزمخشري بقول أبي الفتح: إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي، وما جاء به، فإن كان فصيحاً وكان ما أورده يقبله القياس فالأولى أن يحسن الظن به، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها، وعفا رسمها. ثم

---

(١) تفسير الطبري: ج ٨ ص ٣١.

(٢) البحر المحيط: ج ٤ ص ٢٢٩، ٢٣٠.

استدل أخيراً بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور: «ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم لجاءكم علم وافر وشعر كثير»[1].

رأي السفاقسي:

ينقل السفاقسي رأي أبي حيان في البحر الذي سبق ذكره. ثم قال:

إنّا نقوي ذلك بالنقل والمعنى، فأما النقل فوروده في أبيات كثيرة أنشدها ابن مالك في شرح التسهيل منها:

عتوا[2] إذ أجبناهم إلى السلم رأفة ... فسقناهم سوق البغاثَ الأجادلِ

ثم قال:

وأنشد الأخفش[3]:

فزججتها بمزجة ... زج القلوصَ أبي مزادة

وأنشد ثعلب قول الشاعر:

لئن كان النكاح أحل شيئاً ... فإن نكاحها مطرٍ حرام

بجر مطر وهو اسم رجل.

وجاء منه في اسم الفاعل قراءة بعض السلف رضي الله عنهم:

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعدَهُ رسلِه﴾[4].

وفي الحديث: «هل أنتم تاركو لي صاحبي»، ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله.

---

(١) البحر المحيط: جـ ٤ ص ٢٢٩، ٢٣٠، بتصرف.

(٢) عتوا: أفسدوا، وإذ بمعنى حين، الأجادل: جمع أجدل: طائر، البغاث: طائر ضعيف يصاد، ولا يصيد، (شرح الشواهد للعيني) جـ ٢ ص ٢٧٦، هامش شرح الأشموني، ط الحلبي).

(٣) المزجّة: رمح قصير كالمزراق، وقد لحن من فتح ميمها، وزججت الرجل إذا طعنته بالرمح (العيني) في الموضع نفسه.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٤٧.

وأما المعنى فمن أوجه ثلاثة، ذكرها ابن مالك:

أحدها: كون الفاصل فضلة فإنه بذلك صالح لعدم الاعتداد به.

الثاني: أنه غير أجنبي يعني الفاصل، لأنه معمول للمضاف وهو المصدر.

الثالث: أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف إليه مقدر التقديم، لأنَهُ فاعل في المعنى، حتى إن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل، لاقتضى القياس استعماله، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً... وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب: هو غلام ـ إن شاء الله ـ أخيك، فالفصل بالمفرد أسهل[1].

* * *

هذه آراء مشاهير النحاة في قراءة ابن عامر، جماعة يؤيدون القراءة، وآخرون يرفضونها.

ولست أدري لِمَ يقف النحاة المعارضون من قراءة ابن عامر هذا الموقف؟ وابن عامر عربي قح كما يقول أبو حيان، وابن عامر عاش في عصر الاحتجاج، فلو فرض أن ابن عامر كان شاعراً لاحتج بشعره، ولو كان خطيباً لاعتمد على نثره. ولو قال مثلاً، لكان دليلاً يحتج به، ذلك لأنه توفي سنة ١١٨ هـ[2].

فقراءة ابن عامر أجدر بالقبول، وأحق بالأخذ من هذا الشعر الذي قاسوا عليه وأخذوا به، ولم تكن قراءة ابن عامر ليس لها نظائر ـ فكما قدمت ـ لها نظائر في الشعر وفي الحديث، وفي كلام العرب.

ولا أريد أن أكرر أن اللغة ليست وقفاً على مجموعة من النصوص التي لم تقم على استقراء كامل، واستيعاب دقيق.

* * *

---

(١) إعراب القرآن للسفاقسي، مخطوط رقم ٢٢٢ تفسير.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥١.

٤ ـ ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ﴾[١]:

رأي الزجاج:

قال: والقراءة الجيدة نصب الأرحام، والمعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية، لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم، لأن النبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم فكيف يكون تتساءلون به وبالرحم على ذا».

ثم قال: وإجماع النحاة أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسمٍ مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار، يستقبح النحويون: مررت به وزيدٍ، وبك وزيداً إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد، فقال بعضهم: لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل، فكأنه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه[٢].

رأي ابن جني:

أما ابن جني فإنه دافع عن هذه القراءة، ولم يكن كالزجاج ينكرها ويرفضها، وقد أنكرها أيضاً أستاذ الزجاج وهو المبرد وهنا نجد ابن جني يتولى الدفاع بحرارة عن هذه القراءة. قال:

«ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس»[٣]. ويعني بأبي العباس المبرد، وذلك أن المبرد تعرض لهذه القراءة في كتابه الكامل فقال:

وقراءة حمزة: ﴿الذي تساءلون به والأرحامِ﴾ بالجر، وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه الشاعر كما قال:

---

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ورقة ٢، مخطوط رقم ١١١ م ـ تفسير.

(٣) الخصائص: جـ ١ ص ٢٨٥.

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا[١] فاذهب فما بك والأيامِ من عجب[٢]

ويخرج ابن جني هذه القراءة تخريجاً قوياً قائماً على أسس متينة ودعائم ثابتة يقول:

لحمزة أن يقول لأبي العباس: «إنني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت: وبالأرحام، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك: بمن تمرر أمرر، وعلى من تنزل أنزل، ولم يقل أمرر به، ولا أنزل عليه، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما»[٣].

رأي الزمخشري:

قال الزمخشري: والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد، لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: مررت به وزيد، وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجزْ، ووجب تكرير العامل كقولك: مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد، ألا ترى إلى صحة قولك: رأيتك وزيداً، ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال، لا أنه لم يتكرر. وقد تمحّل بصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار. ونظيرها:

*فما بك والأيامِ من عجب *[٤]

رأي ابن يعيش:

قال: إن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظراً إلى العطف على

---

(١) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد: جـ ٢ ص ٧٤٩، تحقيق الدكتور زكي مبارك.

(٢) من أبيات الكتاب ولم ينسب إلى قائل معين (العين).

(٣) الخصائص: جـ ١ ص ٢٨٥.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جـ ١ ص ٣٥٦.

المضمر المخفوض[1].

ثم قال: ويحتمل وجهين آخرين غير العطف على المكنى المخفوض.

أحدهما: أن تكون الواو واو قسم، وهم يقسمون بالأرحام، ويعظمونها ـ وجاء التنزيل على مقتضى استعمالهم ـ، ويكون قوله: **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾**، جواب القسم.

والوجه الثاني: أن يكون اعتقدوا أن قبله باء ثانية حتى كأنه قال: وبالأرحام، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها[2].

ولم يرتض ابن يعيش موقف المبرد من إنكاره هذه الرواية، فقال ناقداً رأيه:

وقد رد أبو العباس محمد بن يزيد هذه القراءة وقال: لا تحل القراءة بها، وهذا القول غير مرضي من أبي العباس، لأنه قد رواها إمام ثقة، ولا سبيل إلى رد نقل الثقة مع أنه قد قرأ بها جماعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس والقاسم وإبراهيم والنخعي والأعمش والحسن البصري، وقتادة ومجاهد وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها[3].

رأي الفخر الرازي:

قال: أما قراءة حمزة فقد ذهب الأكثرون من النحويين إلى أنها فاسدة. قالوا: لأن هذا يقتضي عطف المظهر على المضمر المجرور، وذلك غير جائز.

واحتجوا على عدم جوازه بوجوه:

أولها: قال أبو علي الفارسي: المضمر المجرور بمنزلة الحرف، فوجب ألا يجوز عطف المظهر عليه.

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش: جـ ٣ ص ٧٨، إدارة الطباعة المنيرية.
(2) شرح المفصل لابن يعيش: جـ ٣ ص ٧٨، إدارة الطباعة المنيرية.
(3) المرجع نفسه والصفحة.

ثانيها: قال علي بن عيسى: إنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على المضمر المرفوع، فلا يجوز أن يقال: أذهب وزيد، وذهبت وزيد بل يقولون: اذهب أنت وزيد، وذهبت أنا وزيد مع أن المضمر المرفوع قد ينفصل، فإذا لم يجز عطف المظهر على المضمر المرفوع مع أنه أقوى من المضمر المجرور بسبب أنه قد ينفصل فلأن لا يجوز عطف المظهر على المضمر المجرور مع أنه البتة لا ينفصل كان أولى.

ثالثها: قال أبو عثمان المازني: المعطوف والمعطوف عليه متشاركان وإنما يجوز عطف الأول على الثاني لو جاز عطف الثاني على الأول وها هنا هذا المعنى غير حاصل، وذلك لأنك لا تقول: مررت بزيد و (ك)، فكذلك لا تقول: مررت بك وزيد[1].

وبعد عرضه هذه الآراء التي صدرت من مشاهير النحاة أدلى برأيه في هذه القراءة فقال:

واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوهاً قوية في دفع الروايات في اللغات، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله ﷺ. وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع، لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت.

وأيضاً، فلهذه القراءة وجهان:

أحدهما: أنها على تقدير تكرير الجار كأنه قيل: تساءلون به وبالأرحام.

وثانيهما: أنه ورد ذلك في الشعر، وأنشد سيبويه في ذلك:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيامِ من عجب

(١) مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير للإمام محمد الرازي: جـ ١ ص ١٣١، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٠٨ هـ، بتصرف.

وأنشد أيضاً:

نعلق في مثل السواري[1] سيوفنا   وما بينها والكعبِ غوط نفانف

والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن[2].

ولم ينس الفخر الرازي أن ينقد الزجاج في رأيه حيث ادعى فساد هذه القراءة فقال:

واحتج الزجاج على فساد هذه القراءة من جهة المعنى بقوله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم» فإذا عطفت الأرحام على المكنى من اسم الله اقتضى ذلك جواز الحلف بالأرحام.

ويمكن الجواب عنه بأن هذه حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية لأنهم كانوا يقولون: أسألك بالله والرحم، وحكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لا تنافى ورود النهي عنه في المستقبل.

وأيضاً: فالحديث نهي عن الحلف بالآباء فقط، وها هنا ليس كذلك بل هو حلف بالله أولاً ثم يقرن به بعده ذكر الرحم، فهذا لا يُنافى مدلول ذلك الحديث[3].

* * *

من هذه الآراء المتعدّدة في قراءة حمزة نتبين في وضوح وجلاء أن النحويين انقسموا إزاءها فريقين، مؤيدين، ومعارضين.

---

(١) قال العيني: السواري جمع سارية وهي الأسطوانة، ونفانف جمع نفنف وهو الهواء بين الساريتين وغوط جمع غائط وهو المطمئن من الأرض.

(٢) مفاتيح الغيب: جـ ١ ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه.

أما المؤيدون فإن لهم من الأدلة ما يجعل آراءهم صحيحة لأن القراءة والأسلوب العربي لا ينكرها.

أما المعارضون، فقد خانهم التوفيق، ولم يكن المبرد وتلاميذه كالزجاج أو الزمخشري ممن ينزعون نزعه في هذه القراءة محيطين بلغات العرب، وبكل ما قالوا، وكان الأجدر بهم أن يسلموا بهذه القراءة، لأنها قراءة متواترة لا سبيل إلى إنكارها، ولم يكن هناك ما يدعو إلى أن يقول المبرد بصددها «لو أني صليت خلف إمام يقرؤها لقطعت صلاتي»[1].

هذا، ولم يسلم المبرد من نقد الإمام اللغوي الحريري حينما أنكر ـ هذه القراءة ـ قال الحريري: «هذا من جملة سقطاته، وعظيم هفواته، فإن هذه القراءة منْ السّبع المتواترة وقد وقع في ورطة، وقع في مثلها بعض النحاة بناء على أن القراءات السبع عندهم غير متواترة، وأنه يجوز أن يقرأ بالرأي، وهو مذهب باطل، وخيال فارغ، فإنه لا يشك عاقل في تواترها فيما ليس من قبيل الأداء عند ابن الحاجب على ما فيه[2].

* * *

٥ ـ ﴿ولكم فيها معائش﴾[3]:

رأي مكي:

قال: معايش جمع مَعْيَشَةَ، ووزنه مفاعل، ووزن معيشة مَفْعَلة، وأصلها مَعْيشَةَ ثم ألقيت حركة الياء على العين والميم زائدة لأنه من العيش، فلا يحسن همزها لأنها أصلية، كان أصلها في الواحد الحركة، ولو كانت زائدة أصلها في الواحد السكون لهمزتها في الجمع نحو سفائن، واحدها سفينة على فعيلة، فالياء زائدة أصلها السكون ـ وكذلك يهمز في الجمع إذا كان موضع الياء ألف أو واو زائدتين نحو عجائز، ورسائل، لأن الواحد عجوز ورسالة.

---

(١) درة الغواص في أوهام الخواص: ص ٩٥ للحريري ـ مطبعة الجوائب، طبعة أولى.
(٢) المصدر نفسه. (٣) سورة الأعراف: الآية ١٠.

وقد روى خارجة عن نافع بهمز معائش، ومجازه أنه شبه الياء الأصلية بالزائدة، فأجراها مجراها وفيه بعد، وكثير من النحويين لا يجيزه[1].

رأي ابن جني:

قبل أن يذكر ابن جني رأيه في هذه القراءة يعرض لرأي أبي عثمان المازني مبيناً ماذا يرى في هذه القراءة؟ فيقول:

قال أبو عثمان: فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة «معائش» بالهمز فهي خطأ، فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ولم يكن يدري، ما العربية. . .؟ وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا[2].

ثم يدلي أبو الفتح ابن جني برأيه في هذا الموضوع فيقول:

قد اختلفت الرواية عن نافع فأكثر أصحابه يروي عنه معايش بلا همز. والذي روي عنه بالهمز خارجة بن مصعب. وإنما كان همزها خطأ عنده، لأنها لا تخلو من أن تكون جمع معاش، أو معيشة، أو معيش، فقد قال رؤبة:

إليك أشكو شِدّة المعيش

يريد المعاش وكل واحد من هذه عينه متحركة في الأصل، فأصل معاش معيش (بسكون العين وفتح الياء) وأصل معيشة معيشة (بسكون العين وكسر الياء) أو معيش، على مذهب الخليل.

وأصل مَعْيِش مكسور العين ليس غير، لأنه ليس في الآحاد اسم على مفعُل بضم العين.

ثم قال: وإذا كان الأمر كذلك فحق معاش ومعيش ومعيشة ألا يهمز

---

(١) تفسير مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ورقة ٦٣، مخطوط رق ٢٣٢ ـ تفسير.

(٢) المنصف لابن جني: ج ١ ص ٣٠٧.

في الجمع، لأنه قد كانت عينه متحركة في الأصل، فإذا احتاج إلى حركتها في الجمع حركها، ولم يَقْلِبها، واحتملت الحركة، لأنها قوية وهي من الأصل، وقد كانت متحركة في الواحد، وإنما يهمز في الجمع حروف المد واللين التي لاحظّ لها في الحركة في الواحد، نحو ألف رسالة، وياء صحيفة، وواو عجوز. إذا قلت: رسائل، وصحائف، وعجائز.

ثم قال: فأما قول العرب: مصائب فغلط لأن الياء في مصيبة عين الفعل وهي منقلبة عن واو، وأصلها مصْوِبة (بسكون الصاد وكسر الواو)، وأصلها الحركة، وقياسها مصاوب[1].

رأي ابن خالويه:

أما ابن خالويه فجرى في الطريق الذي جرى فيه الناقدون هذه القراءة فقال:

من همز هذه الياء فقد لحن، وقد روى خارجة عن نافع همزه وهو غلط، وحدثني أحمد عن علي عن أبي عبيد أن الأعرج قرأ معائش بالهمز[2].

رأي ابن الأثير:

نقل القلقشندي في «صبح الأعشى» رأي ضياء الدين بن الأثير في «المثل السائر» فقال: ضياء الدين بن الأثير في «المثل السائر» ومن العجب أن يقال: إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف وهذا نافع بن أبي نعيم، وهو من أكبر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأناً قد قال في معايش: معائش بالهمزة، وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه بإجماع من علماء العربية لأن الياء فيها ليست مبدلة من همزة، وإنما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف[3] الجمع المانع من

(١) المنصف: جـ ١ ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٤١ م، ص ٤٩.

(٣) أي التي تكون الهمزة بدلاً منها (هامش).

الصرف، ويكون بعدها حرف واحد، ولا يكون عيناً نحو سفائن.

ولم يعلم نافع الأصل في ذلك، فأخذ عليه، وعيب عليه من أجله وذلك أنه اعتقد أن معيشة على وزن فعيلة وتجمع على فعائل، ولم ينظر إلى أن الأصل في معيشة معيشة على وزن مفعلة، لأن أصل هذه الكلمة من عاش التي أصلها عيش على وزن فعل، ويلزم مضارع فَعَل المعتل العين يَفْعل لتصح الياء نحو يَعْيش ثم تنتقل حركة العين إلى الفاء، فتصير يَعِيش، ثم يبني من يعيش مفعول فيقال: معيوش به، كما يقال: ميسورٌ به، ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال: معيش به، كما يقال: مسير به، ثُمّ تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة[١].

* * *

وبعد، فإن نافع بن نعيم لم تنسب إليه وحده هذه القراءة، فقد نسبت أيضاً إلى: ابن عامر وقرأ بها أيضاً زيد بن علي والأعمش والأعرج[٢].

وإذا كان نافع بن نعيم لم يدر ما العربية؟ فهل كان ابن عامر، وزيد بن علي والأعمش والأعرج لا يدرون ما العربية كذلك؟ وإذا لم يدر هؤلاء ما العربية، فمن يدريها؟

وقد كان الفراء يحس بأن تخطئة نافع غير مقبولة، لأن العرب فعلت ذلك وخرجت عن المقاييس في كثير من المسائل، وعلينا أن نقبل هذه الرواية كما قبلنا جمع «مسيل»[٣] الماء أمسلة شبه بفعيل وهو مَفْعل، وقد همزت العرب المصائب، وواحدتها مصيبة، شبهت بـ

---

(١) صبح الأعشى: جـ ١ ص ١٧٨، ١٧٩ للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، ط دار الكتب، سنة ١٩٢٢ م.

(٢) حاشية ابن جماعة: جـ ١ ص ٢٩٠.

(٣) وذلك أن أفعله جمع لكل اسم مذكر رباعي ثالثة مدة: نحو رغيف أو أرغفة وقذال وأقذلة وعمود وأعمدة (شرح ابن عقيل): جـ ٤ ص ٣٢٤، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين.

«فعيلة» لكثرتها في الكلام[1].

* * *

٦ ـ ﴿والسّارقَ والسّارقَةَ فاقْطعوا أيديهما﴾[2]:

وردت هذه القراءة بنصب «السارق» و «السارقة» فأثارت مشكلة بين النحويين والمفسّرين.

وقد نسبت هذه القراءة إلى عيسى بن عمر، وشاركه في قراءتها ابن أبي عبلة[3] وعيسى بن عمر الذي نسبت إليه هذه القراءة عالم نحوي كبير، ومنزلته في الإحاطة باللغة واستيعابها منزلة اعترف بها الرّواة والمؤرّخون.

وصفة ياقوت في معجمه، فقال: «عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهور بذلك»[4] ويزيد بن الأنباريّ بأنه كان ثقة[5].

ومن العلماء الذين عرفوا منزلته أبو عمرو بن العلاء، فإن أبا عمرو كان إذا اجتمع مع عيسى في مجلس يسكت أبو عمرو ليتكلم عيسى. قال يونس: «وكانا إذا اجتمعا في مجلس لم يتكلم أبو عمرو مع عيسى لحسن إنشاده، وفصاحته»[6].

ولا أدل على إحاطة عيسى بن عمر باللغة أنه كان يكتب كُلّ ما يسمع، ويدوّن كل ما يروى. فقد ذكر السيوطيّ أن عيسى تحدّث عن نفسه في مجال الكتابة والتسجيل عن العرب فقال: «كنت أنسخ بالليل حتى ينقطع سوائي» يعني وسطه[7].

والعلاقة بين عيسى بن عمرو وسيبويه علاقة متينة، فقد روى عنه، وذكر بعض آرائه، وسجل له بعض القراءات.

---

(١) معاني القرآن للفراء: جـ ١ ص ٣٧٤.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣٨.
(٣) انظر: قراءة رقم ١٨٦٨ في «معجم القراءات القرآنية».
(٤) معجم الأدباء ١٤٦/١٦. (٥) نزهة الألباء: ١٤.
(٦) الخصائص ٣٠١/٣. (٧) المزهر ٣٠٤/٢.

فمن القراءات التي سجلها سيبويه في كتابه، هذه القراءة، وهي نصب السارق والسارقة في الآية الكريمة، ولم ينص سيبويه في كتابه على نسبة هذه القراءة لعيسى، لأن عيسى لم يكن القارىء الوحيد لها، وإنما كان يشاركه ابن أبي عبلة كما ذكرت سابقاً، ولذلك رأى أن ينسبها إلى أناس، فقال في كتابه: «وقد قرأ أناسٌ: والسارقَ والسارقَةَ»[١].

أما نسبتها إلى عيسى فقد ذكرها أبو حيان في تفسيره[٢]، وأبو جعفر النحاس في كتابه «إعراب القرآن»[٣] وغيرهما.

وقد اختلف النحاة في هذه القراءة الشاذّة التي نسبت إلى عيسى من حيث التأويل والتخريج.

١ ـ رأي سيبويه:

وجه سيبويه قراءة الرفع في هذه الآية، والآية التي تماثلها في التركيب وهي: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»[٤] كان الرفع هو قراءة العامّة[٥].

والمراد بالعامّة كما يقول أبو جعفر النحّاس: الجماعة[٦] وهذا الرفع مبني على أن الاسم المرفوع في الآيتين لم يُبْن على الفعل الذي بعده: «ولكنه جاء على مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الجنّة التي وُعد المتقون﴾[٧] ثم قال بعد: ﴿فيها أنهار من ماء﴾ فيها كذا وكذا، فإنما وضع المثل للحديث الذي بعده فذكر أخباراً وأحاديث، فكأنه قال: ومن القصص مثل الجنة، أو ما يُقصُّ عليكم مثلُ الجنّة، فهو محمول على هذا الإضمار ونحوه ـ والله أعلم ـ.

---

(١) سيبويه ١/١٤٤ هارون.
(٢) انظر: البحر المحيط ٣/٤٧٦، والنشر ٢/٢٥٤.
(٣) إعراب القرآن ١/٤٩٦.
(٤) سورة النور: الآية ٢.
(٥) سيبويه ١/١٤٤، هارون.
(٦) إعراب القرآن ١/٤٩٦.
(٧) سورة محمد: الآية ١٥.

وكذلك الزانية والزاني، كأنه لما قال جل ثناؤه:

﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾[1] قال: في الفرائض الزانية والزاني أو الزانية والزاني في الفرائض ثم قال: ﴿فاجلدوا﴾ فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما الرّفع...

وكذلك ﴿والسارق والسارقة﴾ كأنه قال: «فيما فرض الله عليكم السارقُ والسارقةُ، أو السارقُ والسّارقةُ فيما فرض عليكم، فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث»[2].

هذا هو تعليل سيبويه لقراءة الرفع التي قرأت بها العامّة.

وبعد أن فرغ سيبويه من تأويله قراءة الرّفع اتجه إلى تأويل قراءة النصب التي قرأ بها عيسى في الآيتين، فقال: «وقد قرأ أناسٌ: ﴿والسارقَ والسارقَةَ﴾ و ﴿الزانيةَ والزانيَ﴾ وهو في العربيّة على ما ذكرت لك من القوّة ولكن أبى العامّة إلا القراءة بالرفع».

وقراءة: «الزاني والزانية بالنصب» قرأت بها مجموعة من القراء، ولذلك كان سيبويه دقيقاً حينما تناول القراءة في الآيتين معاً حينما قال «وقرأ أناس» ولم يقل وقرأ عيسى، لأنّ عيسى كان يشاركه في آية والسارق والسارقة ابن أبي عبلة، وعيسى كان يشاركه في قراءة: «الزانية والزاني بالنصب قرأ آخرون وهم كثيرون: أبو عمرو - ابن محيصن - مجاهد - عمر بن عبد العزيز - عيسى بن عمر الهمذاني[3] - ابن أبي عبلة - أبو حيوة - محبوب - أم الدّرداء - طلحة بن مصرف[4].

وقد تولى أبو جعفر النحاس عرض هذه القضية في كتابه: «إعراب

---

(١) سورة النور: الآية ١.

(٢) سيبويه ٢/١٤٢ - ١٤٤.

(٣) غير عيسى بن عمر الثقفي القارىء المشهور الذي نسب إليه الرواة هاتين القراءاتين في الآيتين.

(٤) انظر: قراءة رقم ٥٨٠٥ من معجم القراءات.

القرآن» مبيناً وجه قوة قراءة النصب في الآيتين.

قال أبو جعفر مبيّناً وجه النصب فقال: «ونصبه بإضمار فعل أي اقطعوا السارق والسارقة.

وإنما اختار سيبويه النصب، لأن الأمر بالفعل أولى»[1].

٢ ـ رأي الفرّاء:

يرى الفراء: أن الرَفع أولى، لأنه ليس يقصد به إلى سارق بعينه فينصب، وإنما المعنى: كلّ من سرق فاقطعوا يده[2].

ويؤيد أبو جعفر النحاس هذا التخريج في قراءة الرفع ويستحسنه فيقول: «وهذا قول حسن غير مرفوع يدلّ عليه أنهم قد أجمعوا على أن قرءوا ﴿**واللذان يأتيانها منكم فآذوهما**﴾[3]. وهذا مذهب محمد بن يزيد»[4].

ويؤيد هذا التخريج أيضاً أبو محمد عبد الله بن محمد بن السّيد، وأبو الحسن طاهر بن باشاذ، ذكر الشيخ خالد في التصريح أن أبا محمد عبد الله بن محمد بن السيد، وأبا الحسن طاهر بن باشاد يختاران الرفع في الاسم المنظور فيه إلى العموم بالأمر كالسارق والسارقة فاقطعوا الشبيهة بالشرط في العموم والإبهام، ويختار النصب في الاسم المنظور فيه إلى الخصوص بالأمر كـ «زيداً فاضربه لعدم مشابهته للشرط»[5].

* * *

ـ نقد سيبويه في وصفه قراءة النصب بالقوة، وأنها المختارة عنده:

نقدها الزمخشري مبيناً أن سيبويه فضل قراءة النصب على قراءة العامّة، لأن: زيداً فاضربه أحسن من: زيد فاضربه[6].

---

(١) إعراب القرآن ٢/٤٩٦.
(٢) معاني القرآن للفراء ١/٣٠٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٦.
(٤) إعراب القرآن ١/٤٩٦.
(٥) التصريح ١/٢٩٩.
(٦) انظر: تفسير الألوسيّ ٦/ ٢٣١.

ـ دفاع عن سيبويه:

سيبويه في هذه القضيّة وفي هذا الاختيار مُتّهم بريء، لأن الزمخشري لم يفهم المعنى المراد من قول سيبويه: إن النصب في العربية على ما ذكرت لك من القوّة، وذلك لأن الإمام أحمد بن المنير في كتابه: «الإنصاف» الذي تعقب فيه تفسير الكشاف للزمخشري عرض هذه القضية، ودافع عن سيبويه، وأنصفه من الظلم، وبرّأه من الاتهام.

قال الألوسيّ عند تعرّضه لتفسير آية: ﴿والسارق والسارقة﴾ ما نصه: «وتعقبه الإمام أحمد في الانتصاف بكلام كله محاسن، فلا بأس من نقله برمّته، فنقول: قال فيه: المستقرأ من وجوه القراءات أن العامّة، لا تتفق فيها أبداً على العدول عن الأفصح، وجدير بالقرآن أن يحرز أفصح الوجوه، وألاّ يخلو من الأفصح»، إلى أن يقول: «وسيبويه يحاشى من اعتقاد عراء القرآن عن الأفصح، واشتمال الشاذ الذي لا يعد من القرآن عليه.

ونحن نوزده الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النّقل».

وبعد أن ذكر أحمد بن المنير نص سيبويه في هذه القضية الذي سجلته سابقاً بيّن أن سيبويه «في ترجمة باب الأمر والنّهي بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب. وملخصها: أنه متى بني الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار النصب، ثم قال كالموضح لامتياز هٰذه الآية عما اختار فيه النصب: وأما قوله عز وجل: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾، وقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ فإن هذا لم يُبْن على الفعل... يريد سيبويه تمييز هذه الآية عن المواضع التي بيّن اختيار النصب فيها.

ووجه التمييز أن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنيّاً على الفعل، وأمّا في هذه الآية فليس بمبنيّ عليه، فلا يلزم فيه اختيار النّصب... وإنما هو محمول على هذا الإضمار».

وعلق ابن المنير على قول سيبويه: وقد قرأ أناس: «السارق والسارقة بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامّة

إلاّ الرفع. يريد سيبويه: إن قراءة النّصْب جاء الاسم فيها مثبتاً على الفعل غير معتمد على ما تقدم. فكان النّصْب قوياً بالنسبة إلى الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل لا على متقدّم».

وليس يعني أنه قويّ بالنسبة إلى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدّم، فإنه قد بيّن أنّ ذلك يخرجه عن الباب الذي يختار فيه النّصْب، فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه؟، والباب مع القرائن مختلف، وإنما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب، فالنصب أرجح من الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل.

والرفع متعيّن ـ لا أقول أرجح ـ حيث يبنى الاسم على كلام متقدّم وإنما التبس على الزمخشريّ كلام سيبويه من حيث اعتقد أنه باب واحد عنده ألا ترى إلى قوله: لأنّ «زيداً فاضربه»، أحسن من «زيدٌ فاضربه»، كيف رجّح النصب على الرفع حيث يبنى الكلام في الوجهين على الفعل؟.

وقد صرّح سيبويه بأن الكلام في الآية مع الرفع مبنيّ على كلام متقدّم، ثم حقق هذا المقدار بأنّ الكلام واقع بعد قصص وأخبار.

ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه إلى تقدير بل كان يرفعه على الابتداء، ويجعل الأمر خبره كما أعربه الزمخشريّ.

فالملخّص على هذا أن النصب على وجه واحد، وهو بناء الاسم على فعل الأمر، والرفع على وجهين: أحدهما ضعيف وهو الابتداء، وبناء الكلام على الفعل، والآخر قويّ بالغ كوجه النّصب، وهو رفعه على خبر ابتداء ومحذوف دلّ عليه السّياق.

وإذا تعارض لنا وجهان في الرفع، أحدهما قويّ، والآخر ضعيف تعيّن حمل القراءة على القويّ كما أعربه سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ»[1] انتهى كلام ابن المنير.

---

(١) انظر: تفسير الألوسيّ ٦/ ١٣٢، ١٣٣.

وبهذا التحليل الرائع وضع ابن المنير النقاط على الحروف في هذه القضية وبين أن الزمخشري وأتباعه الذين نقدوا مقولة سيبويه في اختياره النصب خلطوا بين البابين، وجعلوهما باباً واحداً على حين كان يرى سيبويه أنَّ كلاً منهما باب مستقل، وأن الرفع مبني على كلام متقدم، وهو باب يختلف عن باب الاشتغال الذي يتقدّم فيه الاسم ويتأخر الفعل.

على أن ابن الأنباري كان منصفاً كل الإنصاف في رأيه الذي أدلى به في هذه القضية في بيان وجه الرفع، لأنه جرى على نهج سيبويه في تقدير المحذوف، وفي الوقت نفسه لم يضعف الرأي الثاني الذي ضعفه سيبويه بالنسبة لوجه النصب، لأن الفاء في نظره اقترنت بالفعل بعد المبتدأ وهو فاجلدوا وليست واقعة في جواب الشرط، لأنه لا شرط كما يقول سيبويه حتى يكون له جواب مقرون بالفاء في فعل الأمر إذا كان جواباً، وإنما الفاء في هذا الموضع زائدة، والحروف تزاد في مواضع كثيرة، بل وتحذف أيضاً. لأن ظاهرة الزيادة في الحروف واضحة في النحو العربي، فما رأي ابن الأنباري؟.

٣ ـ رأي ابن الأنباري؟:

قال: الزانية رفع بالابتداء، وفي خبره وجهان:

أحدهما: أن يكون خبره محذوفاً وتقديره: وفيما يُتْلى عليكم الزانية والزاني.

الثاني: أن يكون خبره: **﴿فاجلدوا﴾** والفاء زائدة كما يقال: زيد فاضربه؛ وصلح أن يكون خبراً للمبتدأ، وإن كان أمراً.

والخبر: ما احتمل الصدق والكذب لوجهين:

أحدهما: أن يكون التقدير: أقول: فاجلدوا، وحذف القول كثير في كلامهم.

والثاني: أن يكون محمولاً على المعنى كأنه يقول: الزانية والزّاني كل واحد منهما مستحق للجلد، وكذلك قولك: زيدٌ فاضربه، تقديره:

«أقول اضربه، أو مستحق للضرب»[1].

بهذا التحليل الرائع لوجه الرفع ألقى ابن الأنباري الضوء على هذه القضيّة مثبتاً أن إعراب الأمر المقرون بالفاء بعد المبتدأ لا يمنعه مانع إذا قدرنا أن الخبر محذوف بتقدير القول، وهذا من دون شك لا يمنعه سيبويه، وهو رأي وجيه استراحت إليه نفسي دون الوجوه الأخرى التي سقتها من قبل في هذه القضيّة، لأن سيبويه كما يتضح من نصه في كتابه يمنع أن يكون الخبر موصولاً بالفاء الشرطية إذا كان المبتدأ اسم فاعل أو اسم مفعول كما في الآية، فالزاني والزانية اسما فاعل، ولكنه لا يمنع أن يكون الخبر موصولاً بالفاء الشرطية إذا كان المبتدأ موصولاً، مثل **﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾**[2]، **﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾**[3] ومثل: الذي يأتيني فله درهم[4].

وفي رأيي أن الزميل الدكتور أحمد مكي الأنصاري كان متحاملاً على سيبويه لأنه كما يقول: «يحاول جاهداً أن ينتصر للرأي الذي ارتآه، ولا يريد أن يقول القاعدة التي ارتضاها مهما اصطدمت بالصحيح الوارد من الشواهد العديدة شعراً ونثراً»[5].

ويقول في موضع آخر: «وإذا أردنا تيسير النحو العربي في هذه القاعدة اتَّبعْنا مذهب الفراء، ومن حذا حذوه في جعل الجملة خبراً للمبتدأ سواء دخلت عليها الفاء أم لم تدخل، واستغنينا عن التأويل والتقدير الذي رأيناه عند سيبويه دون حاجة إليه»[6].

ومع احترامي وتقديري لرأي الزميل الفاضل، فإن النحو العربي في كثير من قضاياه لا بد من التأويل والتقدير فيها، وإلاّ لضاعت المعاني، واضطربت الأساليب العربيّة، واصطدمت القواعد بعضها ببعض.

وفي القرآن الكريم قضايا لغوية لا تؤخذ على ظاهرها ولا تصلح إلاّ

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٩١.
(٢) سورة المائدة: الآية ٩٥. (٣) سورة الطلاق: الآية ٣.
(٤) انظر: الأشباه والنظائر بتحقيق ٣/ ١٠١
(٥) سيبويه والقراءات: ١١٣. (٦) المرجع نفسه: ١١٥.

بالتأويل والتقدير. وصدق الله العظيم: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[1].

ولا أدلّ على ذلك من أن كلمة: «أول» ذكرت في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وفي هذا دليل على أن التأويل ركن من أركان تراثنا الإسلامي والعربي.

* * *

٧ ـ ﴿هؤلاء بناتي هنّ أطهرُ لكم﴾[2]:

قراءة العامّة أي الجماعة أو الجمهور برفع ﴿أطهرُ﴾.

والإعراب بالتفصيل كما ذكره ابن الأنباري في كتابه: «البيان في غريب إعراب القرآن» «أنّ ﴿هؤلاء﴾ في موضع رفع لأنه مبتدأ، و ﴿بناتي﴾ عطف بيان و ﴿هن﴾ فصل و ﴿أطهرُ﴾ مرفوع لأنه خبر المبتدأ»[3].

وهذا الإعراب لا خلاف فيه، لأنه موضع اتفاق بين النحويين، ولكن الخلاف النحوي أعلن عن نفسه في القراءة الأخرى وهي نصب ﴿أطهر﴾[4] في الآية.

والناظر إلى هذه القراءة الشاذة يعجب كل العجب أن مجموعة من القراء المشهورين قرءوا بها، فقد قرأ بها الحسن ـ زيد بن علي ـ عيسى بن عمر ـ سعيد بن جبير ـ محمد بن مروان السدي ـ مروان بن الحكم ـ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة هود: الآية ٧٨.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٤.

(٤) انظر: معجم القراءات قراءة رقم ٣٦٣٨.

عبد الله بن أبي إسحاق ـ عبد الملك بن مروان.

ـ التوجيه النحوي لهذه القراءة:

تناول سيبويه هذه القراءة في باب أطلق عليه:

«هذا باب لا تكون «هو» وأخواتها فيه فصلاً».

ثم بيّن أن هذه الضمائر في هذا الباب بقوله: ولكن يكنّ بمنزلة اسم مبتدأ ومثل لذلك بقوله: ما أظن أحداً هو خيرٌ منك، وما أجعل رجلاً هو أكرم منك. وما إخال رجلاً هو أكرم منك».

ويعلل سيبويه لعدم جعل هذه الضمائر ضمائر فصل بقوله: «لم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة» وقال: «كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة، ويؤكد هذا الرأي بالتوكيد بكلمتي، كلهم وأجمعين» فإنهما لا يؤكدان نكرة قال: «وكما أنّ كُلّهم وأجمعين لا يكرّران على نكرة فاستقبحوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها من المعرفة لأنها معرفة، فلم تصر فصلاً إلا لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة»[1].

هذا هو رأي سيبويه في ضمائر الفصل في باب لا تقع فيه فصلاً، وهو في هذا الرأي شارح محلل يأتي بالأمثلة، ليدلل على صدق هذه القاعدة.

ويواجه سيبويه بقراءة النصب التي قرأ بها جمع من القراء الذين يعتد بقراءتهم، ويعتبرها سيبويه أنها لحن من وجهة نظر أبي عمرو، فهذا اللحن لم يصدر عن فكر سيبويه، ولكنه صدر عن فكر أبي عمرو، وليس لسيبويه في رَمْي هذه القراءة باللحن إلا جهد الناقل، والناقل فحسب.

ولنترك سيبويه ينقل لنا رأي أستاذه أبي عمرو في هذه القراءة.

قال سيبويه: «وأمّا أهل المدينة، فينزلون «هو» ها هنا بمنزلته بين المعرفتين ويجعلونها فصلاً في هذا الموضع.

---

(١) انظر: سيبويه ٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ تحقيق هارون.

فزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحناً، وقال: احتبى ابن مروان في ذهِ اللحن... وذلك أنه قرأ: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم﴾[1] فنصب. والناظر إلى أصل القضية يرى أن أهل المدينة يجيزون وقوع هذه الضمائر ضمائر فصل لأنهم ينزلونها في هذا الباب بمنزلتها بين المعرفتين، ويجعلونها فصلاً.

إلى هنا كلام سيبويه مستقيم، ولكن استدلاله بقراءة النصب بناء على مذهب أهل المدينة لا يساعد سيبويه على هذا الاستدلال، فإذا كان أهل المدينة يجيزون الفصل بين النكرتين على حسب ما نسب إليهم سيبويه، فإن الفصل بضمير ﴿هن﴾ في الآية لا يتفق مع استدلال سيبويه.

ومن هنا كان السيرافي على حق حينما وجّه نقده إلى سيبويه في هذه القضية.

قال السيرافيّ: «وأمّا أهل المدينة، فينزلون «هو» ها هنا منزلتها في المعرفة في كان ونحوه:

ثم ناقش السيرافي سيبويه بقوله: «هذا الكلام إذا حمل على ظاهره غلط وسهو، لأن أهل المدينة لم يحك عنهم إنزال «هو» في النكرة منزلتها في المعرفة» والذي حكي عنهم: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم﴾ أي بالنصب و ﴿هؤلاء بناتي﴾. جميعاً معرفتان، و ﴿أطهرَ لكم﴾ مُنزَّل منزلة المعرفة في باب الفصل. والذي أنكر سيبويه أن يجعل: «ما أظن أحداً هو خير منك» فصلاً، وليس هذا مما حكي عن أهل المدينة.

والذي يصحح به كلام سيبويه أن يقال: هذا الباب والذي قبله بمنزلة باب واحد[2].

بهذا النقد البناء وضع السيرافيّ النقاط على الحروف في ردّه على سيبويه.

وفي رأيي أنه يبعد كل البعد أن يكون ابن مروان ومن معه من القراء

(١) سيبويه ٢/٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) انظر: رأي السيرافي في هامش سيبويه ٢/٣٩٦، هارون.

الذين قرأوا هذه الآية على هذا الوجه على خطأ ما دام لنا تخريج إعرابي.

التخريج الإعرابي لهذه القراءة:

١ ـ تخريج ابن جنّي:

قال في «المحتسب»: ذكر سيبويه هذه القراءة وضعفها... وإنما نتج ذلك عنده، لأنه ذهب إلى أنه جعل ﴿هن﴾ فصلاً وليست بين أحد الجزئين اللّذين هما مبتدأ وخبر، ونحو ذلك كقولك: ظننت زيداً هو خيراً منك. وكان زيد هو القائم.

وأنا من بعد أرى أن لهذه القراءة وجهاً صحيحاً وهو أن تجعل: ﴿هن﴾ أحد جزئَيْ الجملة، وتجعلها خبراً لبناتي كقولك: زيد أخوك هو، وتجعل: ﴿أطهر﴾ حالاً من ﴿هن﴾ أو من ﴿بناتي﴾ والعامل فيه معنى الإشارة كقولك: هذا زيد هو قائماً أو جالساً أو نحو ذلك، فعلى هذا مجازه[1].

٢ ـ تخريج ابن الأنباري:

قال ابن الأنباري: وللنصب وجه وهو أن يكون «هؤلاء» مبتدأ، و﴿بناتي﴾ مبتدأ ثانياً، و ﴿هن﴾ خبره، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأوّل.

و ﴿أطهر﴾ منصوب على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة كقولك: هذا زيد هو ذاهباً[2].

٣ ـ تخريج العكبريّ:

قال العكبريّ: وقرىء في الشاذّ: ﴿أطهرَ﴾ بالنصب، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون بناتي خبراً، و ﴿هن﴾ فصلاً، و ﴿أطهر﴾ حالاً.

---

(١) المحتسب ١/٧٦.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٢٥.

والثاني: أن يكون ﴿هن﴾ مبتدأ، و ﴿لكم﴾ خبراً، و ﴿أطهر﴾ حالاً.

والعامل فيه ما فيهن من معنى التوكيد بتكرير المعنى.

وقيل: العامل ﴿لكم﴾ لما فيه من معنى الاستقرار[1].

٤ ـ تخريجات متعددة ساقها الألوسيّ في تفسيره:

لقد جمع الألوسيّ عدة تخريجات بما حوته من تعقيبات، وللإفادة نسجل ما ذكره الألوسيّ في هذه القراءة الشاذّة التي شغلت أذهان النحويين، واعتبرت مشكلة إعرابية من مشكلات القراءات القرآنية:

قال الألوسيّ مبيناً قراءة الرفع: «والظاهر أن ﴿هؤلاء بناتي﴾ مبتدأ وخبر، وكذلك: ﴿هن أطهر لكم﴾. وجوّز أبو البقاء كون ﴿بناتي﴾ بدلاً أو عطف بيان، و ﴿هن﴾ ضمير فصل و «أطهر هو الخبر» وكون: ﴿هن﴾ مبتدأ ثانياً، و ﴿أطهر﴾ خبره، والجملة خبر هؤلاء»[2].

ولا إشكال في توجيه قراءة الرفع، وأمّا إشكال قراءة النصب فقد عرضها الألوسيّ جامعاً أطرافها، مستوعباً لمشكلاتها، مدققاً في التعقيب عليها.

قال: «إن من قرأ: أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه، وذلك لأن انتصابه على أن يجعل حالاً عمل فيها ما في: ﴿هؤلاء﴾ من الإشارة أو التنبيه».

أو بنصب «هؤلاء» بفعل مضمر كأنه قيل: خذوا هؤلاء، و «بناتي» بدل ويعمل هذا المضمر في الحال.

و ﴿هن﴾ في الصورتين فصل، وهذا لا يجوز، لأن الفصل إنما يكون بين المسند والمسند إليه، ولا يكون بين الحال وذيها [أي صاحبها] كذا قيل. وهذا المنع هو المرويّ عن سيبويه.

---

(١) إعراب القرآن للعكبري ٢/٤٣.   (٢) تفسير الألوسي ١٢/١٠٦.

وخالف في ذلك الأخفش فأجاز توسط الفصل بين الحال وصاحبها فيقول: جاء زيد هو ضاحكاً، وجعل من ذلك هذه الآية على هذه القراءة.

وقيل بوقوعه شذوذاً كما في قولهم: أكثر أكلي التفاح هي نضيجةً.

ومن منع ذلك خرج هذا على إضمار كان، والآية الكريمة على أن ﴿هن﴾ مبتدأ، و ﴿لكم﴾ الخبر، و ﴿أطهر﴾ حال من الضمير في الخبر.

واعترض بأن فيه تقديم الحال على عاملها الظرفيّ، والأكثرون على منعه.

أو على أن يكون ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ، و ﴿بناتي هن﴾ جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك: هذا أخي هو، ويكون ﴿أطهر﴾ حالاً، ورروي هذا عن المبرّد، وابن جنّي.

أو على أن يكون: ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ، و ﴿بناتي﴾ بدلاً منه أو عطف بيان، و «هن» خبر، و «أطهر» على حاله.

وتعقب بأنه ليس فيه معنى طائل، ودفع بأن المقصود بالإفادة الحال كما في قولك: هذا أبوك عطوفاً.

وادعى في «الكشف» أن الأَوْجه أن يقدّر: خذوا هؤلاء أطهر لكم، وقوله: ﴿بناتي هن﴾ جملة معترضة تعليلاً للأمر، وكونهن أولى قدمت للاهتمام كأنه قيل: خذوا هؤلاء العفائف أطهر لكم، إن بناتي هن، وأنتم تعلمون طهارتي وطهارة بناتي.

ويجوز أن يقال: ﴿هن﴾ تأكيد للمستكن في ﴿بناتي﴾ لأنه وصف مشتقّ، لا سيما على المذهب الكوفي[1].

وبعد، فهذه القراءة فتحت باباً من الحوار النحويّ ساعد على إنماء الدراسات النحوية في هذه القضية.

---

(١) تفسير الألوسي ١٢/١٠٧.

٣ ـ القراءات في ضوء الأصول النحوية والتخريجات

أ ـ هناك قراءات استخدمها النحاة لتقوية الأصول النحوية:

١ ـ فمن القراءات التي وردت على الأصل، وجاء الاستعمال بخلافها قراءة من قرأ: **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةِ سنين﴾**[1] بإضافة ثلاثمائة إلى سنين.

وقد قال سيبويه: إن هذا العدد أعني مائة إلى الألف يضاف إلى المفرد دون الجمع، وإنما جاء هذا هكذا تنبيهاً على أنِ الأصل أن يضاف إلى الجمع، وإن جاء الاستعمال بخلافه كقوله: **﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾**[2] والقياس استحاذ، وكقولهم: عسى الغوير أبؤساً[3] والقياس أن يكون خبر عسى أن مع الفعل[4].

٢ ـ ويفضل الزمخشري قراءة إبراهيم بن أبي عبلة لأنها أقوى في باب الأصول النحوية من غيرها، ذلك لأن الحسن البصري يقرأ: **﴿الحمدِ للهِ﴾**[5] بكسر الدال لاتباعها اللام، وإبراهيم يقرأ: **﴿الحمدُ لُلّه﴾** بضم الله لاتباعها

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٥. (٢) سورة المجادلة: الآية ١٩.

(٣) مثل يضرب للرجل يقال له: لعل الشرّ جاء من قبلك. والغوير: تصغير غار والأبؤس جمع بؤس وهو الشدة.
وأصل هذا المثل فيما يقال من قول الزباء حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير على طريقه: «عسى الغوير أبؤساً» أي لعل الشر يأتيكم من مثل الغار (مجمع الأمثال للميداني: جـ ٢ ص ١٧، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد).

(٤) إعراب القرآن المنسوب خطأ إلى الزجاج، ورقة ٣١، مخطوط رقم ٥٢٨، تفسير دار الكتب.

(٥) سورة الفاتحة: الآية ١.

الدال. قال الزمخشري: وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن[١].

٣ ـ وقد تجيء القراءة قوية في القياس، وإن كانت قليلة في الاستعمال كقراءة بعضهم في الفرقان ﴿ويوم يحشِرهم﴾[٢] بكسر الشين. ذكر ابن عطية أن ذلك قليل في الاستعمال قوي في القياس لأن يفعل بكسر العين في المتعدي أقيس من يفعُل بضم العين[٣].

* * *

ب ـ ومن القراءات التي وردت واستخدمت في تصحيح الآراء وتقويتها:

١ ـ قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان ربنا﴾**[٤] قال أبو الفتح: في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر... وأنه ليس كما يذهب الكوفيون في أن الكلام محمول على معناه، ودون أن يكون القول مقدراً معه[٥].

٢ ـ والقراءة تقوي رأياً في الإعراب، وذلك أن الزمخشري يعرب أشد من قوله تعالى: **﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾**[٦] معطوفاً على الكاف على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

قال الزمخشري: وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفاً على الحجارة[٧].

---

(١) الكشاف: جـ ١ ص ٨.   (٢) سورة الفرقان: الآية ١٧.

(٣) انظر: مجلة المجمع اللغوي: جـ ٢ مارس ١٩٣٥ من مقال القاموس ومذهب أبي زيد في المضارع ص ٢٣٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

(٥) المحتسب لابن جني: ص ١١٢، ص ١١٣، مخطوط رقم ٣٧٩، تفسير (بتصرف).

(٦) البقرة: الآية ٧٤.   (٧) الكشاف: جـ ١ ص ١١٦.

٣ ـ والقراءة قد تبين رأياً نحوياً وتقويه، وذلك أنه كما قال السيوطي في مسألة دخول الفاء في الخبر بعد المبتدأ: «أن يكون المبتدأ غير أل من الموصولات، وصلته ظرف أو مجرور، أو جملة تصلح للشرطية، وهي الفعلية غير الماضية، وغير المصدرة بأداة شرط أو حرف استقبال كالسين وسوف ولن أو بعد ما النافية... ثم قال السيوطي: بعد أن ذكر الأمثلة لهذه الشروط: ومثال الجملة: قوله تعالى: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾**[1] ويدل على أن ما موصولة سقوط الفاء في قراءة نافع وابن عامر»[2].

ج ـ ومن القراءات التي استخدمت في تقوية التخريجات النحوية وتصحيحها:

قراءة أبيّ وذلك أن ابن الأثير في «المثل السائر» يقول في قوله تعالى: **﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾**[3] وهو لأمركم وحده ـ يقصد ـ أجمعوا وإنما المراد: أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم، لأن معنى أجمعوا من أجمع الأمر إذ نواه، وعزم عليه.

وقد قرأ أبيّ رضي الله عنه: **﴿فأجمعوا أمركم، وادعوا شركاءكم﴾** وهذا دليل على ما أشرت إليه، وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[4].

* * *

---

(١) سورة الشورى: : الآية ٣٠. (٢) الهمع: ج ٢ ص ٥٧ بتحقيقي.
(٣) سورة يونس: الآية ٧١.
(٤) المثل السائر لضياء الدين المعروف بابن الأثير: ج ٢ ص ٩٥.

٤ ـ قراءات أثرت في الدراسات النحوية ومرجعها إلى اللغات

هناك قراءات أثرت في الدراسات النحوية ومرجعها إلى لهجات العرب التي نزل ببعضها القرآن الكريم، ولكن النحاة لم ينظروا إليها من خلال هذه الحقيقة، ومن هنا جاء بعضها على خلاف قياس النحاة مما أدّى إلى احتدام الجدل والنقاش بينهم في محيطها.

من هذه القراءات:

١ ـ قراءة ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾[1]:

بالتخفيف وهذه القراءة قرأ بها: «عروة بن الزبير وابنه هشام، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة»[2].

وهذه القراءة، لأنها خالفت أصول النحويين أنكرها معظمهم حتى إنهم وصفوها بالشذوذ:

يقول ابن جني في الخصائص:

«إن كان الشيء شاذاً في السماع، مطرداً في القياس، تحاميت ما تحامت العرب من ذلك: وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله.

من ذلك امتناعك من «وذر» و«ودع»، لأنهم لم يقولوهما، ولا غرو عليك.

أن تستعمل نظيرهما».

ثم قال: فأما قول أبي الأسود:

---

(١) سورة الضحى: الآية ٣.

(٢) البحر المحيط: ج ٨ ص ٣٨٥.

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودَعَه[1]

فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم: ﴿ما ودَعَك ربك وما قلى﴾[2].

ورجعت إلى كتب اللغة لأجد عندها ما يشفي غليلي، ويروي ظمئي في هذه المسألة، رجعت إلى المزهر فوجدته ينقل من الخصائص نقلاً حرفياً، فعجبت من السيوطي وهو الإمام الجليل كيف لا يكون له في هذه المسألة رأي. وجدته يقول ما نصه:

«فإن كان الشيء شاذاً في السماع، مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك - وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعك من وذر وودع لأنهم لم يقولوهما، ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما»[3].

وتركت المزهر والتجأت إلى لسان العرب، فوجدته يعتمد على رأي ابن جني في هذه المسألة قال:

«وسائر القراء قرءوا: ﴿ما ودّعك﴾ بالتشديد. وقرأ عروة بن الزبير ﴿وما ودَعك ربك﴾ بالتخفيف، والمعنى فيهما واحد، أي ما تركك ربك..».

وقال ابن جني: إنما هذا على الضرورة، لأن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما ينتجه القياس، وإن لم يرد به سماع، وأنشد قول أبي الأسود:

---

(1) قال الزبيدي: والذي في العباب أنه لأنس بن زنيم الليثي، وروى الأزهري عن ابن أخي الأصمعي أن عمه أنشده لأنس هو: ليت شعري عن خليلي... إلخ.
قلت: والقائل الزبيدي: لأبي حاتم أن الرواية في قول أنس بن زنيم قاله في الوعد ومن قال في الود فقط غلط، وقال: كأنه كان وعده شيئاً يدل لهذه الرواية البيت الذي بعده:

ولا يكن برقك برقاً خلّبا إن خير البرق ما الغيث معه

تابع العروس: جـ ٥ ص ٥٢٤.

(2) الخصائص: جـ ١ ص ٩٩.

(3) المزهر: جـ ١ ص ٢٢٩.

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحبّ حتى ودَعَه[1]

ويمّمت وجهي إلى كتب التفسير، وتخيرت واحداً منها اشتهر بالقراءات والدّفاع عنها، وتخريجها تخريجاً نحوياً، ذلك هو: «البحر المحيط»، وقلت: لعل مؤلفه، وهو نحويّ يضع النقاط على الحروف في هذه المسألة، ويريح أنفسنا لنطمئن إلى هذه القراءة، ولكنني وجدت شيخ النحاة لم يزد شيئاً عن قول ابن جني. يقول أبو حيان:

واستغنت العرب في فصيح كلامها بـ «ترك» عن «ودع»، و«وذر»، وعن اسم فاعلهما بتارك، وعن اسم مفعولهما بمتروك، وعن مصدرهما بالترك، ثم قال: وقد سمع ودع، ووذر.

قال أبو الأسود:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

وقال آخر:

وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر[2]

وهممت أن أناقش هؤلاء النحاة كيف يستغنونِ عن ماضي «ودع» بـ«ترك» وهم يعترفون صراحة بأنها سمعت، واللغة مصدرها السماع لا القياس، وبدأت أثيرها معركة ولكني توقفت لأني وجدت السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي قد تولى هذه المعركة بنفسه فكفاني مؤونة النقاش، وأشهد الله أن الرجل قال ما في نفسي، بل أكثر مما في نفسي، ومن الأمانة العلمية أن أترك له المجال ليرد كيد النحاة في نحورهم في هذه المسألة.

قال أبو حيوة:

وقرىء شاذاً: ﴿ما ودَعك ربك وما قلى﴾ بالتخفيف أي ما تركك

---

(١) لسان العرب ١٠/٢٦٣، المطبعة الأميرية سنة ٣٠١ هـ.

(٢) البحر المحيط: جـ ٨ ص ٤٨٥.

وهي قراءة عروة ومقاتل. وقراءة أبي إبراهيم، وابن أبي عبلة، ويزيد النحوي.

والباقون بالتشديد، والمعنى فيهما واحد وهي قراءته ﷺ، فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما. وجاء في الحديث: «لينتهين أقوام عن ودَعهم الجماعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» بعد هذا العرض: ساق حديث ابن جني في هذه القراءة السابق ذكره ثم قال:

قال شيخنا عند قوله: وقد أُميت ماضيه: قلت: هي عبارة أئمة الصرف قاطبة، وأكثر أهل اللغة، وينافيه ما يأتي بأثره من وقوعه في الشعر، ووقوع القراءة به، فإذا ثبت وروده، ولو قليلاً فكيف يدعي فيها الإماتة.

قلت: «والقائل ـ المرتضى الزبيدي ـ وهذا بعينه نص الليث، فإنه قال: وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر واستغنوا عنه بترك والنبي ﷺ أفصح العرب قد رويت عنه هذه الكلمة»[1].

* * *

٢ ـ ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم﴾[2]:

حكى أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني أن سعيد بن جبير قرأ:

﴿إنِ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم﴾ بتخفيف إن وكسرها لالتقاء الساكنين ونصب عباداً بالتنوين[3] ونصب أمثالكم ومعنى ذلك أن إنْ في هذه القراءة نافية، وتعمل عمل (ما) في رفع المبتدأ ونصب الخبر، فهذه القراءة تثبت عملَ «إن» النافية، ويؤيد هذه القراءة أنه «سمع من أهل

---

(١) تابع العروس للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي: ج ٥ ص ٥٢٤، ٥٢٥، المطبعة الوهبية، سنة ١٢٨٧ هـ.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

(٣) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، ورقة ٧٢، نسخة رقم ٤٨، تفسير مخطوط.

العالية يقولون: إن أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية»[1].

وينقد أبو جعفر النحاس هذه القراءة من ثلاث جهات:

أحدها: أنها مخالفة للسواد.

ثانيهما: أن سيبويه يختار الرفع في خبر إن إذا كانت بمعنى ما فيقول: إن زيد منطلق لأن عمل «ما» ضعيف و «إن» بمعناها فهي أضعف منها.

والجهة الثالثة: أن الكسائي زعم أن «إن» لا تكاد تأتي في كلام العرب بمعنى «ما» إلا أن يكون بعدها إيجاب كما قال الله عز وجل: **﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾**[2].

وهكذا أثرت المقاييس النحوية في عقلية أبي جعفر فدفعته إلى نقد هذه القراءة لأنها مخالفة لمقاييس سيبويه والكسائي، كأن مقاييس سيبويه تخضع لها لغات العرب جميعاً، وهذا تحكم لا يقوم على سند، وكان الأجدر به أن يقول: إن «إن» النافية في لغة أهل العالية تعمل عمل «ما»، ويريحنا من هذا النقد الذي أوحت به مقاييس سيبويه أو غيره من النحاة.

* * *

٣ ـ ﴿لننزعن من كل شيعة أيهم أشد﴾[3]:

قال ابن الأنباري:

وأما قراءة من قرأ: أيهم بالنصب فإنه نصبها بـ «لننزعنّ»، وجعلها معربة، وهي لغة لبعض العرب.

قال أبو عمر الجرمي:

خرجت من الخندق. . . ـ يعني خندق البصرة ـ حتى صرت إلى مكة

(١) شرح التصريح: جـ ١ ص ٢٠١.

(٢) سورة الملك: الآية ٢٠.

(٣) سورة مريم: الآية ٦٩.

لم أسمع أحداً يقول: اضرب أيُّهم أفضل، أي كلهم ينصبون[1].

٤ ـ صرف ما لا ينصرف:

قال أبو القاسم الزجاجي:

«وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا أفعل منك».

قال: وعلى هذه اللغة قرىء: ﴿قواريراً قواريراً من فضة﴾[2] بتنوينهما جميعاً فإذا نون فإنّما يرد إلى أصله[3].

ويُبيِّن «جبر ضومط» أن صرف ما لا ينصرف يجيء لغير ضرورة، بل إن المقام البلاغي قد يتطلب ذلك. يقول: وكذلك الأسماء غير المنصرفة. فإنها تجر بالفتحة ولا تنون للثقل، فإذا احتيج إلى الحركة والتنوين كان للمحتاج أن يرجع إلى الأصل. ثم قال: وجاء في أفصح كلام عربي منثور نقل إلينا تنوين ﴿سلاسل﴾[4] لغير ما حاجة، لأن الثقل خصوصية في اللفظة يدركها الذوق، ولو ترك قارىء التنوين في الآية لاختل أيضاً حسن الرّصف اختلالاً شديداً كما لا يخفى على ذي ذوق[5].

* * *

٥ ـ «قال السيوطي في الهمع»:

أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً وبها قرأ حفص ﴿وما أنسانيهُ﴾[6] بالضم ﴿بما عاهد عليهُ الله﴾[7].

---

(١) إعراب القرآن لابن الأنباري، ورقة ٢٥١، مخطوط ٦٤٤، تفسير.

(٢) سورة الإنسان: الآيتان ١٥، ١٦.

(٣) الأمالي لأبي القاسم الزجاجي: ص ٥٥ ط أولى ١٣٢٤، مطبعة السعادة.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٤.

(٥) فلسفة اللغة العربية وتطورها لجبر ضومط: ص ١٥١، مطبعة المقتطف، سنة ١٩٢٩.

(٦) سورة الكهف: الآية ٦٣. (٧) سورة الفتح: الآية ١٠.

وقرأ حمزة: ﴿لأهلِهِ امكثوا﴾[1]، [2].

* * *

٦ ـ ﴿سنفرغ لكم﴾[3]:

قال ابن خالويه في الحجة:

يقرأ بالنون مفتوحة، وضم الراء وبالياء مضمومة، وفتح الراء... ثم قال: فأما ضم الراء وفتحها مع النون فلغتان فصيحتان[4].

* * *

٥ ـ قراءات بنيت عليها قواعد نحوية:

هناك قراءات أثرت في بناء القواعد النحوية، بل بنيت عليها عدة قواعد نحوية جديدة.

ومِنْ أهم المسائل النحوية التي قامت على أساس من القراءات:

١ ـ إن النافية تعمل عمل إن بقراءة ابن مسعود وقد سبقت الإشارة إليها.

٢ ـ النصب بلم:

حكى اللحياني عن بعض العرب: أنه ينصب بلم. وقال ابن مالك في شرح الكافية: زعم بعض الناس أن النصب بلم لغة، اغتراراً بقراءة بعض السلف ﴿ألم نشرحَ لك صدرك﴾[5] بفتح الحاء. ويقول الراجز:

في أي يومي من الموت أفِرْ ... أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر[6]

---

(١) سورة طه: الآية ١٠. (٢) الهمع: جـ ١ ص ٢٠٢ بتحقيقي.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣١.

(٤) الحجة لابن خالويه، ورقم رقم ١٥٠، مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب، دار الكتب، طبع وأعيد طبعه بدار الشروق، بيروت، بتحقيق المؤلف، وقد طبع خمس طبعات.

(٥) سور الشرح: الآية ١.

(٦) قال العيني: قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثل به (العيني).

وهو عند العلماء محمول على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة ففتح لها ما قبلها ثم حذفت ونونت[1].

وابن مالك في قوله هذا لم يكن موفقاً، فاحتمال التأويلات البعيدة والتخريجات التي لا تقوم على سند أمر يعسر النحو، ويضيق مسالكه، والأمر في هذه القراءة واضح وهو أن بعض العرب ينصب بلم كما حكى اللحياني. على أن الأشموني نقد ابن مالك في قوله هذا. فقال ناقداً لتأويل ابن مالك وتخريجه:

«وفيه شذوذان: توكيد المنفي بلم، وحذف النون لغير وقف، ولا ساكنين»[2].

٣ ـ زيادة قاعدة جديدة في مواضع النصب بعد الفاء والواو:

قال السيوطي في الهمع:

«وزاد ابن مالك في مواضع النصب بعد الفاء والواو النصب بعدهما بعد حصر كقراءة ابن عامر ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[3] بالنصب»[4].

٤ ـ حمل إن الجازمة على لو في رفع الفعل بعدها:

قال ابن مالك:

فمن رفع الفعل بعد إن حملا على لو، قراءة طلحة ﴿فإن ما تَرَين من البشر أحداً﴾[5] بسكون الياء وتخفيف النون، فأثبت نون الرفع في فعل الشرط بعد إن مؤكدة بما حملاً لها على لو[6].

٥ ـ جواز تأنيث المذكر إذ أوّل بمؤنث بقراءة أبي العالية:

قال ابن مالك:

---

(١) شرح الأشموني: جـ ٤ ص ٨.
(٢) شرح الأشموني: جـ ٤ ص ٨.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٧.
(٤) الهمع: جـ ٤ ص ١٣٨ بتحقيقي.
(٥) سورة مريم: الآية ٣٦.
(٦) شواهد التوضيح: ص ١٩.

من ذلك قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾[1] فأنث عدد الأمثال وهي مذكرة لتأويلها بحسنات. ومثله قراءة أبي العالية ﴿لا تنفع نفساً إيمانُها﴾[2] بالتاء والفعل مسند إلى الإيمان، لكنه في المعنى إطاعة وإنابة، فكان ذلك سبباً اقتضى تأنيث فعله[3].

ونرى ابن مالك حينما يعتمد على قراءة أبي العالية في جواز تأنيث المذكر إذا أوّل بمؤنث ينقد ابن جني في توجيهه لقراءة أبي العالية لأنه خفي عليه بعض أسرار هذا التوجيه.

يقول ابن مالك: ولا يجوز أن يكون تأنيث فعل الإيمان لكون الإيمان سرى إليه تأنيث من المضاف إليه، كما سرى من الرياح إلى المر في قول الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت   أعاليها مر الرياح النواسم[4]

لأن سريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف مشروط بصحة الاستغناء به عنه كاستغنائك بالرياح عن المرّ في قولك: تسفَّهتْ أعاليها الرياح، وذلك لا يأتي في ﴿لا تنفع نفساً إيمانها﴾ لأنك لو حذفت الإيمان وأسندت (تنفع) إلى المضاف إليه لزم إسناد الفعل إلى ضمير مفعوله، وذلك لا يجوز بإجماع، لأنه بمنزلة قولك: زيداً ظلم، تريد: ظلم زيد نفسه، فيجعل فاعل ظلم ضميراً لا مفسر له، فتصير العمدة مفتقرة إلى الفضلة افتقاراً لازماً، وذلك فاسد، وما أفضى إلى الفاسد فاسد.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.   (٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ص ٨٥.

(٤) من أبيات الكتاب: قائله ذو الرمة. قال عبد المنعم الجرجاوي الشاهد في قوله: تسفهت حيث أنثه مع أن فاعله مذكر وهو مر، لأنه اكتسب من المضاف إليه وهو الرياح لأنه جمع، وكل وجمع مؤنث. وقال الشنتمري: وصف نساء إذا مشين اهتززن في مشيهن وتثنين فكأنهن رماح نصبت فسرت عليها الرياح فاهتزت وتثنت، (هامش شواهد التوضيح).

قال ابن مالك:

«وقد خفي هذا المعنى على ابن جني فأجاز في المحتسب أن تكون قراءة أبي العالية من جنس: تسفهت أعاليها مرّ الرياح وهو خطأ بيّن والتنبيه عليه متعيّن.

وقد يصح قول ابن جني: بأن يجعل لسريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف سبب آخر وهو كون المضاف شبيهاً بما قد يستغنى عنه، فالإيمان وإن لم يستغن عنه في ﴿**لا تنفع نفساً إيمانها**﴾ فقد يستغنى عنه في: سرتني إيمان الجارية، فيسري إليه التأنيث بوجود الشبه كما يسري إليه بصحة الاستغناء عنه[١].

٦ ـ حذف الفاء والمبتدأ معاً من جواب الشرط:

قال ابن مالك: فمن وروده قراءة طاوس ﴿**ويسألونك عن اليتامى**[٢] **قل أصلح لهم خير**﴾ أي أصلح لهم فهو خير، وهذا، وإن لم يصرح فيه بأداة الشرط فإن الأمر مضمن معناها، فكان ذلك بمنزلة التصريح بها في استحقاق جواب، واستحقاق اقترانه بالفاء لكونه جملة اسمية[٣].

٧ ـ حذف نون الجمع عند اتصال ضمير المتكلم للتخفيف:

قال ابن مالك:

ومن حذفها لمجرد التخفيف قراءة الحسن ﴿**يوم يدعوا كل أناس**﴾[٤] وقراءة يحيى الذماري: ﴿**قالوا ساحران تظاهرا**﴾[٥] والأصل قالوا: أنتما ساحران تتظاهران فحذف المبتدأ ونون الرفع وأدغم التاء في الظاء[٦].

---

(١) شواهد التوضيح: ص ٨٥، ٨٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٠.
(٣) المصدر نفسه: ص ١٣٣، ١٣٤.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٧١.
(٥) سورة القصص: الآية ٤٨.
(٦) شواهد التوضيح: ص ١٧٢.

٨ ـ تقديم خبر كان عليها

بقراءة أبي وابن مسعود ﴿وباطلا ما كانوا يعملون﴾[١].

قال أبو الفتح: «باطلاً» منصوب بيعملون، وما زائدة للتوكيد فكأنه قال: ﴿وباطلاً كانوا يعملون﴾.

ثم قال: وفي هذه القراءة دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها كقولك: قائماً كان زيد، وواقفاً كان جعفر.

ووجه الدلالة بين ذلك أنه إنما يجوز وقع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل و«باطلاً» منصوب بيعملون، والموضع إذاً ليعملون لوقوع معموله متقدماً عليه، فكأنه قال: «ويعملون باطلاً كانوا»[٢].

٩ ـ اللام بمعنى عند:

قال الشيخ خالد في موضع «معاني اللام»:

وبمعنى عند كقراءة الجحدري ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾[٣] بكسر اللام وتخفيف الميم أي عند مجيئه إياهم[٤].

١٠ ـ على موافقة للباء بقراءة أبي:

في قوله تعالى: ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾[٥] أي بأن لا أقول، وبذلك قرأ أبيّ[٦].

وهكذا استطاعت القراءات أن تسهم في بناء القواعد النحوية، وتحتل مكانها في صرح هذا العلم. وهذه الأمثلة التي قدمتها غيض من فيض تدل دلالة واضحة على أن القراءات أثرت في الدراسات النحوية تأثيراً عظيماً.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٩.

(٢) المحتسب: ورقة ٣٩٩، رقم ٣٧٩، تفسير دار الكتب.

(٣) سورة قّ: الآية ٥.

(٤) شرح التصريح: جـ ٢ ص ١٢، مطبعة الحلبي.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٠٥. (٦) شرح التصريح ١٢/٢: ص ١٥.

٦ ـ أثر القراءات في المؤلفات النحوية:

لا نستطيع أن نستوعب في هذا المجال الضيق الكتب النحوية التي أثرت فيها القراءات، وامتلأت صفحاتها بالتوجيهات التي قيلت فيها، والآراء التي تعددت حولها، لأن ذلك فوق الطاقة التي تفرض عليّ في هذا البحث أن أرسم الطريق، وأسجل الظواهر وأوضح الخطوط العريضة التي يتطلبها هذا البحث ـ ويكفي في سبيل ذلك أن نلم ببعض المؤلفات لا كلها لتكون دليلاً ينير الطريق لغيرها.

وسأعرض في هذه النقطة لأول مؤلف نحوي وقع تحت أيدينا ووجه الدراسة النحوية توجيهاً بالغاً وهو كتاب سيبويه.

ولما كان سيبويه بصرياً، ولا يستطيع الكتاب البصري إلا أن يوضح اتجاهات النحو البصري وحده، رأيت إنصافاً للحقيقة أن أعرض أيضاً إلى أول مؤلف نحوي كوفي وقع تحت أيدينا، وكان مصدراً للدراسة النحوية الكوفية وهو كتاب «معاني القرآن للفراء».

ولما ظهرت القراءات ظهوراً بيناً على مسرح الدراسة النحوية، وجرى في ركبها النحاة، يؤيدونها أو يعارضونها ظهرت كتب نحوية مستقلة تدور حول القراءات وحدها معللة موجهة، مؤيدة موضحة، رأيت أن أعرض لها، مستمداً منها ما يخدم الغرض الذي إليه قصدت، والهدف الذي أردت أن أصل إليه. وهذه الكتب التي دارت حول القراءات أهمها:

الحجة لأبي علي الفارسي، ثم الحجة لابن خالويه، ثم المحتسب لابن جني، ثم الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب، وإعراب القراءات الشواذ لِلْعُكْبريّ. وسأحاول في هذه النقطة أن أعرض هذه المؤلفات في إيجاز عرضاً نتبيّن فيه كيف كانت القراءات ـ تعمل عملها في نحو النحاة. أما ما عدا ذلك من الدراسة المستوعبة لهذه الكتب فإني لا أتعرض لها حتى لا يطول البحث وكل الذي يعنيني منها تأثير القراءات فيها.

١ ـ كتاب سيبويه والقراءات:

تعدد الاستشهاد بالقراءات في كتاب سيبويه في عدة أبواب مختلفة:

١ ـ ففي باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهي يبيّن أن القراءات سنة متبعة. قال:

وقد قرأ بعضهم ﴿وأما ثمودَ فهديناهم﴾[١]، إلا أن القراءة لا تخالف، لأنها السنة[٢].

٢ ـ ويخرج بعض القراءات اعتماداً على قول للخليل فيقول:

وسألته عن قوله عز وجل: ﴿وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾[٣] ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟. فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع، إنما قال: وما يشعركم، ثم ابتدأ فأوجب فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون ولو قال: وما يشعركم أنها، كان ذلك عذراً لهم.

وأهل المدينة يقولون: أنها، فقال الخليل هي بمنزلة قول العرب: إئت السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون[٤].

٣ ـ ويرجح قراءة على قراءة فيقول في باب لا يكون، وليس وما أشبههما:

إذ قلت أتوني إلا أن يكون زيد، فالرفع جيد بالغ، وهو كثير في كلامهم لأن يكون صلة لأن، وليس فيها معنى الاستثناء، وأن يكون في موضع اسم مستثنى كأنك قلت: لا يأتونك إلا أن يأتيك زيد.

والدليل على أن يكون ليس فيها ها هنا معنى الاستثناء أنّ «ليس»، و«عدا» و«خلا» لا يقعن هاهنا. ومثل الرفع قول الله عز وجل:

---

(١) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٢) الكتاب: جـ ١ ص ٧٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.

(٤) المرجع نفسه: جـ ١ ص ٤٦٢، ٤٦٣.

﴿إلا أن تكون تجارةً عن تراض منكم﴾[1]، وبعضهم ينصب على وجه النصب في لا يكون والرفع أكثر[2].

٤ ـ ويسوي بين القراءتين: ولا يلجأ إلى الترجيح والتفضيل. فيقول عند الحديث عن إذن:

«واعلم أن إذن إذا كانت بين الفاء والواو وبين الفعل فإنك فيها بالخيار إن شئت أعملتها... وإن شئت ألغيت إذن... فأما الاستعمال كقولك: فإذن آتيك وإذن أكرمك، وبلغنا أن هذا الحرف في بعض المصاحف ﴿إذن لا يلبثوا خلفك إلا قليلاً﴾[3]، وسمعنا بعض العرب قرأها ﴿وإذن لا يلبثوا﴾. وأما الإلغاء فقولك: فإذن لا أجيئك وقال تعالى: ﴿فإذن لا يؤتون الناس نقيراً﴾[4]»[5].

٥ ـ ويدعم بعض القراءات بالشعر: قال: في باب (أو) متحدثاً عن الآية الكريمة: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾[6]. وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية... أو يرسلُ رسولاً فكأنه ـ والله أعلم ـ قال الله عز وجل: «لا يكلم الله البشر إلا وحياً أو يرسلُ رسولاً، أي في هذه الحال... كما تقول العرب: تحيتك الضربُ وعتابك السيفُ وكلامك القتلُ، وقال الشاعر، وهو عمرو بن معدي كرب:

وخيلٍ قد دلفت لها بخيل ... تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع[7]

٦ ـ ويخرج إحدى القراءات اعتماداً على تخريج بيت من الشعر فيقول في باب ما يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل:

قال: وإنشاد بعضهم للحارث بن نهيك:

ليبك يزيد، ضارع لخصومة ... ومختبط مما تطيح الطوائح

---

(١) سورة النساء: الآية: ٢٩.
(٢) الكتاب: جـ ١ ص ٣٧٧.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٦.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٣.
(٥) الكتاب: جـ ١ ص ٤١١، بتصرف.
(٦) سورة الشورى: الآية ٥١.
(٧) الكتاب: جـ ١ ص ٤٢٩، بتصرف.

لما قال: ليُبك يزيد كان منه معنى لِيبك يزيد.. كأنه قال ليبكه ضارع ثم قال: ومثل ليُبك يزيد قراءة بعضهم: ﴿وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤهم﴾ رفع الشركاء على مثل ما رفع عليه ضارع[1].

٧ ـ ويلجأ إلى القراءة لتقوى أصلاً من أصول كتابه فيقول في ما يجري من الشتم مجرى التعظيم، وما أشبهه:

وذلك قولك أتأتي زيدٌ الفاسقَ، الخبيثَ ـ لم يرد أن يكرره، ولا يعرفك شيئاً تنكره ولكنه شتمه بذلك. وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً ﴿وامرأتُهُ حمالةَ الحطب﴾[2] لم يجعل الحمالة خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: اذكر حمالة الحطب شتماً لها، وإن كان فعلاً لا يستعمل إظهاره.

وقال عروة بن الصعاليك:

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداةَ الله من كذب وزور

إنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين[3].

٨ ـ ويستدل بقراءة ابن مسعود في باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة:

«وذلك قوله: هذا عبد الله منطلق، حدثنا بذلك يونس، وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

(٢) الكتاب: جـ ١ ص ١٤٥، ١٤٦، بتصرف.

(٣) سورة المسد: الآية ٤.

(٤) الكتاب: جـ ١ ص ٢٥٢.

الشاهد في البيت نصب العداة على الشتم. وصف ما كان عن فعل قوم امرأته حين احتالوا عليه وسقوه الخمر حتى أجابهم إلى معاقرتها، وكانت سببة عنده (شرح الشنتمري).

وزعم الخليل أن رفعه يكون على وجهين: فوجه أنك حين قلت: هذا عبد الله أضمرت هذا، أو هو كأنك قلت: هذا منطلق، أو هو منطلقٌ. والوجه الآخر أن تجعلهما جميعاً خبراً لهذا كقولك: هذا حلو حامض لا تريد أن تنقض الحلاوة، ولكنك تزعم أنه جمع الطّعمين.

وقال عز وجل: **﴿كلا إنها لظى نزاعةٌ للشوى﴾**[1] وزعموا أنها في قراءة ابن مسعود: **﴿وهذا بعلي شيخٌ﴾**[2][3].

٩ ـ ولإيمان سيبويه بأن القراءات سنة لا تخالف ذكر أن بعض الآيات تحتمل قراءات جيدة ولكنها لم تقرأ. وفي هذا دليل واضح على أن سيبويه لم يردّ القراءات كما كان يفعل أتباعه البصريون.

يقول في باب من أبواب أنّ:

تقول: جئتك أنك تريد المعروف إنما تريد لأنك تريد المعروف، ولكنك حذفت اللام هاهنا كما تحذفها من المصدر إذا قلت:

وأغفر عوراء الكريم ادخارَهُ   وأعرض عن ذنب اللئيم تكرّماً

أي لادخاره.

وسألت عن قوله جل ذكره: **﴿وأن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾**[4].

فقال: إنما هو على حذف اللام كأنه قال: ولأن **﴿هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** ثم قال سيبويه: ولو قرأوها: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾**، كان جيداً[5].

١٠ ـ وقال أيضاً ـ يعني الخليل ـ:

﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[6] بمنزلة **﴿وإن هذه**

---

(١) سورة المعارج: الآيات ١٥، ١٦. (٢) سورة هود: الآية ٧٢.
(٣) الكتاب: جـ ١ ص ٢٥٨. (٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.
(٥) الكتاب: جـ ١ ص ٤٦٤، بتصرف. (٦) سورة الجن: الآية ١٨ .

أمتكم أمة واحدة﴾ والمعنى، ولأن هذه أمتكم فاتقون، ولأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً... ثم قال سيبويه: ولو قرئت: وإنّ المساجد لله كان جيداً[1].

* * *

٢ ـ معاني القرآن للفراء، والقراءات:

معاني القرآن للفراء أول كتاب وصل إلينا تمثل فيه النحو الكوفي، فهو بمثابة كتاب سيبويه للنحو البصري.

ولا نستطيع في هذه النقطة أن نتحدث عن المعاني منهجاً ودراسة فإن ذلك ـ كما قلت ـ يطيل أمد البحث. والذي يهمني من «المعاني» تناوله للقراءات.

والحقيقة أنّنا نرى في هذا الكتاب طائفة من القراءات التي دافع عنها، أو احتج بها، أو وقف منها موقف المعارض ـ تطل بوجهها في معظم المسائل النحوية التي تناولها الفراء في «معانيه» فمن القراءات التي اعتمدها الفراء:

١ ـ قراءة أبيّ، وذلك ليصحح بها رأياً نحوياً كان يراه.

يقول في قوله تعالى: **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعملون﴾**[2]: إن شئت جعلت **﴿وتكتموا﴾** في موضع جزم تريد به، «ولا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تكتموا الحق» فتلغى «لا» لمجيئها في أول الكلام وفي قراءة أبي: **﴿ولا تكونوا أول كافر به وتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾**[3]. فهذا دليل على أن الجزم في قوله: وتكتموا الحق مستقيم صواب[4].

٢ ـ ويصحح قراءة ابن مسعود بأدلة واضحة لا تخفى على باحث فيقول في موضع نصب المضارع بعد «الفاء أو الواو» «وإذا أجبت

---

(١) الكتاب: جـ ١ ص ٤٦٤، بتصرف. (٢) سورة البقرة: الآية ٤٢ .
(٣) سورة البقرة: الآية ٤١. (٤) معاني القرآن للفراء: جـ ١ ص ٣٣.

الاستفهام بالفاء فنصبت، فانصب المعطوف، وإن جزمتها فصواب.

من ذلك قوله في المنافقين: **﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن﴾**[1] أردت وأكن على موضع الفاء، لأنها في محل جزم إذ كان الفعل إذا وقع موقعها بغير الفاء جزم، والنصب على أن ترده على ما بعدها فتقول «وأكون» وهي في قراءة عبد الله بن مسعود، وأكونَ بالواو وقد قرأ بها بعض القراء، وأرى ذلك صواباً[2].

ويستدل الفراء بقراءة ابن مسعود أيضاً ليصحح بها قراءة أبي عمرو التي تخالف رسم المصحف، وذلك أنه كان يقرؤها بغير الواو فيقول[3]:

«لأن الواو ربما حذفت من الكتاب وهي تزاد لكثرة ما تنقص وتزاد في الكلام، ألا ترى أنهم يكتبون: الرحمن، وسليمٰن بطرح الألف والقراءة بإثباتها، فلهذا جازت. وقد أسقطت الواو من قوله **﴿ويدع الإنسان بالشر﴾**[4] والقراءة على نية إثبات الواو. ثم قال: فهذا شاهد على جواز، **﴿وأكون من الصالحين﴾**»[5].

٣ ـ ويحاول أن يتلمس مخرجاً لقراءة **﴿ولكم فيها معائش﴾**[6] فيقول:

«وربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ، وعدة الحروف، كما جمعوا مسيل الماء أمسلة شبه بفعيل وهو مفعل، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام»[7].

٤ ـ والفراء في كتابه «المعاني» لا ينظر إلى القراءات نظرة من يعتبر فيها الرواية والسند، فلا تعجبه قراءة حمزة في قوله تعالى: **﴿إلا أن يخافا**

---

(١) سورة المنافقون: الآية ١٠.

(٢) معاني القرآن للفراء: جـ ١ ص ٨٧، سورة البقرة: الآية ٤١.

(٣) انظر: هامش المعاني: جـ ١ ص ٨٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١١.

(٥) معاني القرآن: جـ ١ ص ٨٧، ٨٨.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٠.

(٧) معاني القرآن: جـ ١ ص ٣٧٣، ٣٧٤.

ألاّ يقيما حدود الله﴾[1] يقول في قراءة عبد الله: ﴿إلا أن يخافوا﴾ فقرأها حمزة على هذا المعنى إلا أن ﴿يُخافا﴾ ولا يعجبني ذلك...

ثم قال: وأما ما قال حمزة، فإنه وإن كان أراد اعتبار قراءة عبد الله فلم يصبه - والله أعلم - لأن الخوف إنما وقع على أن وحدها إذ قال: ﴿ألا يخافوا أن لا﴾ وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة وعلى أن[2]: ألا ترى أن اسمها في الخوف مرفوع بما لم يسم فاعله، فلو أراد ألا يخافا على هذا، أو يخاف بذا، أو من ذا، فيكون غير اعتبار قول عبد الله كان جائزاً كما تقول للرجل: «تُخاف لأنك خبيث، وبأنك وعلى أنك... إلخ»[3].

٥ - وينقد الأعمش وعاصم، ويصفهما بالخطأ فيقول في قوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾[4].

«كان الأعمش وعاصم يجزما الهاء في ﴿يؤده﴾ ﴿نوله ما تولى﴾[5] ﴿أرجه[6] وأخاه﴾ ﴿خيراً يره، وشراً يره﴾[7].

قال: لهما مذهبان: أما أحدهما فإن القوم ظنوا أن الجزم في الهاء وإنما هو فيما قبل الهاء، فهذا وإن كان توهما خطأ.

وأما الآخر فإن من العرب من يجزم الهاء إذا تحرك ما قبلها فيقول: ضربتهْ ضرباً شديداً، أو يترك الهاء إذا سكنها، وأصلها الرفع بمنزلة رأيتهم، وأنتم، ألا ترى أن الميم سكنت، وأصلها الرفع[8].

٦ - ويبّين لنا الفراء في «المعاني» أن النحاة كانوا يختارون من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٢) قال الشيخ النجار معلقاً: يريد أنه على قراءة حمزة يخاف ألا يقيما ببناء الفعل للمفعول يكون الفعل قد عمل في نائب الفاعل، وفي أن ومعمولها، وكأن الفعل قد عمل في أكثر من معمول واحد الرفع، وهذا غير مألوف إلا على وجه التبعية، والنحويون يصححون هذا الوجه بأن يكون ألا يقيما بدل اشتمال من نائب الفاعل. (هامش: جـ ١ ص ١٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن: جـ ١ ص ١٤٧. (٤) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٥) سورة النساء: الآية ١١٥. (٦) سورة الأعراف: الآية ١١١.

(٧) سورة الزلزلة: الآيات ٧، ٨. (٨) معاني القرآن: جـ ١ ص ٢٣٣.

القراءات ما وافق مذاهبهم، أو تناسق مع أصولهم: فيقول في قوله تعالى: **﴿وزلزلوا حتى يقولَ الرسول﴾**[1] قرأها القُرّاء بالنصب إلا مجاهداً، وبعض أهل المدينة فإنهما رفعاها. ثم قال: وقد كان الكسائي قر بالرفع دهراً، ثم رجع إلى النصب[2].

٧ ـ والفراء تأثر بسيبويه حينما بيّن لنا في «معانيه» أن هناك قراءات لم تقرأ رواية ولكنها لو قرئت لجازت، ولكانت صواباً لأنها تجري على سنن العربية فيقول في قوله تعالى: **﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا﴾**[3] قرأها القُرّاء بالكسر على نيّة الجزاء، وتقرأ بالفتح إذا أردت أنها قد مضت[4].

٨ ـ منهج الفراء في معانيه:

١ ـ والفراء في «معانيه» كان ينظر إلى رسم المصحف وأنه شرط في القراءة حتى ولو كانت القراءة صحيحة تجيزها العربية.

استمع إليه يقول في قراءة الحسن: **﴿عليهم لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين﴾**[5] قرأها الحسن: «لعنة الله والملائكة والناس أجمعون» وهو جائز في العربية، وإن كان مخالفاً للكتاب[6].

٢ ـ والقراءات القرآنية في نظر الفرّاء سُنّة ولا أدل على ذلك من القراءات التالية التي تجوز عربيّة، ولكنه لا يقرأ بها:

أ ـ ﴿فيما نقضهم ميثاقهم﴾[7]:

قال الفراء: «لم يقرأ أحد بالرفع، ولم نسمعه، ولو قيل جاز.

ثم قال: والقُرّاء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربيّة، فلا يقيمن عندك

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.
(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ١٣٣
(٣) سورة الكهف: الآية ٦.
(٤) معاني القرآن: ج ٢ ص ١٣٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٦١.
(٦) معاني القرآن: ج ١ ص ٩٦.
(٧) سورة النساء: الآية ١٥٥.

تشنيع ممّا لم يقرأه القُرّاء مما يجوز»[1].

ب ـ «والحبّ ذو العصف والريحان»[2]:

قال الفرّاء: خفضها الأعمش، ورفعها الناس [أي الجماعة]
فمن خفض أراد ذو العصف، وذو الرّيحان.
ومن رفع الريّحان جعله تابعاً لـ «ذو».

والعصف فيما ذكروا: بقل الزرع لأن العرب تقول: خرجنا نعصف الزرع. إذا قطعوا منه شيئاً قبل أن يدرك فذلك العصف.

والريحان: هو رزقه، والحب هو الذي يؤكل منه.

والريحان في كلام العرب: الرزق، ويقولون: خرجنا نطلب ريحان الله الرزق عندهم.

وقال بعضهم: ذو العصف: المأكول من الحبّ، والرّيحان: الصحيح الذي لم يؤكل.

ثم قال بعد هذا العرض:

«ولو قرأ قارىء: والحبَّ ذا العصف والريحانَ» لكان جائزاً أي خلق ذا وذا.

وهي في مصاحف أهل الشام: والحب ذا العصف، ولم نسمع بها قارئاً، كما أن في بعض مصاحف أهل الكوفة: «والجار ذا القربى»[3]، ولم يقرأ به أحد، وربما كتب الحرف على جهة واحدة، وهو في ذلك يقرأ بالوجوه.

وبلغني أن كتاب عليّ بن أبي طالب رحمه الله كان مكتوباً: «هذا كتابٌ من علي بن أبي طالب، كتبها «أبو» في كل الجهات وهي تعرب في الكلام إذا قرئت»[4].

والذي يلفت النظر في هذا النص جملة أمور:

---

(١) المعاني ١/٢٤٥.
(٢) سورة الرحمن: الآية ١٢.
(٣) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٤) المعاني ٣/١١٣، ١١٤.

١ ـ الفرّاء لا يجوّز القراءة بالرسم ما لم تسمع القراءة، وتروى عن طريق التوثيق والسند.

٢ ـ الرسم يختلف عن القراءة، فنصب ذا وإن كان مسجلاً في مصاحف أهل الشام لا يقرأ به في القرآن، وإن كان يجوز عربيّاً في غيره.

٣ ـ وليست مصاحف أهل الشام منفردةً في وجود بعض كلمات مرسومة على حروف لا يقرأ بها، فقد شاركتها في ذلك مصاحف أهل الكوفة، فقد كتب فيه: «والجار ذا القربى» بالنصب، ولكن هذا الرسم لا يعتدّ به في مجال القراءة.

ولأجل أن يؤكدّ أن الرسم شيء، والقراءة شيء آخر ضرب مثلاً لذلك من واقع كلام الناس، فالكتاب الذّي وجهه علي كرّم الله وجهه رسمت فيه «أبو» بالواو، والأسلوب العربّي يقتضي أن تكتب «أبي طالب» بالياء ولكن القارىء العربي لا يلتفت إلى هذه الكتابة، لأنه يقرأ ما كتب معتداً بالأسلوب العربي لا باللفظ الكتابيّ.

ومع ذلك فإن الفراء يقرّر أنها لو قرئت كذلك «أبو» لكان لها تخريج إعرابي.

* * *

٣ ـ وكما أن الفراء يعتد بالسماع والرواية ولا يعتمد على الرسم وحده، فإننا نراه يعتمد أيضاً على الرّسم في القراءة التي صحّ سندها وتواترت قراءتها، فقراءة: ﴿**إن هذان لساحران**﴾[١] قرأ بها خمسة من القُرّاء السّبعة: نافع ـ ابن عامر ـ حمزة ـ عاصم ـ الكسائي[٢].

وهي في المصاحف: «هذان» بالألف.

وظاهر هذه القراءة أنها لحن، لأنها مخالفة لأساليب العربيّة.

ومن ثمّ فإن الفرّاء ساق في هذه القراءة حديث عائشة الذي يؤيد هذا الاتجاه.

---

(١) سورة طه: الآية ٦٣.

(٢) انظر قراءة رقم ٥١٩٧ في معجم القراءات.

قال الفراء في رواية مسلسلة مسندة إلى عائشة رضي الله عنها عن ابن الزبير: «أنها سئلت عن قوله في النساء ﴿لكن الراسخون في العلم منهم.. والمقيمين الصلاة﴾[1] وعن قوله في المائدة: ﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئون﴾[2]، وعن قوله: ﴿إن هذان لساحران﴾[3]، فقالت: يابن أخي، هذا كان خطأ من الكاتب».

ومعنى ذلك أن الذين قرأوا بها اعتدوا برسمها في المصاحف ألفاً، وهذا يناقض أن القراءة مقيدة بالرواية، ومن ثمّ فإن أبا عمرو قرأها: «إنّ هذين لساحران» على الأصل الإعرابيّ، ولذلك فإن الفراء ذكر في قراءة أبي عمرو علّة ذكرها أبو عمرو نفسه.

قال الفراء: «وقرأ أبو عمرو: إن هذين لساحران» واحتجّ أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد ﷺ أنه قال: إنّ في المصحف لحناً وستقيمه العرب».

وقبل أن نعرض رأي الفراء في هذه القضية تبدو لي وجهة نظر في هذه القراءة وهي أن القرّاء الخمسة الكبار قرءوا بها استناداً إلى السماع والرواية، وليس لرسم المصحف.

وأمّا قراءة أبي عمرو، فإنه أيضاً سمعها رواية، وتجنّب قراءة الرسم لأنه ترجّح عنده ما كان جارياً على نهج العربيّة، وإن كانت قراءته مخالفة للرسم.

وللفراء في هذه القراءة رأي لم يتفق فيه مع أبي عمرو بن العلاء، ولذلك نشعر من كلامه أنه لا يؤيد قراءة أبي عمرو لمخالفتها لرسم المصحف، لأن الأقوى في نظره الروّاية والرّسم معاً، وهو ما اشتملت عليه قراءة: «إنّ هذان لساحران» ولذلك قال: راداً على أبي عمرو: ولست أشتهي على «أن أخالف الكتاب».

دفاع الفراء عن قراءة: إن هذان لساحران:

والفراء دافع عن هذه القراءة دفاعاً رائعاً استند فيه على لغة العرب، والقياس النحوي.

أما لغة العرب فقد ذكر أن هذه القراءة جاءت على «لغة بني

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٩.

الحارث بن كعب يجعلون الاثنين في رفعهما، ونصبهما وخفضهما بالألف وأنشدني رجل من الأَسْد عنهم، يريد بني الحارث:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشُّجاعُ لصمّما[1]

وقد استدل الفراء أيضاً مؤيداً هذه القراءة بما حكى عن بني الحارث.

قال الفراء: «وما رأيت أفصح من هذا الأسْديّ، وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خَطُّ يدا أخي بعينه».

وأما الاستدلال بالقياس النحوي، فقد كان استدلالاً منطقياً تستريح إليه النفس يدلّ على فهم دقيق، وذكاء خارق فماذا قال؟

«وذلك - وإن كان قليلاً - أقيس، لأن العرب قالوا: مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة، لأن الواو لا تعرب.

ثم قالوا: رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم فلما رأوا أَن الياء من الاثنين لا يمكن كسر ما قبلها، وثبت مفتوحاً ثم تركوا الألف تتبعه، فقالوا: رجَلان في كل حال.

وقد أجمعت العرب على إثبات الألف في: كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان إلاّ بني كنانة، فإنهم يقولون: رأيت كليْ الرجلين، ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة، مضَوْا على القياس».

ولم يكتف الفراء بذلك بل أتحفنا برأي آخر لا يقلّ وجاهة عن الرأي الأول.

قال: «والوجه الآخر أن تقول: وجدت الألف من (هذا) دعامة، وليست بلام فعل، فلمَّا ثَنَّيْتُ زدتُ عليها نوناً، ثم تركت الألف ثابتة على حالها، لا تزول على كل حال، كما قالت العرب: «الذي»، ثم زادوا نوناً

---

(١) الشجاع في الشاهد: هو ذكر الحيّات، من شواهد الأشموني ٧٩/١.

هذا وقد ذكر الأشموني أن حديث: «لا وتران في ليلة» جاء على هذه اللغة.

تدلّ على الجماع، فقالوا: الذّين في رفعهم، ونصبهم وخفضهم، كما تركوا «هذان» في رفعه ونصبه، وخفضه، وكنانة يقولون: اللذون[1].

* * *

٣ ـ ومن منهج الفراء أنه يسوّي بين القراءتين من ناحية اختلاف المعنى، ولا يرجح قراءة على أخرى، ما دام لكل قراءة معنى مستقل.

قرأ الأعمش: ﴿**أفنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم**﴾ وهي قراءة العامة في المصحف الذي بين أيدينا بكسر الهمزة من (إن).

وهناك قراءة أخرى: «أن كنتم» بفتح الهمزة من (أن).

يعلل الفراء لقراءة فتح همزة «أن» بقوله: «كأنهم أرادوا شيئاً ماضياً وأنت تقول في الكلام: أأسبّك أن حرمتني؟ تريد إذْ حرمتني»[2].

فالفتح في رأي الفراء يعطي للقراءة معنى التعليل، المستفاد من إذْ، والكسر على أنّ «إنْ» شرطية، قال: «وتكسر إذا أردت: أأسبك إن حرمتني».

ويوضح معنى كلام الفراء ما ذكره صاحب الإتحاف، إذ يقول: «واختلف في: «إن كنتم» فنافع وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر وخلف بكسر الهمزة على أنها شرطية، وإن كان إسرافهم محققاً على سبيل المجاز كقول الأجير: إن كنت عملت فوفّني حقي، مع علمه وتحققه لعلمه، وجوابه مقدّر يفسّره: «أفنضرب» أي إن أسرفت بترككم، ووافقهم الحسن والأعمش.

والباقون بالفتح على العلة مفعولاً لأجله أي لأن كنتم[3].

ويقوي الفراء المعنيين معاً بشاهدين شعريين جاء أحدهما بفتح الهمزة، وجاء الآخر بكسر الهمزة.

فشاهد كسر الهمزة هو قول الفرزدق:

---

(١) معاني الفرّاء ٢/ ١٨٤.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٥.
(٣) معاني الفراء ٣/ ٢٧.
(٤) الاتحاف ٣٨٤.

أتـجـزع إنْ أذنـاً قـتـيـبـة حُـزّتـا جهاراً ولم تجزع لقتل ابن خازم[1]

وشاهد فتح همزة أن:

أتـجزع أن بـان الـخـلـيـط الـمـودّع وحبـل الـصـفـا من عزّة الـمـتـقـطّـع

وختم الفراء حديثه في هذه القراءة بقوله:

وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح، والعرب تقول قد أضربت عنك، وضربت عنك إذا أردت به: تركتك، وأعرضت عنك[2].

٤ ـ ومن منهج الفرّاء أنه يستخدم القراءة الشاذّة ليقوي بها قراءة مشهورة متواترة.

ففي قوله تعالى: ﴿ومن خَلْقِكم وما يَبُثُّ من دابّة آياتٌ﴾[3] قرئت «آياتٌ» بالرفع وهي قراءة عاصم وأربعة من القُرّاء السبعة، وقد قرئت بالنصب وهي قراءة حمزة والكسائي من القراء السبعة، فهي قراءة سبعية متواترة مشهورة[4].

وعلى قراءة الرفع اكتفى الفراء بتوجيهها في إيجاز قائلاً: «والرفع قراءة النّاس على الاستئناف فيما بعد إنَّ» وضرب لذلك مثالاً من قول العرب حيث يقول: «والعرب تقول: إنّ لي عليك مالاً وعلى أخيك مالٌ كثيرٌ، فينصبون الثاني ويرفعونه».

والحقيقة أن هاتين القراءتين تعرض لهما ابن الأنباري في كتابه: «إعراب القرآن» بالتفصيل والبيان، وقد وفّى المسألة حقّها من الشرح والتوجيه، فماذا قال؟

---

(١) من شواهد سيبويه ١/٤٧٩، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٨٦، والخزانة ٣/ ٦٥٥، والهمع والدرر رقم ١٠٤٦ وديوان الفرزدق ٨٥٥.

(٢) المعاني ٣/٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٤.

(٤) انظر معجم القراءات قراءة رقم ٨٢٣٧.

قال: فمن قرأ «آيات» بالضمّ كان مرفوعاً من ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون مرفوعاً بالابتداء «وفي خلقكم» خبره.

والثاني: أن يكون مرفوعاً بالعطف على موضع «إنّ»، وما عملت فيه، وهو رفعٌ ولا بدّ فيه من تقدير «من» لئلا يكون عطفاً على عاملين على الابتداء والمخفوض.

والثالث: أن يكون مرفوعاً بالظرف[1].

وكما وجَه الفراء قراءة الرفع وجّه قراءة النصب بقوله: تقرأ «الآيات» بالخفض على تأويل النّصب، يُرَدُّ على قوله: «إن في السموات والأرض لآياتٍ».

وأوضح بياناً من الفراء في توجيهه لقراءة النّصب توجيه ابن الأنباري حيث يقول: «ومن قرأ بالكسر كان منصوباً من ثلاثة أوجه»:

الأول: أن يكون منصوباً بالعطف على لفظ اسم «إنّ» في قوله تعالى: ﴿**إنّ في خَلق السموات والأرض... لآياتٍ**﴾، وقدّر حذف «في» من قوله تعالى: ﴿**واختلاف الليل**﴾، وتقديره: وفي اختلاف الليل، وإنما حذفت «في» هاهنا لتقدّم ذكرها في موضعين قبلها، وهما قوله تعالى:

﴿**إنّ في السموات والأرض**﴾.

والثاني: «وفي خلقكم» فلمّا تقدّم ذكرها مرّتين، حذفت في الثالث، ولو لم يقدّر هذا الحذف لكنت قد عطفت بالواو على عاملين مختلفين، وهما: «إنّ» و «في»، وذلك لا يجوز عند البصريين ما عدا الأخفش، فإنه أجاز العطف في الآية وغيرها على عاملين، وأجاز أن يقال:

إن في الدار زيداً والقصر عمراً، فيعطف بالواو «عمراً» على «زيد» و«القصر» على «الدار» فيقيم الواو مقام عاملين، وهما: «إنّ» و «في» وجميع البصريين على خلافه لضعفه، لأن قصارى الواو أن تقوم مقام عامل

---

(١) انظر: إعراب القرآن ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤.

واحد، وفي جواز قيامها مقام عامل واحد خلاف، فكيف يجوز أن تقوم مقام عاملين؟

والوجه الثاني: أن قوله تعالى: ﴿**واختلاف الليل والنهار**﴾ معطوف على «السمّوات»، و «آيات» منصوب على التكرار لمّا طال الكلام، فهي «آيات» الأولى إلاّ أنها كرّرت لطول الكلام كما يقال: ما زيد ذاهباً ولا منطلقاً زيد، فينصب «منطلقاً» على أن «زيداً» الآخر هو الأول، وإنما أظهره للتأكيد، ولو كان غير الأوّل لم يجز نصب «منطلق» لأن خبر «ما» لا يجوز أن يقدّم على اسمها، فكذلك ها هنا «آيات» الآخرة هي الأولى وإنّما أظهرت لطول الكلام توكيداً، فلا يلزم من ذلك العطفُ على عاملين.

والثالث: أن يكون «آيات» الآخرة منصوباً على البدل من «آيات» الأولى، فلا يلزم من ذلك العطف على عاملين»[1].

بهذا البيان الواضح، والتفصيل الدقيق وضع ابن الأنباري النقاط على الحروف في هذه القضية.

والسبب المباشر لعرض آراء ابن الأنباري في هذه القضية هو الإيجاز المخل في عرض الفرّاء لهذه القضية.

والهدف من وراء عرض هاتين القراءتين هو أن الفرّاء يقوي قراءة النّصب بقراءة عبد الله: ﴿**وفي اختلاف الليل والنهار**﴾ بزيادة «في» يقوي خفض «اختلاف».

قال الفراء: «وفي قراءة عبد الله: ﴿**وفي اختلاف اللّيل والنهار**﴾ فلهذا يقوّي خفض «اختلاف»[2].

والفراء كما ذكرت سابقاً يلتزم بالسّماع في القراءة، ولا يحاول أن يقرأ بما تجوّزه العربيّة.

---

(١) انظر إعراب القرآن ٢/٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) انظر قراءة رقم ٨٢٣٨ في معجم القراءات. ومعاني الفراء ٣/٤٥.

وفي هذه القراءة دليل آخر يضمّ إلى الأدلة التي سقتها من قبل في مواضع متعددة.

يقول الفراء: «ولو رفعه رافع [أي رفع واختلاف] فقال: ﴿واختلافُ الليل والنهار آيات﴾ يجعل الاختلاف آياتٍ، ولم نسمعه من أحد من القُراء»[1].

* * *

٥ - ومن منهج الفراء: أنه إذا عرض قراءة شاذة أو غير شاذة، يحاول أن يفسّرها تفسيراً لغوياً، ليبين المعنى المراد منها، وقد يقوي هذا المعنى بقراءة شاذة بالنسبة للقراءة العامة.

قال الفراء: وقوله: «وهم يخصّمون»[2] قرأها يحيى بن وثاب: «يَخْصمون»، وقرأها عاصم: «يخصّمون» بنصب الياء، وبكسر الخاء.

ويجوز نصب الخاء، لأن التاء كانت تكون منصوبة، فنقل إعرابها إلى الخاء، والكسر أكثر وأجود.

وقرأها أهل الحجاز: «يَخَصّمون» يشدِّدونه، ويجمعون بين ساكنين.

وهي في قراءة أبيّ بن كعب: «يَخْتَصِمون» فهذه حجة لمن يشدّد.
وأما معنى يحيى بن وثّاب فيكون على معنى يفعَلون من الخصومة كأنه قال: وهم يتكلمون.

ويكون على وجه آخر: وهم يخصمون: وهم في أنفسهم يَخْصِمون مَنْ وعدهم السّاعة، وهو وجه حسن أي تأخذهم الساعة، لأن المعنى: وهم عند أنفسهم يغلبون مَنْ قال لهم: «إن السّاعة آتية»[3].

ونكتفي بهذه النماذج التي قدّمناها لنوضح منهج الفرّاء في تناوله القراءات القرآنية.

وقد عرفنا في ضوء هذه النماذج أن الفراء:

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٤٥.

(٢) سورة يس: الآية ٤٩.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٧٩.

١ ـ يؤمن بالسّماع في القراءات.

٢ ـ لا يقرأ بما تجوزه العربيّة.

٣ ـ يحترم رسم المصحف، ولا يحاول أن يخرج عنه.

٤ ـ يستدل بالقراءات الشاذة ليقوي بها القراءات العامّة التي قرأ بها الجمهور.

٥ ـ يستشهد بالشعر للاحتجاج.

٦ ـ يوضح معنى القراءات بأقوال نثرية من كلام العرب.

٧ ـ يحاول في كثير من الأحيان أن يفسر معاني الكلمات التي اشتملت عليها القراءات.

٨ ـ يبذل جهده لتوضيح معاني القراءات المختلفة.

٩ ـ القراءة سنة متبعة، فلا يقرأ أحد إلا بما رُوي وسُمِع.

١٠ ـ يستعمل مصطلحات الكوفيين، فحركات البناء عنده يطلق عليها مصطلحات الرفع والنصب والخفض، فلا يفرق في مصطلح الحركات بين حركات الإعراب، وحركات البناء.

ومع هذا المنهج الواضح، فإن الفراء خالف منهجه في كثير من القراءات، وذلك ما أوضحه في النقطة التالية.

* * *

٦ ـ نقد منهج الفراء:

أ ـ يلحّن قراءة أبي جعفر مع أن أبا جعفر له وزنه الكبير في القراءات القرآنيّة، وما قرأ به أبو جعفر قويّ، وإن لم تَرْق قوّته إلى التواتر، ولا يجوز للفراء أن يرمي بعض قراءات أبي جعفر باللحن ما دامت القراءات سنة متبعة.

يقول الفراء في قراءة أبي جعفر المشهورة: ﴿ليُجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾[1] ما نصه: «وقد قرأ بعض القراء فيما ذكر لي: «ليُجزي قوماً» وهو في الظّاهر لحنٌ»[2].

---

(١) سور الجاثية: الآية ١٤.

(٢) المعاني ٣/٤٦.

ولا أدري لماذا لم ينسب الفراء هذه القراءة لمن قرأ بها، واكتفى بنسبتها إلى بعض القراء من غير تحديد مع أنها قراءة أبي جعفر، وعاصم في رواية وشيبة[1] والأعرج.

ب ـ ويرمي قراءة الحسن بالقبح.

قال الفرّاء: «وقرأ الحسن فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم»[2]، وفيه قُبح في العربية، ويعلّل الفراء هذا القبح بقوله: «لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكرّوه، فقالوا: لم يقم إلاّ جاريتك، وما قام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما قامت إلا جاريتك، وذلك أن المتروك «أحد» فـ «أحد» إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكّر، ألا ترى أنك تقول إن قام أحدٌ منهن فاضربه، ولا تقل إن قامت إلا مستكرها»[3].

ج ـ ومع إيمان الفراء بأن القراءة سنة متبعة، فإن الأساليب النحوية تشده شداً عجيباً لدرجة أنه يشتهي أن يقرأ بهذه الأساليب، وإن كانت القراءة القرآنية لم تنسج على منوالها.

قال الفراء: قرأ يحيى بن وثاب: «والذّين يَجْتنبون كبير الإثم»[4] وفسّر عن ابن عباس أن «كبير الإثم» هو الشّرك، فهذا موافق لمن قرأ كبير الإثم بالتوحيد».

ثم تناول الفراء قراءة الجماعة فقال: «وقرأ العوام: كبائر الإثم والفواحش، فيجعلون كبائر كأنه شيء عام، وهو في الأصل واحد»[5].

ثم قال: «وكأني أستحب لمن قرأ كبائر أن يخفض الفواحش لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذا كانت جمعاً، قال: وما سمعت أحداً من القرّاء خفض الفواحش»[6].

د ـ والفراء لا يكلف نفسه أحياناً بنسبة القراءة إلى أصحابها مع أن

---

(١) انظر معجم القراءات قراءة رقم ٨٢٥٥.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٢٥.

(٣) المعاني ٣/ ٥٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ٣٧.

(٥) معاني الفراء ٣/ ٢٥.

(٦) المصدر نفسه.

أصحابها من القراء السبعة المشهورين، ففي قوله تعالى: ﴿عذاب من رجز أليم﴾[1] يقول الفراء: «قراءة القُرآء بالخفض» مع أن هذه القراءة نسبت إلى أبي عمرو ـ ابن عامر ـ نافع ـ حمزة ـ الكسائي ـ أبي جعفر ـ خلف ـ اليزيدي ـ الحسن ـ الأعمش»[2].

ويعقب الفراء على هذه القراءة بأنه لو قرىء: «أليمٌ» بالرفع لجاز، قال الفراء: «ولو جعل نعتاً للعذاب فرفع لجاز، ولا أدري لماذا جاءت «لو» في حديث الفرّاء مع أن قراءة الرفع متواترة لا تحتاج إلى دليل ومع ذلك شغل الفراء نفسه بالتّدليل على جواز هذه القراءة بقوله: كما قرأت القرّاء: «عاليهم ثياب سندس خُضرٍ» و «خُضرٌ»[3]، وقرءوا: «في لوح محفوظٍ» للوّح، و «محفوظ»[4] للقرآن[5].

وكأن الفراء مع علمه الغزير لم يقع على قراءة الرفع المتواترة، فقال ما قال.

على أي حال كانت، فإن الفراء في معانيه قدم لنا دراسة مستفيضة في حقل القراءت القرآنية.

* * *

٣ ـ الحجة لأبي علي الفارسي:

ذكر أبو عليّ في مقدمة حجّته ابتهالات ودعوات إلى عضد الدولة وتاج الملّة.

ثم ذكر بعد ذلك أن كتابه «الحجة» يدور حول القراءات السبع وحدها، وهي القراءات التي ثبتت في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد.

وبيّن الفارسي في مقدمته أنه لم يكن أول نحوي شرع في الاحتجاج

---

(١) سورة سبأ: الآية ٥.

(٢) انظر معجم القراءات قراءة رقم ٧٠٤٢.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٢١.

(٤) سورة البروج: الآية ٢٢.

(٥) المعاني ٢/٣٥١، ٣٥٢.

لهذه القراءات فقد سبقه إلى ذلك أبو بكر محمد بن السريّ في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان قد ابتدأ بإملائه.

ولم ينس أبو عليّ أن يبيّن لنا أن منهجه الأمانة في هذا الكتاب، يسند إلى محمد بن السّري ما فسّر من هذه القراءات في كتاب «الحجة»[1].

ولم تكن مقدمة الفارسي في «الحجة» طويلة، واكتفى بالإشارات التي ذكرتها الآن.

وكتاب الحجة شغل أذهان النحاة واللغويين، وكانت آراؤهم حوله مختلفة، فأبو العلاء المعرّي كان يرى أن كتاب «الحجة» أمره خطير، لأنه تصحيح عربيّ للقراءات السبع التي بنكر بعضها كثير من النحاة، وهو من أجل هذا يستحق الثواب الجزيل والأجر العظيم، ولا ثواب أجل من الجنة، ولا أجر أعظم من الفوز بها.

قال أبو العلاء: «وقد كنت رأيت في المحشر شيخاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي علي الفارسي، وقد امترس قوم يطالبونه ويقولون: تأولت علينا وظلمتنا... إلى أن قال: وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله فقلت يا قوم: إنّ هذه أمور هينة، فلا تعنتوا هذا الشيخ فإنه يمت بكتابه في القرآن المعروف بكتاب «الحجة» وأنه ما سفك لكم دماً، ولا احتجن عنكم مالاً، فتفرقوا عنه»[2].

وابن جني يرى في كتابه «المحتسب» أن «الحجة» للفارسي مجفو عند القراء، ولعل ذلك لكثرة استطراداته، وعدم تناسقه، وتطويله المخل مما ينفر النفس ويرهق العقل، ولذا قال ابن جني:

«وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب «الحجة»، وظاهر أمره أنه لأصحاب القراءة، وفيه أشياء كثيرة قلّما يتصف فيها لكثير ممن يدعي هذا

---

(١) انظر مقدمة الحجة نسخة مصورة رقم ٤٦٣ ـ قراءات ـ دار الكتب.

(٢) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء: ص ١٤٥، ط دار المعارف بمصر.

العلم حتى أنه مجفو عند القراء»[1].

وقال ابن جني في موضع آخر من المحتسب ينقد الحجة نقداً صريحاً:

«وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب «الحجة» في قراءة السبعة فأغمضه، وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدعي العربية فضلاً على القراءة منه وأجفاهم عنه»[2].

ومع صعوبة الحجة ومع ما فيه من التطويل المنفر، فإن العلماء لم تنقطع روايتهم له، واشتغالهم به، وهذا يرجع إلى أن كتاب الحجة لا يسبر غوره، ولا يصل إلى عمقه إلا الأفذاذ من الرجال، ومن هنا كان سر اشتغالهم به ودراستهم له، «فمحمد بن عثمان بن بلبل أبو عبد الله» لغوي نحوي، صحب السيرافي والفارسي، وروى عنه كتاب الحجة في القراءات، وسمعه ابن بشران النحوي[3].

ومكي بن أبي طالب محمد ويقال له: حموش... كان إماماً عالماً بوجوه القراءات، له منتخب الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ثلاثون جزءاً[4]، والملك المعظم عيسى: قرأ الأدب والنحو على تاج الدين الكندي، فأخذ عنه كتاب سيبويه، وشرحه الكبير للسيرافي والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي[5].

منهج أبي علي في الاحتجاج:

١ ـ يحاول أبو علي في الاحتجاج بالقراءات السبع أن يسند القراءات إلى أصحابها فيقول مثلاً في قوله تعالى: ﴿ولا تقبل منها شفاعة﴾[6]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: لا تُقْبل بالتاء، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: لا يقبل بالياء. وروى يحيى بن آدم وابن أبي أُمية والكسائي وغيرهم عن أبي بكر وحفص عن عاصم بالياء، وروى الحسيني

---

(١) المحتسب: ص ٢٣٦، نسخة رقم ٣٧٩ تفسير تيمور.

(٢) المحتسب: ص ٢٨٨، رقم ٣٧٩، تفسير تيمور.

(٣) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٤٩.

(٤) معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١٦٩.

(٥) معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٦٧.

(٦) البقرة ٤٨.

عن أبي بكر عن عاصم بالتاء[1].

٢ ـ قد يعرض لمعنى الآية، لأن الإعراب فرع المعنى فيقول في نفس الآية:

قال أبو علي: المعنى في قوله: لا يقبل منها شفاعة، لا يقبل فيه منها شفاعة، ثم يستدل على هذا المعنى بآية أخرى قريبة منها فيقول: فمن ذهب إلى أن فيه محذوفة من قوله: «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً»[2]. جعل «فيه» محذوفة بعد قوله يقبل.

ومن ذهب إلى أنه حذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة كان مذهبه في قوله: لا يقبل أيضاً مثله[3].

٣ ـ الاستطراد: ومن منهج أبي علي في الحجة كثرة الاستطراد.

وبعد رحلة طويلة فيه يرجع مرة أخرى إلى المعنى الذي كان يقرره أولاً، ومن أجل ذلك لا بد للدارس للحجة والقارىء فيه أن يملك أعصابه وإلا ما أفاد شيئاً منهُ.

ومن أمثلة الاستطراد في هذه الآية (نفسها، الحديث عن الشفاعة ومعناها: ولمن تكون هذه الشفاعة، فإذا وفّى الموضوع حقه رجع إلى النحو والإعراب.

فقال: والضمير في منها من قوله: «ولا يقبل منها عائد إلى ﴿نفس﴾ على اللفظ وفي قوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ على المعنى، لأنه ليس المراد المفرد: فلذلك جمع»[4].

٤ ـ الاحتجاج لهذه القراءات من وجهة النحو والإعراب فيقول في الآية نفسها:

فأما حجة من قال: ولا تقبل، فالحق علامة التأنيث، فهي أن الاسم

---

(١) الحجة جـ ٢ لوحة ٤٦، نسخة مصورة، رقم ٤٦٣ ـ دار الكتب.

(٢) البقرة ٤٨، ١٢٣.

(٣) الحجة: جـ ٢، لوحة ٤٦.

(٤) الحجة: جـ ٢، لوحة ٤٨.

الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث ليؤذن لحاق العلامة بتأنيث الاسم، كما ألحق الفعل حيث ألحق ليؤذن بأن الخبر معرفة، أو قريب من المعرفة.

وحجة من لم يلحق أن التأنيث في الاسم ليس بحقيقي، وإذا كان كذلك حمل على المعنى فذكّر، ألا ترى أن الشفاعة والشفع بمنزلة، كما أن الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك.

٥ ـ الاستدلال بالقرآن على القرآن، وذلك كاستدلاله لمن لم يلحق تاء التأنيث بالفعل في الآية. يقول: وقد قال: ﴿**فمن جاءه موعظة من ربه**﴾[١] ﴿**وأخذ الذين ظلموا الصيحة**﴾[٢] فكما لم تلحق العلامة هنا كذلك يحسن ألا تلحق في قوله: ﴿**ولا تقبل**﴾ لاتفاق الجميع في أن ذلك تأنيث غير حقيقي وكلا الأمرين قد جاء في التنزيل كما رأيت.

٦ ـ وقد يلجأ إلى كلام العرب المسموع ليقوي به وجه القراءة فيقول في الموضع نفسه:

ومما يقوي التذكير أنه قد فصل بين الفعل والفاعل بقوله: (منها) والتذكير يحسن مع الفصل كما حكى من قولهم: حضر القاضي اليوم امرأة، فإذا جاء التذكير الحقيقي مع الفصل فغيره أجدر بذلك.

٧ ـ ومن منهج أبي علي في حجته التعرض لآراء النحاة، ونقد بعضها إذا لم يكن لها سند أو دليل: استمع إليه يوجه نقده المر إلى أحمد بن يحيى:

قال: فأما ما قاله أحمد بن يحيى من أن التذكير أجود لقول ابن مسعود: ذكّروا القرآن، فإن قول ابن مسعود لا يخلو من أن يريد به التذكير الذي هو خلاف التأنيث أو يريد به معنى غير ذلك، فإن أراد به خلاف

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.
(٢) سورة هود: الآية ٦٧.

التأنيث فليس يخلو من أن يريد ذكروا فيه التأنيث الذي هو غير حقيقي أو التأنيث الذي هو حقيقي فلا يجوز أن يريد التأنيث الذي هو غير حقيقي لأن ذلك قد جاء منه في القرآن ما يكاد لا يحصى كثرة كقوله: ﴿وللدار الآخرة﴾[1] وكقوله: ﴿النار وعدها الله﴾[2] وقوله: ﴿والتفت الساق بالساق﴾[3].. إلخ. فإذا أثبت هذا النحو في القرآن على الكثرة التي نراها لم يجز أن يريد هذا، وإذا لم يجز أن يريد ذلك كانت إرادته به التأنيث الحقيقي أبعد، كقوله: ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾[4] وقوله: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾[5]. ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾[6] ﴿وقالت لأخته قصيه﴾[7] ﴿فبصرت به عن جنب﴾[8].

فإن قلت: إنما يريد إذا احتمل الشيء التأنيث والتذكير فاستعملوا التذكير وغلبوه قيل أيضاً هذا لا يستقيم. ألا ترى أن فيما تلونا ﴿والنخل باسقات﴾[9] ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[10] فأنث مع جواز التذكير منه يدلك على ذلك قوله في الأخرى: ﴿أعجاز نخل منقعر﴾[11] وقوله: ﴿من الشجر الأخضر ناراً﴾[12] ولم يقل الخضرة ولا الخضراء وقوله: ﴿السحاب الثقال﴾[13] ولم يقل الثقيل كما قال منقعر، فهذه المواضع يعلم منها أن ما ذكرت ليس بمراد، ولا مذهب، فإذاً لا يصح أن يريد بقوله ذكروا القرآن الذي هو خلاف التأنيث، وإذا لم يرد ذلك كان معنى غيره.

٨ ـ ومن طبيعة أبي علي الفارسي في منهجه أنه إذا هدم رأياً، أو قوض بنياناً لا يتركه على حاله بل يحاول أن يهدم ليبني، ويقوض ليشيد يدلّ على ذلك أنه بعد أن هدم رأي أحمد بن يحيى بنى رأيه على أساس

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٢.
(٢) سورة الحج: الآية ٧٢.
(٣) سورة القيامة: الآية ٢٩.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٥.
(٥) سورة التحريم: الآية ١٢.
(٦) سورة التحريم: الآية ١٠.
(٧) سورة القصص: الآية ١١.
(٨) سورة القصص: الآية ١١.
(٩) سورة ق: الآية ١٠ .
(١٠) سورة الحاقة: الآية ٧.
(١١) سورة القمر: الآية ٢٠.
(١٢) سورة يس: الآية ٨٠.
(١٣) سورة الرعد: الآية ١٢.

آخر، وأشاده على دعائم ثابتة فقال في الموضع نفسه: «فمما يجوز أن يصرف إليه قول ابن مسعود: أن يريد به الموعظة والدعاء إليه كما قال: **﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾**(1)» ثم أخذ يأتي بالدليل تلو الدليل على ما يريد أن يقول، والاستطراد شعاره في هذه الأدلة التي عمادها القرآن الكريم إلى أن قال:

«ويمكن أن يكون معنى قوله: ذكروا القرآن أي لا تجحدوه، ولا تنكروه كما أنكره من قال فيه: **﴿أساطير الأولين﴾**(2) لإطلاقهم عليه لفظ التأنيث فهؤلاء لم يذكروه، لكنهم أنثوه بإطلاقهم التأنيث على ما كان مؤنث اللفظ كقوله: **﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾**(3) فإناث جمع أنثى وإنما يعني به اتخذوه آلهة كقوله: **﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾**(4)»(5).

٩ ـ هذا، ومنهج أبي علي في تناوله للقراءات والاحتجاج بها يقوم على أساس من المنطق والفلسفة فهو يقتل المسألة بحثاً، ويعتمد لها من الأدلة المنطقية والنقلية ما يسند رأيه، ويقوي حجته.

من هذا العرض لهذه الآيات التي تناولها أبو علي الفارسي من وجهة القراءات التي قرئت بها وضح لنا منهجه، وهو لا يتغير ولا يتبدل في جميع الآيات التي تناولها، وهذا المنهج تلمسه ـ في كل الآيات التي عرض لها.

صور من احتجاج أبي علي للقراءات السبع:

١ ـ **﴿يغفر لكم خطاياكم﴾**(6) قال: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم وحمزة، والكسائي نغفر لكم بالنون، وقرأ نافع: ويغفر لكم بياء

---

(١) سورة ق: الآية ٤٥.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٥.
(٣) سورة النساء: الآية ١١٧.
(٤) سورة النجم: الآيات ١٩، ٢٠.
(٥) الحجة: ج ٢، من لوحة ٤٨ إلى لوحة ٥٣.
(٦) سورة البقرة: الآية ٥٨.

مضمومة لم يسم فاعله، وقرأ ابن عامر: تغفر لكم مضمومة التاء...

قال أبو علي حجة من قال: **﴿نغفر لكم﴾** أنه أشكل بما قبله، ألا ترى أن قبله: **﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه﴾** فكأنه قال: قلنا ادخلوا نغفر.

وحجة من قال: يُغفر أنه يؤول إلى هذا المعنى، فيعلم من الفحوى أن ذنوب المكلفين، وخطاياهم لا يغفرها إلا الله. وكذلك قول من قرأ: «تُغفر» لأن من قال: «نغفر» لم يثبت علامة التأنيث في الفعل لتقدمه، كما لم يثبت لذلك في نحو قوله: **﴿وقال نسوة في المدينة﴾**[1].

ومن قال: تغفر فلأن علامة التأنيث قد ثبتت في هذا النحو نحو قوله: **﴿قالت الأعراب﴾**[2] وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل. قال: **﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾**[3] وفي موضع: **﴿فأخذتهم الصيحة﴾**[4] والأمران جميعاً كثيران[5].

٢ ـ **﴿فأمتعه قليلاً﴾** قال أبو علي:

اختلفوا في تسكين الميم وكسر التاء وتحريك الميم وتشديد التاء في قوله تعالى: **﴿فأمتعه قليلاً﴾**[6].

فقرأ ابن عامر وحده: **﴿فأمتعه قليلاً﴾** خفيفة من أمتعت ـ وقرأ الباقون: **﴿فأمتّعه﴾** مشددة التاء من متّعت.

قال أبو علي: التشديد أولى، لأن التنزيل عليه، قال تعالى: **﴿فعقروها فقال تمتّعوا في داركم﴾**[7] فتمتع مطاوع متع، وعامة ما في التنزيل على التثقيل. قال جل اسمه: **﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾**[8] **﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾**[9] فكما أن هذه الألفاظ على متّع دون أمتع،

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٠.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٤.
(٣) سورة هود: الآية ٦٧.
(٤) سورة الحجر: الآية ٧٣.
(٥) الحجة: ج ٢، لوحة ٨٥.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٦.
(٧) سورة هود: الآية ٦٥.
(٨) سورة هود: الآية ٣.
(٩) سورة القصص: الآية ٦١.

فكذلك الأولى بالمختلف فيه أن يكون على متّع دون أمتع.

ووجه قراءة ابن عامر أن أمتع لغة، وأن فَعَّل يجري في هذا النحو مجرى أفعل نحو: فرّحته، وأفرحته، ونزّلته، وأنزلته ـ وزعموا أن في حرف عبد الله ﴿وأنزل الملائكة تنزيلا﴾[1].

وأنشدوا للراعي.

خليلين من شعبين شتى تجاورا قليلاً[2] وكانا بالتفرق أمتعا[3]

٣ ـ ﴿ليس البر﴾[4] قال أبو علي: اختلفوا في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى: ﴿ليس البر﴾ فقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة ﴿ليس البرّ﴾ بنصب الراء، وروى هبيرة عن حفص، عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع، وقرأ الباقون «البر» رفع.

قال أبو علي: كلا المذهبين حسن، لأنّ كل واحد من الاسمين اسم «ليس» وخبرها معرفة، فإذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تتكافأ النكرتان.

ومن حجة من رفع البر أن يكون البر الفاعل أولى، لأن«ليس»تشبه الفعل، وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده.

ألا ترى أنك تقول: قام زيد، فتلى الاسم الفعل، ونقول: ضرب غلامه زيد فيكون التقدير بالغلام التأخير، ولولا أن الفاعل أخصّ بهذا الموضوع لم يجز هذا، كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامُه زيداً حيث لم يجز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل في الموضع الذي هو أخص به.

ومن حجة من رفع البر أن يكون البر الفاعل أولى، لأن «ليس» تشبه قال في هذا النحو: أن يكون الاسم «أن» وصلتها أولى وأحسن لشبهها بالمضمر في أنها لا توصف، كما لا يوصف المضمر، فكأنه اجتمع مضمر

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٥.
(٢) اللسان: جـ ١٠ ص ٢٠٨.
(٣) الحجة: جـ ٢، لوحة ٣٣٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

ومظهر، والأولى إذا اجتمع مضمر ومظهر أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر، وكذلك إذا اجتمع «أن» مع مظهر غيره كان أن يكون «أن» الاسم، والمظهر الخبر أولى[1].

٤ ـ الحجة لابن خالويه[2]:

كان أبو علي الفارسي، وابن خالويه متعاصرين، فأبو علي الفارسي ذهب إلى حلب، وعاش في بغداد إلى أن توفي سنة ٣٧٧ هـ، وابن خالويه ذهب إلى بغداد لطلب العلم سنة أربع عشرة، وثلاثمائة[3].

وابن خالويه كان متأثراً بالقراءات، ذلك لأنه قرأ القراءات في بغداد على ابن مجاهد، جامع السبع[4].

منهج ابن خالويه في الحجة:

يتفق كتاب الحجة لابن خالويه مع كتاب الحجة للفارسي في أن كلاً منهما احتجاج للقراءات السبع غير أن منهج ابن خالويه مختلف عن منهج الفارسي في طريقة معالجة نصوص القراءات.

فأبو علي الفارسي ـ كما بيّنت ـ يؤثر الاستطراد، والإطالة، وابن خالويه يؤثر الإيجاز، فيقول في مقدمة كتابه «وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار»[5].

وأسلوب أبي علي الفارسي يقوم على المنطق والأقيسة مما يصعب على

---

(١) الحجة: جـ ٢، لوحة ٣٩٥، وقد طبع من حجة أبي علي الجزء الأول فقط (المؤسسة المصرية).

(٢) ترجمته بالبغية: ص ٢٣١.

(٣) انظر: البغية: ص ٢١٦، ترجمة أبي علي الفارسي، وص ٢٣١، ترجمة ابن خالويه.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٣١.

(٥) الحجة لابن خالويه، ورقة ١، مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب، حققه المؤلف فيما بعد وطبع أربع طبعات بدار الشروق في بيروت وطبعة خامسة بمؤسسة الرسالة بيروت.

الأفهام أن تسبر غوره في بعض الأحيان على حين أن أسلوب ابن خالويه يتجلى في لفظ بيِّن جذل، ومقال واضح سهل، ليقرب على مريده[1].

ومن منهج ابن خالويه في كتاب «الحجة»: ذكر وجوه الاختلاف بين القراء في القراءات فحسب، وعدم التعرض للقراءات التي اتفقوا فيها يقول: «وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم فيه»[2].

ومن منهجه أيضاً الاعتماد «على ذكر القراءة المشهورة، والعدول عن الروايات الشاذة المنكورة»[3].

مثال يوضح المنهج:

رأيت أن أسجل مثالاً تتجلى فيه خصائص منهج ابن خالويه فعرضت للآية التي عرض لها الفارسي، واستدللنا بها على بيان خصائص منهجه وهي قوله تعالى: ﴿**ولا تقبل منها شفاعة**﴾[4].

قال ابن خالويه: يقرأ بالياء والتاء، فالحجة لمن قرأ بالتاء أنه دل بها على تأنيث الشفاعة، ولمن قرأ بالياء ثلاث حجج.

أولاهن: أنه لما فصل بين الفعل والاسم بفاصل جعله عوضاً من تأنيث الفعل.

والثانية: أن تأنيث الشفاعة لا حقيقة له، ولا معنى تحته، فتأنيثه وتذكيره سيان.

والثالثة: قول ابن مسعود: «إذا اختلفتم في التاء والياء، فاجعلوه بالياء»[5].

كان ابن خالويه صادقاً في منهجه الصدق كله، فالإيجاز رائده، والوضوح ديدنه، وعدم الاستطراد شعاره، على خلاف الفارسي الذي تناول هذا الآية في أكثر من سبع ورقات في كتابه «الحجة».

---

(١) المصدر السابق والصفحة.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الحجة لابن خالويه، ورقة ١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٨.

(٥) الحجة، ورقة ٨.

هذا المنهج الذي فرضه ابن خالويه على نفسه جعله يمر بقول ابن مسعود السابق ذكره من غير تعليق وتفنيد، على حين تناوله الفارسي في بحث شيق، وتحليل جميل.

صور من احتجاج ابن خالويه للقراءات السبع:

١ ـ الاحتجاج لأبي عمرو: قال في قوله تعالى: **﴿يغفر لكم خطاياكم﴾**[١] أدغم أبو عمرو وحده الراء في اللام من يغفر لكم وما شاكله في القرآن وهو ضعيف عند البصريين.

والحجة في ذلك لما كانت تدغم اللام في الراء: **﴿وقل رب﴾**[٢]، **﴿بل ران﴾**[٣] كانت الراء بهذه المثابة تدغم في اللام[٤].

٢ ـ ويحتج لابن عامر في قراءته: **﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾**[٥] بغير واو فيقول: والحجة له أنه استأنف القول مخبراً به، ولم يعطفه على ما قبله. وقرأ الباقون بالواو، والحجة لهم أنهم عطفوا جملة على جملة وأتوا الكلام متصلاً بعضه ببعض، وكل من كلام العرب[٦].

٣ ـ وينتصر للكوفيين ـ لأنه كان يميل إليهم ـ في قوله تعالى: **﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾**[٧] فيقول: **﴿والأرحام﴾** يقرأ بالنصب والخفض، فالحجة لمن نصب أنه عطفه على الله تعالى، وأراد: واتقوا الأرحام لا تقطعوها فهذا وجه القراءة عند البصريين، لأنهم أنكروا الخفض، ولحنوا القارىء به وأبطلوه من وجوه:

أحدها: أنه لا يعطف بالظاهر على مضمر المخفوض إلا بإعادة الخافض، لأنه معه كشيء واحد، لا ينفرد منه، ولا يحال بينه وبينه، ولا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، والعلة في ذلك أنه لما كان العطف على المضمر المرفوع قبيحاً حتى يؤكد، لم يكن بعد القبح إلا الامتناع.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٨.
(٢) سورة طه: الآية ١١٤.
(٣) سورة المطففين: الآية ١٤.
(٤) الحجة، ورقة ١٠.
(٥) سورة البقرة: الآية ١١٦.
(٦) الحجة، ورقة ١٤.
(٧) سورة النساء: الآية ١.

وأيضاً فإن النبي ﷺ نهانا أن نحلف بغير الله، فكيف ننهى عن شيء ونؤتى به؟ وإنما يجوز مثل ذلك في نظم الشعر ووزنه اضطراراً كما قال الشاعر:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك، والأيام من عجب

وليس في القرآن بحمد الله موضع اضطرار، هذا احتجاج البصريين.

فأما الكوفيون: فأجازوا الخفض، واحتجوا للقارىء بأنه أضمر الخافض، واستدلوا بأن العجاج كان إذا قيل له: كما تجدك؟ يقول: خيرٍ عافاك الله، يريد بخير.

وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا، ولا عرفوا إضمار الخافض فقد عرفه غيرهم وأنشدوا:

رسمِ دار وقفت في طلله[1] كدت أقضي الحياة من جلله

أراد ورب رسم دار، إلا أنهم مع إجازتهم ذلك، واحتجاجهم للقارىء به يختارون النصب في القراءة[2].

٤ ـ ويحتج لإثبات الألف وطرحها من قوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾[3] فيقول: فالحجة لمن أثبتها أنه جعل الفعل للرجل والمرأة، ودليله أن فعل الاثنين لم يأت عن فصحاء العرب إلا بفاعلت، وبالمفاعلة، وأوضح الأدلة على ذلك قولهم: جامعت المرأة، ولم يقل جمعت.

والحجة لمن طرحها. أنه جعله فعلاً للرجل دون المرأة، ودليله قوله تعالى: ﴿إذا نكحتم المؤمنات﴾[4] ولم يقل: ناكحتم. وكل قد ذهب من العربية مذهباً أبان عن فضله وفصاحته[5].

٥ ـ ويحتج لقراءة قنبل في قوله تعالى: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾[6]

---

(١) البيت في اللسان: جـ ١٣ ص ١٢٧، وينسب هذا البيت لجميل، اللسان.

(٢) الحجة، ورقة ٢٩، ٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٩.

(٥) الحجة، ورقة ٣٢.

(٦) سورة يوسف: الآية ٩٠.

فيقول: القراءة بكسر القاف، وحذف الياء علامة للجزم بالشرط إلا ما رواه قنبل عن ابن كثير بإثبات الياء، وله في إثباتها وجهان:

أحدهما: أنه من العرب من يجري الفعل المعتل مجرى الصحيح، فيقول: لم يأتي زيد، وأنشد:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

والاختيار في مثل هذا حذف الياء للجازم، لأن دخول الجازم على الأفعال يحذف الحركات الدالة على الرفع إذا وجدها، فإن عدمها لعلة حذفت الحروف التي تولدت منها الحركات، لأنها قامت مقامها، ودلت على ما كانت الحركات تدل عليه، وإنما يجوز إثباتها مع الجازم في ضرورة الشاعر:

والوجه الثاني: أنه أسقط الياء لدخول الجازم، ثم أبقى القاف على كسرتها وأشبعها لفظاً، فحدثت الياء للإشباع[1].

٦ ـ ويستدل بالقرآن والشعر لتقوية احتجاجه في قوله تعالى: **﴿يدخله جنات﴾**[2] فيقول: يقرأ بالنون والياء، وكذلك: **﴿يدخله ناراً﴾**[3] فالحجة لمن قرأهما بالياء قوله تعالى في أول الكلام **﴿ومن يطع الله يدخله﴾** ولو كان بالنون لقال: ومن يطعنا.

والحجة لمن قرأهما بالنون أن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: **﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾**[4] ولم يقل بكم. ومن ذلك قول عنترة:

حلت بأرض الزائرين فأصبحت[5] ... عسراً على طلابك ابنة مخرم[6]

---

(١) الحجة، ورقة ٧٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٢.

(٥) ويروى شطّت مزار العاشقين فأصبحت (المعلقات السبع تحقيق الشنقيطي)، مطبعة الموسوعات، سنة ١٣١٩ هـ.

(٦) الحجة، ورقة ٣٠.

٧ ـ ويحتج لقراءة النصب والرفع في قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا﴾[١] قال: يقرأ البر بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع أنه جعله اسم ليس، والخبر أن تولوا لأن معناه توليتكم.

والحجة لمن قرأ بالنصب أنه جعله خبر ليس، والاسم أن تولوا، ودليله أن «ليس» وأخواتها، إذا أتى بعدهن معرفتان، كنت مخيراً فيهما، وإن أتى بعدهن معرفة ونكرة، كان الاختيار أن تجعل المعرفة الاسم، والنكرة الخبر[٢].

٨ ـ ويحتج لقراءة الرفع والنصب في قوله تعالى: ﴿وصية لأزواجهم﴾[٣] فيقول: يقرأ بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع أنه أراد فلتكن وصية، أو فأمرنا وصية، ودليله قراءة عبدالله: «فالوصية لأزواجهم متاعاً» والحجة لمن نصب أنها مصدر، والاختيار في المصادر النصب إذا هي وقعت مواقع الأمر كقوله: «فضرب الرقاب»[٤]، ومنه قول الراجز:

شكا إلى جملي طول السرى صبراً جميلاً، فكلانا مبتلي[٥]

* * *

٥ ـ المحتسب لابن جني:

لئن كان كتابا «الحجة» لأبي علي، والحجة لابن خالويه في «الاحتجاج للقراءات السبع» التي اختارها ابن مجاهد فإن كتاب «المحتسب» لابن جني في الاحتجاج للقراءات الشاذة.

ولم ينس ابن جني في مقدمته الطويلة ـ أن يبيّن لنا لِمَ أَقدم على هذا الميدان الوعر؟ فيقول: «القراءات على ضربين: ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبع، وهو بشهرته غان عن تحديده.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٢) الحجة، ورقة ١٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.
(٤) سورة محمد: الآية ٤.
(٥) الحجة، ورقة ١٩.

وضرب تعدّي ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرّائه، محفوف بالروايات من إمامه ورواته، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه[1].

فابن جني يرى أن هذا الشاذ الذي خرج عن القراءات السبع موثوق به لأنه يقوم على سند من الرواية من ناحية، ومساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه من ناحية أخرى.

ويقول في موضع آخر من مقدمته مبيناً لِمَ اتجه إلى الاحتجاج للشاذ؟ فيقول: «غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه.. ثم قال: والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾[2]، وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وآخذه هو الآخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه»؟[3].

ويذكر ابن جني في مقدمته أن علماء القراءات والنحو قبله لم يهتموا بهذه القراءات الشاذة ذلك لأنهم: «لم يضعوا للحِجاج كتاباً فيه، ولا أَوْلوه طرفاً من القول عليه، وإنما ذكروه مروياً مسلماً، مجموعاً أو متفرقاً، وربما اعتزموا الحرف منه، فقالوا القول المقنع فيه، فأما أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه، ويتجردوا للانتصار له، ويوضحوا أسراره وعلله فلا نعلمه»[4].

على أن ابن جني دفعته الأمانة العلمية ـ حتى لا يظن أحد أن هذا العمل لم يرد على خاطر نحوي قبله ـ إلى أن يقول: «على أن أبا علي

---

(١) المحتسب لابن جني: ص ٣، ٤، مخطوط رقم ٣٧٩، تفسير تيمور بتصرف. طبع في جزأين (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية).

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) المحتسب: ص ٤، ٥، بتصرف.

(٤) المحتسب: ص ٦.

رحمه الله قد كان وقتاً حدّث نفسه بعمله ـ يقصد الاحتجاج للقراءات الشاذة ـ وهمّ أن يضع يده فيه، ويبدأ به، واعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت هفواته بينه وبينه»[1] ثم قال: «وأنا بإذن الله بادىء بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذ عن السبعة، وقائل في معناه مما يريه الله عز اسمه، وإياه أستعين، وهو نعم الوكيل»[2].

منهج ابن جني في المحتسب:

١ ـ ويبيّن ابن جني منهجه في «المحتسب» فيقول: «إن كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض فيه ما لطفت صنعته، وأعربت طريقته، ثم قال: وهو هذا الذي نحن على سمته أعني ما شذ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة، هو المعتمد المعول عليه.. ونحن نُورِدُ ذلك على ما رويناه، ثم على ما صح عندنا من طريق رواية غيرنا له»[3].

٢ ـ وابن جني رجل الأمانة العلمية لا ينسى أن يبيّن المصادر التي اعتمد عليها في تناوله للقراءات الشاذة فيقول: «على أننا ننحى فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة... ثم قال: وهو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته».

ولم يكتف ابن جني بما روى عن ابن مجاهد، بل أخذ عن غيره فقال: «فأما ما رويناه في ذلك فكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني رحمه الله، وكما أخذ عن أبي حاتم، أخذ كذلك عن قطرب فقال: وروينا أيضاً من كتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب من هذه الشواذ قدراً كبيراً، غير أن كتاب أبي حاتم أجمع من كتاب قطرب من حيث كان مقصوراً على ذكر القراءات عارياً من الإسهاب في التعليل[4].

---

(١) المحتسب: جـ ١ ص ٦، ٧. (٢) المحتسب: ص ٧.

(٣) المحتسب: جـ ١ ص ٨، بتصرّف. (٤) المحتسب: جـ ١ ص ٨، بتصرّف.

ومن مصادره أيضاً: «كتاب المعاني عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج سماعاً منه، ومعاني الفراء عن ابن مجاهد عن الفراء. واعتمد على مصادر أخرى غير ما ذكر فقال: وروينا غير ذلك مما سنذكر سنده وقت إحضاره»[1].

٣ ـ ومن منهج ابن جني في المحتسب السهولة، وعدم التعقيد حتى لا يكون كالحجة للفارسي يبتعد عنه الدارسون لتعقيداته وفلسفته فيقول: «إلا أننا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القرآن ليحظوا به، ولا ينأوا عن فهمه، فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب «الحجة» في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء. ونحن بالله، وله، وإليه، وهو حسبنا»[2].

وهذه العبارة الأخيرة التي ابتهل فيها إلى الله هزت أوتار قلبي، لأن ذكرها في هذا الموطن يشير إلى أن هذا العمل يجب أن يكون لله وحده، لأننا نحيا به ونعيش من أجله، ونحشر إليه، ومن ثم يجب الابتعاد عن الغموض والفلسفة والتعليل في هذه القراءات حتى ينتفع بها القراء.

ولعل في تسمية كتاب «المحتسب» إشارة تدل على ذلك، وأنه لا يريد إلا القربى لله تعالى.

صور من احتجاج ابن جني للقراءات الشاذة:

١ ـ يناقش سيبويه في حرارة لأنه لم يستطع تخريج إحدى القراءات الشاذة وصمت إزاءها.

قال ابن جني في قوله تعالى: ﴿**أفمن أسس بنيانه عن تقوى من الله ورضوان**﴾[3]: من ذلك ما حكاه ابن سلام قال: قال سيبويه: كان

---

(١) المصدر السابق: ص ١٠.
(٢) المصدر السابق: ص ٦.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٩.

عيسى بن عمر يقرأ على تقوىً من الله، قلت: على أي شيء نون؟، قال: لا أدري ولا أعرفه، قلت: فهل نون أحد غيره؟ قال: لا.

قال أبو الفتح: أخبرنا بهذه الحكاية أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحجاج عن أبي خليفة الفضل بن حباب عن محمد بن سلام.

«وأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءات فإن قياسه أن تكون ألفه للإلحاق، لا للتأنيث، كتترىً فيمن نون، وجعلها ملحقة بجعفر.

وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف في قياس ذلك وألا يقول: لا أدري، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد، ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها.

فأما أن يقول سيبويه: لم يقرأ بها أحد فجائز يعني فيما سمعه لكن، لا عذر له في أن يقول: لا أدري لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفه للإلحاق»[1].

٢ ـ ويناقش ابن مجاهد في قراءة طلحة بن سليمان:

قال ابن جني: «ومن ذلك قراءة طلحة بن سليمان: ﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت**﴾[2] برفع الكافين.

قال ابن مجاهد: وهذا مردود في العربية.

قال أبو الفتح: هو لعمري ضعيف في العربية، وبابه الشعر، لأنه ليس بمردود، لأنه قد جاء عنهم: ولو قال: مردود في القرآن لكان أصح معنى. ثم أخذ ابن جني يخرّج هذه القراءة، فقال: وذلك أنه على حذف الفاء كأنه قال: فيدرككم الموت ومثله بيت الكتاب:

من يفعل[3] الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

---

(١) المحتسب: ج ١ ص ٣٧٩. (٢) سورة النساء: ٧٨.

(٣) البيت من شواهد سيبويه (الدرر الوامع).

أي فالله يشكرها»[1].

٣ ـ ومن القراءات الشاذة التي احتج لها ابن جني قراءات مرجعها إلى اللغات، وذلك كاحتجاجه لقراءة أبي عمرو: **﴿في قلوبهم مرْض﴾**[2].

قال ابن جني، قال ابن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن أبي عمرو: **﴿في قلوبهم مرْض﴾** ساكنة.

قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون مرض مخففاً من مرض، لأن المفتوح لا يخفف وإنما ذلك في المكسور والمضموم كإبل، وفخذ، وطنب، وعضد، ثم قال: والقرآن يتخير له، ولا يتخير عليه.

وينبغي أن يكون مرض هذا الساكن لغة في مرض المتحرك، كالحلَب والحَلْب، والطرْد والطرَد، ثم قال: وقد دللنا في كتابنا الخصائص على تقاود الفتح والسكون، ولأنهما يكادان يجريان مجرى واحداً في عدة أماكن[3].

وكقراءة عمرو بن عبيد، وعلي، وعكرمة، وابن مسعود، وابن عباس **﴿ربيون﴾**[4] بضم الراء. وقرأ بفتحها ابن عباس فيما رواه قتادة عنه، قال أبو الفتح: الضم في **﴿ربيون﴾** تميمية، والكسر أيضاً لغة.

٤ ـ ومن القراءات التي استعمل فيها الأصل المرفوض قراءة أبي قلابة:

«الكذاب الأشرُّ»[5].

قال ابن جنيّ: الأشرّ بتشديد الراء هو الأصل المرفوض، لأن أصل قولهم: هذا خير منه، وهذا شرّ منه: هذا أخير منه وأشرّ منه، فكثر استعمال هاتين الكلمتين، فحذف الهمزة منهما، ويدلّ على ذلك قولهم:

---

(١) المحتسب: ج ١ ص ٢٣١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠.
(٣) المحتسب: ج ١ ص ٣٤.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.
(٥) سورة القمر: الآية ٢٦.

الخورى، والشُّرَّى، تأنيث الأخير والأشرّ، وقال رؤبة:

بلال خير الناس وابن الأخْيَر[1]

فعلى هذا جاءت القراءة[2].

وفي الدرر اللوامع علق على هذا الشاهد بقوله:

«استشهد به على ندور إتيان همزة أخير في التفضيل والتعجّب، وأخير في البيت مثال للتفضيل، وهما من واد واحد، فكلما جاز في أحدهما جاز في الآخر اطراداً أو شذوذاً.

وفي التصريح: وأمّا خير وشر في التفضيل فأصلهما أخير وأشرّ وحذف الهمزة بدليل ثبوتها في قراءة أبي قلابة: «سيعلمون غداً من الكذاب الأشرّ» وقول الشاعر:

بلالُ خَيْر النَّاس وابن الأَخْيرِ

واختلف في سبب حذف الهمزة منهما، فقيل لكثرة الاستعمال.

وقال الأخفش: لأنهما لما لم يُشتقا من فعل خولف لفظهما، فعلى هذا، فيهما شذوذان: حذف الهمزة، وكونهما لا فعل لهما[3].

٥ ـ ومن القراءات الشاذة القوية في القياس والتي تعدّ في نظر ابن جني أقوى في باب اللغة والنحو من قراءة الجمهور أو العامة قراءة أبي السّمال:

«إنّا كُلُّ شيء خلقناه»[4] بالرفع [أي برفع كل].

قال ابن جني: «الرفع هنا أقوى من النصب، وإن كانت الجماعة على النصب وذلك أنه من مواضع الابتداء فهو كقولك: زيد ضربته، وهو

---

(١) من شواهد التصريح ٢/ ١٠١، والأشموني ٣/ ٤٣، واللهمع والدرر رقم ١٧٦٤.

(٢) المحتسب ٢/ ٢٩٩.

(٣) انظر الدرر اللوامع بتحقيق المؤلف ٦/ ١٦٥. وانظر أيضاف قراءة رقم ٨٨٣٦ في معجم القراءات.

(٤) سورة القمر: الآية ٤٩.

مذهب صاحب الكتاب[1] والجماعة[2]، وذلك لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن مبتدأ في قولك: نحن كل شيء خلقناه بقدر، فهو كقولنا: هند زيد ضربها، ثم تدخل إنّ، فتنصب الاسم، وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر».

وقد ردّ ابن جني رداً حاسماً على المبرّد الذي اختار وجه النصب حيث ذكر أن وجه النصب «تقديره: إنا فعلنا كذا، قال: فالفعل منتظر بعد إنّا، فلما دلَّ ما قبله عليه حسن إضماره».

وردّ ابن جنّي على ذلك بقوله: «وليس هذا شيئاً، لأن أصل خبر المبتدأ أن يكون اسماً لا فعلاً، جُزءاً منفرداً، فما معنى توقّع الفعل هنا، وخبر إن وأخواتها كأخبار المبتدأ؟

وعليه قول الله سبحانه: **﴿ويَوْم القيامة تَرى الذِّين كذبوا على الله وجوههم مسودّة﴾**[3].

فهذه الجملة التي هي: «وجوههم مسودّة» في موضع المفعول الثاني لرأيت وهو في الأصل خبر المبتدأ»[4].

٦ ـ ومن القراءات التي خرجت على الجرّ بالمجاورة مع أن هذه الظاهرة قليلة الاستعمال قراءة يحيى والأعمش: «ذو القوّة المتين»[5] بجرّ «المتين».

قال ابن جني يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون وصفاً للقوّة، فذكره على معنى الحَبْل، يريد قوي الحبل.

لقوله: «فقد استمسك بالعُروة الوثقى لا انفصام لها»[6].

---

(١) انظر سيبويه ١/ ٧٤.
(٢) لعله يقصد البصريين.
(٣) سورة الزمر: الآية ٦٠.
(٤) المحتسب ٢/ ٣٠٠.
(٥) سورة الذاريات: الآية ٥٨.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

والآخر: أن يكون أراد الرفع وصفاً للرزق، إلا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها إياه، على قولهم: «هذا جُحر ضبٌّ خربٍ»، وعلى أن هذا في النكرة ـ على ما فيه ـ أسهل منه في المعرفة.

وذلك أن النكرة أشدّ حاجة إلى الصّفة، فبقدر قوة حاجتها إليها تتشبّث بالأقرب إليها، فيجوز هذا جُحر ضبٌّ خربٍ لقوّة حاجة النكرة إلى الصّفة.

فأما المعرفة فتقلّ حاجتها إلى الصّفة، فبقدر ذلك لا يسوغ التشّبث بما يقرب منها، لاستغنائها في غالب الأمر عنها.

ألا ترى أنه قد كان يجب ألا توصف المعرفة، لكنه لما كثرت المعرفة تداخلت فيما بعد، فجاز وصفها، وليس كذلك النكرة، لأنها في أوّل وَضْعها محتاجة، لإبهامها إلى وصفها.

فإن قلت: إن القوة مؤنثة، والمتين مذكر، فكيف جاز أن تجريها عليها على الخلاف بينهما؟ أو لا ترى أن من قال: هذا جحر ضبٌّ خربٍ لا يقول: هذان جحرا ضب خربين لمخالفة الاثنين الواحد؟

قيل: قد تقدّم أن القوّة هنا إنما المفهوم منها الحبل، على ما تقدّم، فكأنه قال: إن الله هو الرزاق ذو الحبل المتين، وهذا واضح.

وأيضاً فإن المتين فعيل، وقد كثر مجيء، فعيل مذكّراً وصفاً للمؤنث كقولهم: حُلّة خصيف[1]، ومِلْحفةٌ جديد، وناقة حسير، وريح خريق[2].

٧ ـ قراءة شاذة تخرج على أنها من تداخل اللغات:

فقد قرأ أبو مالك الغِفاري: ﴿والسّماء ذات الحِبُك﴾[3].

قال ابن جني: وأمّا «الحِبُك» بكسر الحاء وضمّ الباء فأحسبه سَهواً،

---

(١) في القاموس: خصف: سماء مخصوفة ذات لونين فيها سواد وبياض.

(٢) أي قويّة باردة. وانظر المحتسب ١/ ٢٨٩.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٧.

وذلك أنه ليس في كلامهم فِعُل أصلاً بكسر الفاء وضم العين وهو المثال الثاني عشر من تركيب الثلاثي، فإنه ليس في اسم ولا فعل أصلاً والبتّة.

أو لعلّ الذي قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضمّ، فكأنه كسر الحاء يريد: الحِبِك[١]، وأدركه ضم الباء على صورة الحِبُك[٢].

وقد يعرض هذا التداخل في اللفظة الواحدة، قال بلال بن جرير:

إذا جئتهم أو تسآيلتهم وجدْتَ بِهِم عِلَّةً حاضِرَهْ

أراد أو سألتهم أو ساءلتهم أو لغة من قال: سايلتهم فأبدلت، فتداخلت الثلاث عليه فخلط فقال: سآيلتهم فوزنها إذاً فعاعلتم لأن الياء في سايلتهم بدل من الهمزة في ساءلتهم، فجمع بين اللّغتين في موضعين على تلفّته إلى اللغتين.

كذلك أيضاً نظر في «الحِبُك» إلى الحِبك، والحُبُك، فجمع بين أول اللفظة على هذه القراءة وبين آخرها على القراءة الأخرى»[٣].

وفي هامش المحتسب تعليق لطيف نذكره لفائدته: علّق المحققان الفاضلان على نقد الرّضي لابن جني في شرح الشافية ١/ ٣٩ وذلك أن الرضي يأخذ «على أبي الفتح أن الحُبُك بضمتين: جمع الحباك وهو الطريقة في الرمل ونحوه.

والحِبِك بكسرتين مفرد، وأنه يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع.

قال المحققان: وهذا الذي يقوله الرّضي مسلّم في التركيب من لغتين، لأنه حينئذ أخذ من مفرد وجمع.

أمّا التركيب من قراءتين إن صحّ الأخذ به فلا يبدو بعيداً، لأن قراءتي الجمع والمفرد مرويّتان، والقارىء بالتركيب مِنهما يريد أن يروي ما يؤثر، لا التعبير عمّا يريد التعبير عنه»[٤].

---

(١) وهي مروية أيضاً عن أبي مالك الغفاري. انظر المحتسب ٢/ ٢٨٦.

(٢) والحبُك قراءة الجمهور أو العامّة.

(٣) المحتسب ٢/ ٢٨٧.

(٤) انظر هامش المحتسب ٢/ ٢٨٧.

٨ ـ ومن القراءات التي خرجت على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه قراءة عكرمة: «جدُّ ربُّنا»[١].

هذه القراءة أنكرها ابن مجاهد، وغلّط الذي رواها عن عكرمة، ولكنها في رأي ابن جني من الناحية النحوية لا غبار عليها، وخرّجها تخريجاً حسناً بقوله: فأمّا: «جَدُّ ربّنا» فإنه على إنكار ابن مجاهد صحيح، وذلك أن أراد «وأنه تعالى جدُّ جدُّ رَبّنا» على البدل، ثم حذف الثاني، وأقام المضاف إليه مقامه. وهذا على قوله سبحانه: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينةِ الكواكب﴾[٢] أي زينة الكواكب فالكواكب إذاً بدل من «زينة».

فإن قلت: فإن الكواكب قد تسمّى زينة، والرّب تعالى لا يسمّى جدّاً.

قيل: الكواكب في الحقيقة ليست زينة، ولكنها ذات الزينة، ألا ترى إلى القراءة بالإضافة وهي قوله: بزينةِ الكواكب»؟

وأنت أيضاً تقول: تعالى ربُّنا، كما تقول: تعالى جدُّ ربّنا فالتعالى مستعمل معهما جميعاً كما يقال: يسرّني زيدُ قيامُه، وأنت تقول: يسرُّني زيد، ويسرّني قيامه. وهذا بيان ما أنكره ابن مجاهد[٣].

٩ ـ وابن جني لا يؤيد من القراءات الشّاذة إلاّ القراءات التي لها وجه من العربية، وسندٌ من الفصحى، فقد ضعف بعض القراءات التي لا توافق العربيّة في نظره.

ومن هذه القراءات.

قراءة أبي جعفر: «آستغفرت»[٤] بالمدّ.

وروى عنه «اسْتَغْفرت» بالوصل قال ابن جني: هاتان القراءتان كلتاهما مضعوفتان أمّا: «آستغفرت» بالمدّ، فلأنه أثبت همزة الوصل. وقد

---

(١) سورة الجن: الآية ٣.
(٢) سورة الصافات: الآية ٦.
(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٢.
(٤) سورة المنافقون: الآية ٦.

استغنى عنها بهمزة الاستفهام من قبلها، وليس كذلك طريق العربيّة ألا ترى إلى قول ذي الرمّة:

أسْتحدث الرَّكبُ عن أشياعِهمْ خبراً   أم عاود القلب من أطرابه طربُ[1]

وأما «استغفرت» بالوصل ففي الطرف الآخر من الضعف، وذلك إنه حذف همزة الاستفهام، وهو يريدها، وهذا ممّا يختصّ فيه الشعر لا القرآن نحو قوله:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً   شعيثُ بن سَهْم أم شعيث بن منقر[2]

١٠ ـ وابن جني يؤيد القراءة الشاذة بشواهد من الشعر العربيّ:

ومن القراءات المؤيدة بالشعر قراءة عليّ وابن عباس رضي الله عنهما وأبان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف: «صَلِلْنا»[3] بالصاد مكسورة اللام. [وقراءة العامة ضَلَلْنا].

قال ابن جنيّ: صلّ اللحم يَصِلّ: إذا أنتن، وصلّ أيضاً يَصَلّ بفتح الصاد.

والكسر في المضارع أقوى اللغتين، والمعنى: إذا دُفِنّا في الأرض وصلّت أجسامنا، يقال: صلّ اللحم، وأصلّ صلولاً وصلالاً قال:

هو الفتى كُلُ الفتى فاعلمي   لا يُفسِد اللّحم لديه الصُّلولُ[4]

وقال زهير:

---

(١) ديوان ذي الرمة: ٤.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣، والبيت من شواهد سيبويه: ١/ ٤٨٥، والمقتضب ٣/ ٢٩٤، والمحتسب ١/ ٥٠، والمغني رقم٥٨، والعيني ٤/ ١٣٨، والهمع والدرر رقم ١٦٠٩ والتصريح ٢/ ١٤٣، والأشموني ٣/ ١٠١. والشاهد نسب إلى الأسود بن يعفر.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٠.

(٤) نسبه في اللسان إلى الحطيئة، وصدره في اللسان «صل»:

ذاك فتىً يبذل ذ [illegible]دره

تُلجْلِجُ مُضغةً فيها أَنيضٌ أصلَّتْ فهي تحت الكشح داءُ[1]

١١ ـ وابن جني ناقد لغوي كبير يقدم الدليل تلو الدليل ليدعم رأيه فيما يقول.

وهذا يدل من دون شك على استيعاب كامل للعربية، ونبوغ رائع في الإحاطة بأساليبها.

ومن نقده الرائع: نقد ابن مجاهد:

أ ـ في قراءة يحيى عن ابن عامر «وحُمّلَت الأرض»[2] مشدّدة الميم قال ابن جنيّ: «قال ابن مجاهد: وما أدري ما هذا؟

قال ابن جني: وهذا الذي تبشع، على ابن مجاهد حتى أنكره من هذه القراءة صحيح وواضح، وذلك أنه أسند الفعل إلى المفعول الثاني حتى كأنه في الأصل: وحمَّلنا قُدرتنا، أو مَلكاً من ملائكتنا أو نحو ذلك الأرض، ثم أسند الفعل إلى المفعول الثاني، فبُنِي له، فقيل: فحُمِّلَتْ الأرضُ ولو جئت بالمفعول الأول لأسندت الفعل إليه فقلت وحُمِّلَتْ قدرتنا الأرض.

وهذا كقولك: ألبست زيداً الجُبّة، فإن أقمت المفعول الأول مقام الفاعل قلت: أُلبس زيدٌ الجبّة.

وإن حذفت المفعول الأول أقمت الثاني مقامه، فقلت: أُلبست الجُبّةُ.

نعم، وقد كان أيضاً يجوز مع استيفاء المفعول الأول أن يُبْنى الفاعل للمفعول الثاني، فنقول: أُلبِست الجبةُ زيداً على طريق القلْب، للاتّساع، وارتفاع الشك.

فإذاً جاز على هذا أن تقول: حُمِّلتْ الأرضُ الملك، فتقيم الأرض مقام الفاعل مع ذكر المفعول الأول، فما ظنّك بجواز ذلك وحسنه بل بوجوبه إذا حذف المفعول الأول؟

---

(١) المحتسب ٢/ ١٧٤. و«الأنيض» كما في القاموس: «أنض»: اللحم الذي لم ينضج.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٤.

وكذلك أطعمت زيداً الخبز، وأُطعم زيدٌ الخبز، وتتسع فتقول: أُطعمَ الخبزُ زيداً، ثم تحذف زيداً فلا تجد بداً من إقامة الخبز مقام الفاعل، فتقول: أُطعم الخبزُ. ومثله: أُرْكب الفرسُ، وأُبِثّ الحديثُ، وكُسيت الجُبّة، وأُطعم الطعامُ، وسُقي الشرابُ، ولُقي الخيرُ، ووقي الشرّ.

ورحم الله ابن مجاهد، فقد كان كبيراً في موضعه، مسلِّماً فيما لم يمهُرْ به»[1] وأقول: ورحم الله ابن جني، فقد كان بارعاً في تحليله، دقيقاً في تمثيله، عظيماً في شرحه، كريماً في خلقه، حيث مدح ابن مجاهد شيخه في المواضع التي لا يجاريه أحد فيها، وفي الوقت نفسه اعترف بأن شيخه كان متواضعاً فيما لم يَمْهُر به، ولا يمكنه إلا التسليم للرأي الآخر في تواضع جمّ.

ب ـ وينقد أبا حاتم في قراءة ابن هرمز والحسن، وهي:

«لولا أن تدّاركه»[2] مشدّدة.

أنكر هذه القراءة أبو حاتم، فتصدى له ابن جني بالنقد البناء فماذا قال:

قال ابن جني: روى هذه القراءة أبو حاتم عن الأعرج لا غير، قال: وقال بعضهم: سألت عنها أبا عمرو، فقال: لا.

قال أبو حاتم: لا يجوز ذلك لأنه فعل ماض، وليست فيها إلا تاء واحدة، ولا يجوز (تتداركه)، وهذا خطأ منه أو عليه.

قال ابن جني ناقداً أبا حاتم:

قول أبي حاتم هذا خطأ ـ لا وجه له، وذلك أنه يجوز على حكاية الحال الماضية المنقطعة، أي لولا أن كان يقال فيه: تتداركه كما تقول: كان زيد سيقوم، أي كان متوقعاً منه القيام، فكذلك هذا لولا أن يقال: تتداركه نعمة من ربه لنُبذ بالعراء.

---

(١) المحتسب ٢/٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) سورة القلم: الآية ٤٩.

ومثله ما أنشدناه أبو علي، وهو رأيه وتفسيره من قوله:

فإن تقتلونا يوم حرَّةِ واقمٍ ... فلسنا على الإسلام أوّلَ مَنْ قُتِلْ

أي: فإن تكونوا الآن معروفاً هذا من خلالكم فيما مضى فلسنا كذا. وعليه قول الله سبحانه: **﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾**[1]، فأشار سبحانه إليهما إشارة الحاضر، لأنه لما كان حكاية حال صارت كأنها حاضرة، فقيل: هذان، وهذا.

لولا ذلك لقيل: أحدهما كذا، والآخر كذا.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾**[2]، أعمل اسم الفاعل وإن كان لما مضى لما أراد الحال، فكأنها حاضرة، واسم الفاعل يعمل في الحال كما يعمل في الاستقبال»[3].

٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب[4]

هذا الكتاب لمكيّ بن أبي طالب المغربي، ألّفه في شرح كتاب: «التبّصرة» في القراءات السبع.

وخير لي أن أترك المجال له ليتحدّث عن الدّوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب.

قال: كنت ألفت بالمشرق كتاباً مختصراً في القراءات السبع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وسمّيته كتاب: «التبصرة» فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلباً للتسهيل، وحرصاً على التخفيف.. ووعدت أني سأؤلف كتاباً فيه علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب «التبصرة»، أذكر فيه حجج القراءات، ثم تطاولت الأيام.. إلى سنة أربع وعشرين وأربعمائة فرأيت أن العمر قد تناهى، والزوال من الدنيا قد تدانى، فقويت

---

(١) سورة القصص: الآية ١٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٨.

(٣) المحتسب ٢/٣٢٦، ٣٢٧.

(٤) ترجمته بالبغية ٢/٢٩٨.

النية ـ في تأليفه وتمامه خوف فجأة الموت، وحدوث الفوت وطمعاً أن ينتفع به أهل الفهم من أهل القرآن، وأهل العلم من طلبة القراءات، فبادرت إلى تأليفه ونظمه، ليكون باقياً على مرور الزمان، وانقراض الأيام حرصاً مني على بقاء أجره، وجزيل ثوابه»[1].

ولم ينس مكي أن يشير إلى أن غرضه من تأليف الكتاب، نوال الثواب، والانتفاع به يوم الحساب، ولذا صح له أن يقول: (أسأل الله أن ينفع به مؤلفه، والمقتبس العلم منه) ـ وليزيد أجره، ويكثر ثوابه، طلب من الدارسين له الدعاء والترحم فقال: «فواجب على كل ذي مروءة وديانة. . . اقتبس منه علماً، أو تبين له به معنى مشكل، أو علم منه علماً لم يكن يعلمه أن يترحم على مؤلفه»[2].

منهجه: أما منهجه ملخصاً فيتضح في الأمور الآتية:

١ ـ ذكر القراءات، ومن قرأ بها.

٢ ـ بيان علة هذه القراءات، وحجة كل فريق.

٣ ـ بيان الوجه الذي اختاره في كل حرف، والتنبيه على علة اختياره لذلك كما يفعل من تقدمه من أئمة المعربين.

٤ ـ بين أن هذا الكتاب كتاب فهم وعلم ودراية على حين كان كتاب «التبّصرة» كتاب نقل ورواية.

هذا وقبل أن نسجل هنا عدة نماذج مختلفة من القراءات والاحتجاج لها تُبين منهجه وطريقته أحب أن أقول: إن هذا الكتاب له ثلاثة أرقام في مخطوطات دار الكتب المصرية:

١ ـ نسخة رقم ١٩٦٧١ ب مصورة، وهذه النسخة تشتمل على ١٩٨

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها، وحججها: ص ١: لمكي ابن أبي طالب، مخطوط مصور، نسخة رقم ١٩٩٨٢ ب، دار الكتب، طبع في جزأين (مجمع اللغة العربية بدمشق) بعد ذلك.

(٢) المصدر السابق والصفحة.

لوحة في آخر هذه النسخة كتبت العبارة التالية:

«تم الكشف عن وجوه القراءات السبع في آخر ليلة من شهر رجب الفرد سنة سبع وسبعمائة».

غير أن المقدمة في هذه النسخة ناقصة وغير واضحة.

٢ ـ نسخة رقم ١٩٩٨٢ ب مصورة بدار الكتب، وهذه النسخة عبارة عن مجلدين الأول يضم ١٥٠ لوحة، واللوحة صفحتان متقابلتان. أي عدد صفحات هذا القسم ٣٠٠ صفحة. والمجلد الثاني من ص: ٣٠١ ـ ص: ٤٩٤ ومن مميزات هذه النسخة أن المقدمة فيها كاملة.

٣ ـ نسخة رقم ١٧٣ ـ تفسير ـ دار الكتب غير موجودة.

صور من احتجاج مكي للقراءات:

١ ـ ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾[١].

قال مكي: قرأ ابن عامر بغير واو، وجعله مستأنفاً غير معطوف على ما قبله، وقد علم أن المخبر عنه بهذا القول هو المخبر عنه بمنع ذكر الله في المساجد، والسعي في خرابها.

وكذلك هي في مصاحف أهل الشام بغير واو.

وقرأ الباقون بالواو، وقالوا: الواو على العطف على ما قبله، كأن الذين أخبر الله عنهم بمنع ذلك في المساجد، والسعي في خرابها هم الذين قالوا: اتخذ الله ولداً، فوجب عطف آخر الكلام على أوله، لأنه كله إخبار عن النّصارى، وكذلك في جميع المصاحف.

ثم قال: وإثبات الواو هو الاختيار لثباتها في أكثر المصاحف، ولأن الكلام علّة قصة واحدة، وإجماع القراء عليه سوى ابن عامر[٢].

٢ ـ اعتماده على مصحف ابن مسعود وأبيّ:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/١٣١ رقم ٩٩٨٢ ب ـ دار الكتب.

يعتمد على مصحف ابن مسعود وأبيّ في اختيار رفع: «البرّ» في قوله تعالى: ليس البرُّ أن تولّوا وجوهكم»[1].

قرأها حمزة وحفص بالنصب، وقرأها الباقون بالرفع[2].

بعد أن بيّن مكيّ وجه القراءة بالنصب حينما قال:

إنّ «ليس» من أخوات «كان» يقع بعدها المعرفتان، فتجعل أيهما شئت الاسم، والآخر الخبر.

فلما وقع بعد «ليس» «البرّ» وهو معرفة، و «أن تولوا» معرفة، لأنه مصدر بمعنى التولية جعل «البرّ» الخبر فنصبه، وجعل «أن تولوا» الاسم، فقدّر رفعه.

بعد ذلك تناول قراءة الرفع مختاراً لها، مقوِّياً للقراءة بها حيث يفضلها على قراءة النصب بأدلة ترجع إلى رتبة الكلام وتنسيقه، واعتمد أيضاً على هذا الترجيح والاختيار على ورود قراءة أخرى شاذة ضمها مصحف ابن مسعود، ومصحف أبيّ.

قال مكي: «ووجه القراءة بالرفع أن اسم «ليس» كالفعل، ورتبة الفاعل أن يلي الفعل، فلمّا ولىَ البرّ «ليس» رفع، ولو نصب «البرّ» لوجب أن يكون الكلام غير رتبته...

ثم قال: «ويقوّي رفعه رفع «البرّ» الثاني الذي معه الباء إجماعاً في قوله: ﴿**ليس البر بأن تأتوا**﴾[3]، ولا يجوز إلا رفع «البر» فحمل الأول على الثاني أولى من مخالفته له.

ويقوي رفع «البر» أيضاً أن في مصحف ابن مسعود: «ليس البر بأن تُولُّوا» بزيادة الباء، وهذا لا يكون معه إلاّ رفع «البرّ».

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٢) انظر معجم القراءات القرآنية قراءة رقم ٥٠٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

ويقوّي ذلك أن في مصحف أبي: «ليس البرّ بأن تولوا» كمصحف ابن مسعود».

ثم عقب مكي بعد تعليله هذه القراءة، واختياره لها بقوله:

«وهو الاختيار».

ثم زاد من تقوية اختياره بقوله: «والرفع في البرّ اختيار أبي عبيد وأبي حاتم وغيرهما، وبه قرأ الحسن والأعرج، وشيبة، وسالم بن جندب، وابن أبي إسحاق وعيسى وابن محيصن وشبل وغيرهم»[1].

٣ ـ ومن القراءات التي رجحها، لأنها موافقة لأكثر المصاحف قراءة: ﴿ما فعلوه إلا قليل منهم﴾[2].

قرأ ابن عامر: «إلا قليلاً» «بالنصب على الاستثناء، وعلى الاتباع لمصاحف أهل الشام، فإنها في مصاحفهم بالألف».

وعللّ مكي هذه القراءة بأنه «أجرى النفي مجرى الإيجاب في الاستثناء لأن الكلام فيهما يتمّ دون المستثنين، تقول: ما جاء من أحد، فيتم الكلام، وتقول: ماجاءني القوم فيتمّ الكلام، ثم تستثني إذا شئت فيهما بعد تمام الكلام، فجرى النصب في النفي مجرى الإيجاب، لاتفاقهما في تمام الكلام قبل المستثنى.

ويعلل للقراءة التي اختارها وهي قراءة الرفع التي نسبت إلى باقي القراء السبعة فيقول: «وقرأ الباقون بالرفع على البدل من الضمير المرفوع في: «فعلوه».

وهو وجه الكلام، وعليه الأصول، لأن الثاني يغني عن الأول تقول: ما جاءني أحد إلا زيد، ونقول: ما جاءني إلا زيد، فدلّ على الأوّل ويغني عنه من غير نقص في معناه، فأختير فيه الرفع مع ذكر «أحد» إذ لا يجوز فيه غير الرفع مع حذف «أحد».

---

(١) الكشف ١/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٦.

ثم أعلن اختياره للقراءة الثانية، وهي قراءة الرفع بقوله: «وهو الاختيار، لأن أكثر المصاحف لا ألف فيها في «قليل». ولأن عليه بني الإعراب، وهو الأصل في الإعراب، وعليه جماعة القرّاء[1].

٤ ـ قراءات محبوبة إلى المؤلف يُعلل لها، ويقول: هي أحب إليّ:

مكيّ بن أبي طالب يصف بعض القراءات بأنها محبوبة إلى نفسه لاعتبارات متعددة، فمن هذه القراءات المحبوبة بالنسبة إليه ما يلي:

١ ـ قراءة: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾**[2].

قرأ حمزة ونافع وابن عامر بغير ألف على معنى الاستسلام والانقياد ومنه قوله: «وألقوا إلى الله يومئذ السلَم».

فالمعنى: لا تقولوا لمن استسلم إليكم وانقاد: لست مؤمناً فتقتلوه حتى يتبين أمره.

وقرأ الباقون: «السلام بالألف على معنى السلاّم الذي هو تحية الإسلام وعلى معنى: لا تقولوا لمن حيّاكم تحيّة الإسلام لست مؤمناً فتقتلوه، وتأخذوا سلبه.

ومكي يميل إلى الأخذ بهذه القراءة بعد أن علل لها لاعتبارات متعددة. من هذه الاعتبارات أنّ:

أ ـ ابن عباس قرأ بها، وابن عباس له مكانته في علوم القرآن والقراءات وكذلك قرأ بها ابن جبير، وابن هرمز، وقتادة والجحدري، وابن سيرين.

ب ـ سبب النزول يرجح قراءة «السلاّم» على قراءة «السّلم».

«فقد روى في ما قال لهم الرجل الذي قتلوه، ونزلت هذه الآية بسببه أنه قال لهم: إني مسلم.. وروي أنه قال لهم: السلام عليكم، فاتهموه وقتلوه، وهذا كله يدلّ على السّلام.

---

(١) الكشف ١/ ٣٩٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٧.

جـ - أن هذه القراءة أبين في المعنى.

د - أن هذه القراءة عليها أكثر القراء.

لهذه الاعتبارات جميعاً قال مكيّ: «والألف أحبّ إلي»[1].

٥ - يستدل بالأثر على قوة القراءة، وسرّ اختياره لها:

ففي قراءة: ﴿**وكأين من بني قاتل معه ربّيون**﴾[2].

قرأ الكوفيّون وابن عامر بألف من القتال، وقرأ الباقون «قتل» من القتل.

ووجه قراءة: «قاتل» بأنها تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون أسند الفعل الذي هو القتال إلى النبيّ ﷺ ويكون: «معه ربّيون» ابتداءً وخبراً، وترفع ربيّون بالظرف، والجملة صفة لـ «نبيّ» في الموضعين.

والوجه الثاني: أن يكون قد أسند الفعل إلى «الربّيين» دون النبي ﷺ فأخبر بالقتال دون النبيّ، فيكون: «قاتل معه ربّيون» صفة لـ «نبيّ»، و «ربيّون» مرفوعون «بفعلهم».

ثم وجّه قراءة «قتل» بدون ألف وبيّن أنها تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فعلاً، وما بعده صفة للنبيّ، والفعل مسند إلى النبيّ ﷺ بدلالة قوله: «أفإن مات أو قتل»[3]، فأخبر أن النبي قد يقتل، وقد قال تعالى: ﴿**ويقتلون النبيين**﴾[4]، وقال: ﴿**فلم تقتلون أنبياء الله**﴾[5]، وهذا من قتل النبيّ في غير قتال، فحمل ذلك على المعنى أنه قتل في غير قتال.

وسياق الكلام في قوله: ﴿**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله**﴾، وقوله: ﴿**وثبت أقدامنا**﴾[6] يدلّ على أن القتل والقتال كان في الحرْب في سبيل الله.

---

(١) الكشف ١/٣٩٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٩١.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

والوجه الثاني: أن «قتل» وما بعده صفة أيضاً للنبي، والفعل مسند إلى «ربيين»، فهم في هذا الوجه مرفوعون بـ «قتل» على المفعول الذي لم يُسَمّ فاعله».

وعلى الوجه الأول مرفوعون بالابتداء، و «معه» الخبر، أو مرفوعون بالظرف والجملة في الوجهين صفة لنبيّ.

وعلى الرغم من وجاهة القراءة الثانية وهي «قتل» لأنها مؤيدة بآيات قرآنية أخرى متعدّدة، فإن مكيّ بن أبي طالب، وصف القراءة الأولى بالحسن بقول: لأن الهاء في «معه» على قراءة «قاتل» تعود على «نبي» إذا كانت معه صفة لنبي، ودل المعنى على أن «الربيين» قاتلوا أيضاً مع قتال النبي، وحسن ذلك أيضاً لما روى عن الحسن وغيره أنه قال: ما قتل نبي قط في قتال، وكان إضافة القتال إليه أولى من إضافة القتل إليه»[1].

٦ ـ يختار القراءة التي تتناسب مع تعظيم النبي ﷺ، وتجل قدره: ففي قراءة: ﴿وما كان لنبيّ أن يغل﴾[2] بفتح الياء وضم الغين، وهي قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم.

يذكر مكي أن حجة من فتح الياء وضم الغين أنه نفى الغلول عن النبيّ ﷺ، وأضاف الفعل إليه، ونفاه عنه أن يفعله... والمعنى: ما كان لنبيّ أن يخون من معه في الغنيمة.

ومكيّ يبين سبب نزول هذه الآية فيقول: المنافقون اتهمّوا النبيّ ﷺ في شيء فُقِد، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبيّ أن يَغُلَّ﴾ أي يخون أمته في المغانم فنفى عنه الغلول.

وهذه القراءة كما روى مكيّ قرأ بها صحابيّان جليلان ابن عباس ومعاذ بن جبل.

والقراءة السبعية الأخرى هي: بضم الياء، وفتح الغين: يُغلّ. فالمعنى: ما كان لنبي أن يُغلّ في الغنائم.

---

(١) الكشف ١/٣٥٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

قال جابر بن عبد الله: أنزلت يوم بدر هذه الآية، قال: وكان ناسٌ غلوّا، فأنزلت فيهم، فلم يخونوا بعد، فالفعل على هذا منفي عن النبيّ ﷺ كالقراءة بفتح الياء.

قال مكّي بعد هذا العرض: والاختيار ضمّ الياء، لأن عليه أكثر القُراء، ولأن فيه تنزيهاً للنبيّ، وتعظيماً له أن يكون أحد من أمته نسب إليه الغلول، بل هم المخطئون المذنبون»[1].

٧ ـ يفضل قراءة: «واتخِذوا» بالأمر على قراءة: «واتخَذوا على الأسلوب الخبري، لأن قراءة الأمر أتت الرّوايات بها عن النبيّ ﷺ، يتضح هذا التفصيل في قراءة: «واتخِّذوا من مقام إبراهيم مصلًّى»[2] على الأمر، لأنها قراءة خمسة من القراء السبعة من ناحية، ولأنها مسنودة بالروايات عن النبيّ ﷺ من ناحية أخرى.

ومن هذه الروايات: «أن النبيّ ﷺ أخذ بيد عمر رضي الله عنه فلما أتيا المقام، قال عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ فقال النبي ﷺ: نعم، فقال عمر: «أفلا نتخذه مصلّى؟ فأنزل الله جل ذكره: ﴿**واتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى**﴾ على الأمر بذلك أي: افعلوه.

وروى مالك بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن النبي ﷺ أتى مقام إبراهيم، فسبقه إليه عمر، فقال عمر: يا رسول الله، هذا مقام أبيك إبراهيم الذي قال الله: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى؟ قال النبيّ ﷺ: نعم، هذا مقام أبينا إبراهيم الذي قال الله: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾، فسئل مالك: أهكذا قرأ رسول الله ﷺ: «واتخِذوا» قال: نعم، يعني بكسر الخاء على الأمر.

وروى أبو عبيد عن جابر بن عبد الله أن النّبي ﷺ استلم الحجر، ورمل ثلاثة أشواط، ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم

---

(١) الكشف ١/٣٦٣، ٣٦٤.
(٢) البقرة: الآية ١٢٥.

فصلى خلفه ركعتين، وقرأ: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى**﴾.

قال أبو عبيد: فلا أعلمه قرأها في حديثه إلاّ بكسر الخاء».

وأما قراءة، «واتّخذوا» بفتح الخاء على الإخبار فقد حلّلها مكيّ بقوله: «قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر عمّن كان قبلنا من المؤمنين أنهم اتّخذوا من مقام إبراهيم مُصلّى، فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده والتقدير: واذكر يا محمد إذْ جعلنا البيت مثابة للناس وأَمْناً، واذكر إذْ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مُصَلًّى، واذْكر إذْ عهدنا إلى إبراهيم، فكله خبر فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان، فحمل على ما قبله وما بعده، ليتفق الكلام، ويطابق، فـ «إذْ» محذوفة مع كل خبر لدلالة «إذ» الأولى الظاهرة على ذلك»[1].

ومع أن القراءتين مقبولتان لأنهما سبعيتان، ولكل قراءة تفسيرها الخاص وهو تفسير مقبول إلاّ أن (مكي) اختار قراءة الأمر، وفضلها على قراءة الخبر للأمور الآتية:

١ ـ كثرة الروايات التي تدلّ على أن قراءة الأمر متفقة معها.

٢ ـ قراءة الأمر عليها جماعة القراء.

٣ ـ قراءة الأمر اختيار أبي عبيد وأبي حاتم.

٤ ـ قراءة الأمر قراءة العامّة في أكثر الأمصار.

٥ ـ قراءة الأمر اعتمدها كثير من القراء المتقدمين والمتأخرين.

٨ ـ ومن منهجه أنه يختار القراءة التي يجد لها سنداً قوياً من الرواية، والعقل، وإن كانت مخالفة لقراءة الكثرة من القراء السبعة مما يدلّ على أنه مستقل الشخصية، باحث غير مقلّد، بل يؤكد في هذا الاختيار أن القراءة المختارة أحب إليه من الأخرى ففي قوله تعالى: ﴿**لا يستوي**

---

(١) الكشف ١/٢٦٣.

القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾[1].

يقول: «قرأ الكسائي ونافع وابن عامر، بالنّصب» ومعنى ذلك أنّ بقية القراء السبعة قرأوا بالرفع، والمراد بالنصب: نصب «غير» والمراد بالرفع رفع «غير».

يدلل مكي على اختياره قراءة النصب، وأنها أحب إليه من الأخرى بقوله: «قرأ الكسائي ونافع وابن عامر بالنصب على الاستثناء من القاعدين لأنه ثبت أنه نزل بعد نزول **﴿لا يستوي القاعدون﴾** فلو كان صفة لم يكن النزول فيهما إلاّ في وقت واحد، فلما نزل: **﴿غير أولي الضرر﴾** في وقت بعد وقت نزل: **﴿لا يستوي القاعدون﴾** علم أنه استثناء، إذ لو كان صفة لنزل مع القاعدين في وقت، وقد ثبت أنهما نزلا في وقتين.. فلما نزل «غير أولي الضرر في وقت بعد وقت نزول: **﴿لا يستوي القاعدون﴾** علم أن النبي ﷺ قرأه بالنصب وبه قرأ زيد بن ثابت وأبو جعفر وشيبة وأبو الزّناد، وشبل، وابن الهادي.

ثم ختم مكي اختياره بقوله: «وهو أحبّ إليّ»[2].

٩ ـ ومن منهجه أن يقوّي اختياره بالشواهد الشعرية:

القارىء لكتاب الكشف يلحظ أن مكيّ بن أبي طالب لم يعط الشواهد الشعرية اللغوية أو النحوية حقها في هذا الكتاب مع أن كتب الاحتجاج للقراءات كحجة الفارسي، وحجة ابن خالويه، ومحتسب ابن جني مملوءة بالشواهد الشعرية في بابي اللغة والنحو.

ومن الشواهد الشعرية القليلة في كتابه استشهاده ببيت الفرزدق في قراءة: «سلاسلاً»[3] على الصّرف، وهي قراءة نافع، وهشام، والكسائي.

قال مكيّ: وحجة من نوّن أنه حمله على لغة لبعض العرب.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) الكشف ١/٣٩٦.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٤.

حكى الكسائي أن بعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلاّ «أفعل منك» قال الأخفش: سمعنا من العرب من يصرف هذا، ويصرف جميع ما لا ينصرف. ومن صرفه في الكلام فحجته أنه لما رأى هذه الجموع تشبه الآحاد، لأنها تجمع كما تجمع الآحاد، قالوا: هؤلاء صواحب يوسف، حكاه الأخفش والمازني وجاء ذلك في لفظ النبي ﷺ وفي حديثه.

وحكى الأخفش: مواليات، يريد جمع الموالي».

ثم استشهد ببيت الفرزدق:

وإذا الرِّجال رأوا يزيد رأيتهم خُضُع الرِّقاب نواكسي الأبصار[1]

يريد: نواكسين، فجمع بالياء والنون، وحذف النون للإضافة. فلما جمعوا هذا الجمع كما يجمع الواحد أجروه مجرى الواحد في الصرف والتنوين، وقوي ذلك لثبات الألف في الخطّ، ولأن الصرف والتنوين هو الأصل في جميع الأسماء، وإنما امتنع منها أشياء من الصرف لعلل دخلت عليها، فمنعتها من الصرف»[2].

وبعد، فقد أمتعنا مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف بهذه الدراسة الخصبة للقراءات القرآنية.

ويكاد يكون المؤلف الوحيد الذي جعل له اختياراً في القراءات، مع أن كتابه موقوف على القراءات السبع فحسب، وإن وردت قراءات شاذة فهي قراءات يدعو إليها الاستطراد، فإن العجب أن يلج باب هذا الاختيار مع أن القراءات السبع متواترة، يجب الأخذ بها وقبولها من غير اختيار أو ترجيح، مثل ذلك ابن خالويه في الحجة، والفارسي أيضاً في حجته، ومنهجهما عرض القراءات السبعية وتوجيهها نحوياً ولغوياً من غير اختيار أو تفضيل، أمّا مكيّ، فقد كان له اختيار قائم على دراسة، وبحث وتحليل، ورواية واتباع للمصاحف، ولا شك أن كتابه ممتع في هذا المجال.

---

(١) من شواهد سيبويه ٢/٢١٧، والمقتضب ١/١٢١، ٢/٢١٩، وابن يعيش ٥/٥٦، والخزانة ١/٩٩ وشرح الشافية ٤٢.

(٢) الكشف ٢/٣٥٢، ٣٥٣.

٧ ـ إعراب القراءات الشواذ:

مؤلف هذا الكتاب محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري[١]: والكتاب مصور يشتمل على جزأين، الجزء الأول يضم ١٠٧ لوحة والثاني ١٠٦ لوحة ورقمه ١١٩٩ ـ تفسير ـ دار الكتب.

والغرض من تأليف هذا الكتاب هو التعليل للقراءات الشاذة الخارجة عن قراءات العشرة المشهورين. يقول: «التمس مني أن أملي كتاباً يشتمل على تعليل القراءات الشاذة الخارجة عن قراءات العشرة المشهورين خاصة، لأن القراءات المشهورة قد اشتمل على تعليلها كتابنا في إعراب القرآن فأجبته إلى ذلك»[٢].

منهجه:

صور من احتجاج العكبري للقراءات:

ذكر في مقدمته لهذا الكتاب أن منهجه يقوم على أمرين:

الأمر الأول: ذكر القراءات الشاذة، وحكاية ألفاظها من غير نسبتها إلى قارىء.

الأمر الثاني: ذكر وجوه هذه القراءات من جهة النحو والتخريج على سبيل الاستيفاء والإيجاز.

قال: «واقتصرت على حكاية ألفاظها دون من عزيت إليه، وذكرت وجوهها على الاستيفاء والاختصار»[٣].

نماذج من إعراب القراءات الشواذ:

١ ـ ﴿الرحمن الرحيم﴾[٤].

قال العكبري: يقرأ بالنصب فيهما على أنه أضمر أعني أو أمدح، وهذا يسمى النصب على المدح، ولا خلاف بين أهل العربية في جوازه.

---

(١) ترجمته بالبغية: ص ٢٨١.

(٢) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١ لوحة ١، رقم ١١٩٩ ـ تفسير ـ دار الكتب.

(٣) المرجع نفسه: لوحة ١.

(٤) سورة الفاتحة: الآية ٣.

والعكبري، لا يقتصر على نقل آراء غيره بل يحاول أن تكون له شخصيته المستقلة في البحث فيقول: «وفيه عندي وجه آخر، وهو أن يكون بمعنى التسمية، وتكون الباء متعلقة بفعل محذوف تقديره ابدءوا بتسمية الله الرحمن الرحيم، ففي النصب على هذا وجهان:

أحدهما: أن يكون مفعولاً ثانياً أي بأن تسموا الله الرحمن الرحيم كقولك: سميتك زيداً.

والثاني: أن يكون منصوباً على الموضع كما تقول: مررت بزيد الظريفَ... فتحملهما على الموضع لأن موضع الجار والمجرور نصب»[1].

٢ ـ ويحاول أن يخضع القراءة الشاذة للقياس النحوي وللسماع معاً فيقول في قوله تعالى: ﴿**رب العالمين**﴾[2] «يقرأ بالنصب ـ والوجه فيه أنه على المدح كما تقدم في الرحمن، وقيل هو على النداء، أي يا رب العالمين، وفيه بعد، ويقرأ بالرفع على تقدير: هو رب فهذا وجه حسن».

ثم قال في قوله: ﴿**العالمين**﴾ يقرأ بالهمزة ساكنة، قال: وهذه لغة وردت الرواية بها. قالوا: عألم، وخأتم، وأنشدوا للعجاج:

فخندف هامة هذا العألم

ثم قال:

«فإن قيل فما وجه الهمز من القياس؟، قيل الألف والهمزة من مخرج واحد، والهمزة حرف حي، والألف ضعيف في غاية اللين، فعدل عنها إلى ما يصاحبها في المخرج، وهو أقوى منها، ولأن الهمزة إذا سكنت، وانفتح ما قبلها يجوز أن تقلب ألفاً، مثل: فأس، ورأس، ما كان ذلك إلا لشبهها بها، فإبدال الألف همزة قياس لما بينهما من الشبه، ولأن في ذلك ضرباً من الاقتصاص»[3].

---

(١) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١، لوحة ٢.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٢.

(٣) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١، لوحة ٤.

٣ ـ ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾[1]:

قال العكبري: يقرأ برفع الكاف أي وهو يهلك، ويقرأ بفتح الياء واللام، ورفع الحرث، وهي لغة ضعيفة، لأن الماضي هلك بفتح اللام فيكون المستقبل مكسور اللام.

«ومن فتح اللام في المستقبل جاز أن يكون هلك بكسر اللام وهي لغة مجهولة أو يكون لغتين من قبيلتين تداخلتا»[2].

٤ ـ ﴿آزر﴾[3]:

قال العكبري: «الجمهور بفتح الراء، وهو بدل من أبيه ولم ينصرف للعجمة والتعريف، ويقرأ بالرفع تقديره: يا آزر بجعل الهمزة الأولى للنداء، ويقرأ بهمزتين مفتوحتين، ليس بينهما ألف ونصب الراء، وتنوينها جعله مصدراً، ومنهم من يكسر الثانية، وكل يحتمل أن يكون لغات فيه، ومن نونه أخذه من الأزر فهو عربي»[4].

٥ ـ ﴿تماماً على الذي أحسن﴾[5]:

يقرأ بفتح النون على أنه فعل ماض، ويقرأ أحسن على ما لم يسم فاعله أي أحسن إليه، أو أحسن حاله.

ويقرأ: أحسنوا على الجمع، وعلى هذا الأصل ﴿الذين أحسنوا﴾ فحذف نون الذين لطول الكلام بالموصول والصلة، وقد جاء في الشعر:

أبني كليب إنّ عمي اللذا قتلا الملوك، وفككا الأغلالا

ثم قال: ويقرأ بضم النون من غير واو، تقديره: الذي هو أحسن

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٢) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١، لوحة ٣١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٧٤.

(٤) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١، لوحة ٦٨.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥٤.

فحذف العائد ونظيره ما حكاه الخليل: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً الذي هو، وجاز الحذف لطول الكلام[1].

٦ ـ ﴿أكاد أخفيها﴾[2]:

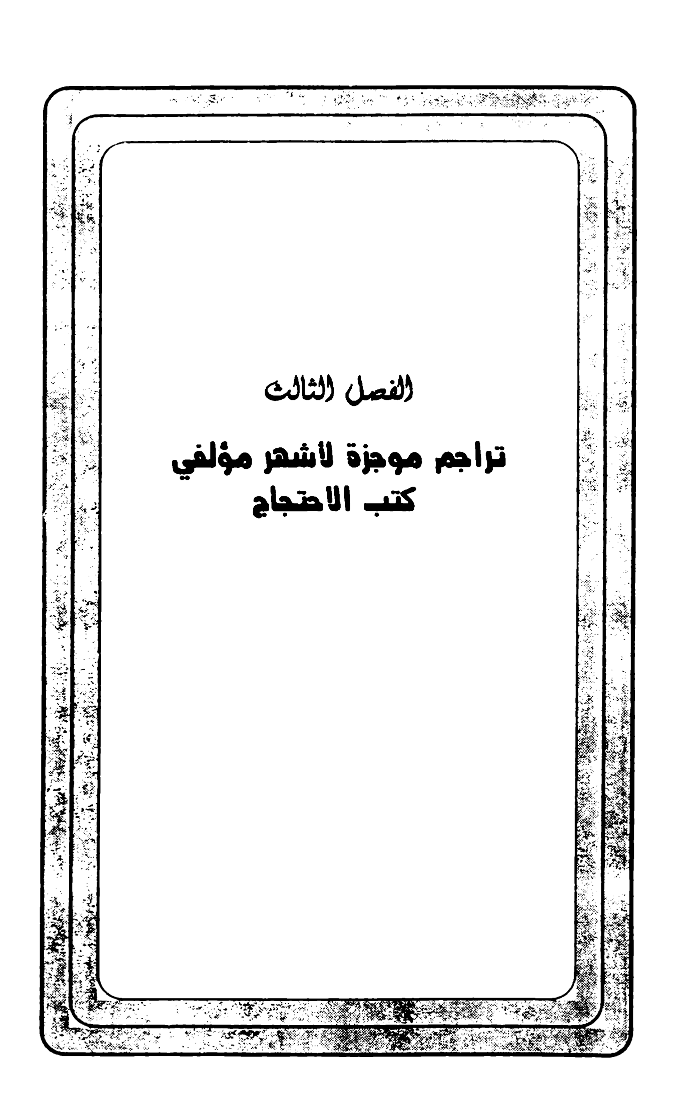
يقرأ بفتح الهمزة أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء أي ظهرته، وأما ضم الهمزة فيكون بمعنى الإظهار والإسرار من الأضداد[3].

---

(١) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١، لوحة ٧٣.

(٢) سورة طه: الآية ١٥.

(٣) إعراب القراءات الشواذ: جـ ١، لوحة ١٨.



الفصل الثالث

تراجم موجزة لأشهر مؤلفي كتب الاحتجاج

١ ـ أبو علي الفارسي
مؤلف: «الحجة في علل القراءات السبع»[(١)]

١ ـ نسبه: هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسيّ.

وأمه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة.

٢ ـ مولده: حدّث الخطيب قال: قال التنوخيّ ولد أبو علي الفارسيّ بـ «فسا»، وهي مدينة من مدن الفرس سنة ٢٨٨ هـ.

٣ ـ وفاته: توفي ببغداد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة في أيام الطائع لله عن نيّف وتسعين سنة..

٤ ـ رحلاته:

رحل إلى بغداد في صدر شبابه سنة ٣٠٧ هـ، وإلى بلاد الشام «ومضى إلى طرابُلس فأقام بحلب مدّة، وخدم سيف الدولة بن حمدان، ثم رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات».

٥ ـ شيوخه:

«أخذ النحو عن جماعة من أهل هذا الشأن كأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر ميرمان، وأبي بكر بن السراج، وأبي بكر الخياط». ومن أهم شيوخه أبو بكر بن مجاهد الذي روى القراءة عنه، وألف كتابه الحجة في ضوء القراءات التي رواها عن ابن مجاهد، يدل على ذلك ما ذكره

---

(١) حققه الأساتذة الفضلاء: علي النجدي ناصف ـ الدكتور عبد الحليم النجار ـ الدكتور عبد الفتاح شلبي، والتحقيق شمل الجزء الأوّل منه ونشر في سلسلة تراثنا بمصر.

سلامة بن عياض النحوي عن هذا الكتاب، والذي نقله ياقوت في معجمه.

قال ياقوت: قرأت بخطّ سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي في صفر سنة ٥٢٢ بالريّ، في دارِ كُتُبِها التي وقفها الصّاحب بن عباد رحمه الله ـ وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه:

أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره، وتأييده وتمكينه ـ كتابي في قُرّاء الأمصار الذين تبينت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة.

فما تضمّن من أثر، وقراءة، ولغة فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك منهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيّدنا الصاحب الجليل ـ أدام الله عزة ونَصْره، وتأييده وتمكينه ـ حكاية شيء منه عنهم أو عنّي لهذه الحكاية فَعَلَ»[1].

٦ ـ تلاميذه:

من أشهر تلاميذه ابن جنّي. يقول القفطي: صحب أبا علي الفارسي وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه، واستملى منه، وأخذ عنه، ووقف على تصانيفه واستجادها»[2].

ومن تلاميذه أيضاً: علي بن عيسى الرّبعي النحوي البغدادي. يقول القفطي: «خرج إلى شيراز» فدرس بها على أبي علي الفارسي مدة طويلة.

وفي رواية يرويها علي بن محمد الحسن المالكي، وذكرها القفطي في «الإنباه» أن علي بن عيسى خرج إلى فارس: «وأقام على أبي علي النحوي عشرين سنة يدرس النحو، فقال أبو عليّ: ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه»[3].

(١) انظر معجم الأدباء ٧/ ٢٣٩، ٢٤٠. (٢) انباه الرواة ٢/ ٣٣٦.
(٣) انظر المصدر السابق/ ٢٩٧.

ومنزلة الربعي في نفس شيخه أبي علي منزلة كبيرة، فقد رووا أن أبا علي الفارسي كان يقول لعلي الربعي البغدادي: «لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك»[1].

ومن تلاميذه: أبو طالب العبدي النحوي.

قال القفطي: «صحب أبا علي الفارسيّ النحوي، وأخذ عنه... وكان اختصاصه بأبي علي وانتسابه إليه أكثر، وتعصبه له أوفر، أخذ عن أبي علي جُلّ ما عنده»[2].

٧ ـ عقيدته:

يذكر السيوطي في البغية أنه كان متهماً بالاعتزال[3].

على أن محققي كتاب الحجة نفوا هذا الاتهام في مقدمة التحقيق بتحليل له وجاهته، ويقوم هذا النفي على الأمور التالية:

١ ـ لا يوجد في ثبت مصنفات أبي علي كتاباً يتصل بغير مباحث النحو ومسائل العربية، وأما ما ذكره ياقوت أن له كتاباً تتبع فيه كلام أبي علي الجبائي في التفسير فإن القوي الراجح أن هذا التتبع تتبع نحوي ولغوي لا عقائدي.

٢ ـ ما ذكره الخطيب البغدادي من أن أبا علي كان متّهماً بالاعتزال لا يدلّ على أنه معتزلي، فعلى حدّ تعبير المحققين فثمة فَرْق بين أن يقول الخطيب ـ وهو من هو في سعة الاطلاع والتثبت ـ: كان أبو علي معتزلياً، وأن يقول: كان مُتّهماً بالاعتزال.

٣ ـ وحينما ترجم ابن الأثير الجزري لأبي علي أضعف هذه التهمة بقوله عن أبي علي: «قيل كان معتزلياً» وفرق بين «قال» التي تشير إلى التأكيد وبين قيل التي تشير إلى الشك[4].

---

(١) السابق.

(٢) السابق/٣٨٦.

(٣) البغية ١/٤٩٦.

(٤) انظر مقدمة تحقيق الحجة.

٨ ـ أبو عليّ الفارسي في ميزان العلماء :

يكاد يكون هنا إجماع بين العلماء والرواة على أن أباً عليّ فريد عصره في الدراسات اللغوية والنحوية، وقد أشادوا به، واعترفوا بفضله، ومدحوه في هذا المضمار بالكلمات الحسان، والعبارات الرائعة.

أ ـ في معجم الأدباء: «كان كثير من تلامذته يقول: هو فوق المبرد»[١].

ب ـ وصفه محمد بن الحسن الحاتمي فقال: «هو فارس العربية، وحائز قصب السّبق فيها منذ أربعين سنة»[٢].

جـ ـ ويذكره أبو العلاء المعري في كتابه «رسالة الغفران» ويقيم حواراً بينه وبين العلماء في مذهبه النحوي، وآرائه اللغوية، و يُشْفِق أبو العلاء، ويتجه إلى القوم المحاورين، ويقول لهم: «يا قوم إن هذه أمور هيّنة. فلا تعنتوا هذا الشيخ، فإنه يمتّ بكتابه «الحجة» وإنه ما سفك لكم دماً، ولا احتجن عنكم مالاً فتفرقوا عنه»[٣].

د ـ وقد قال عنه عضد الدولة: «أنا غلام ابن علي في النحو»[٤].

٩ ـ ذكاؤه وحدة ذهنه:

قال ياقوت: «ومما يشهد له بصفاء ذهنه، وخلوص فهمه أنه سئل قبل أن ينظر في العروض ـ عن خرم[٥] متفاعلن، ففكر، وانتزع الجواب فيه من النحو، فقال: لا يجوز، لأن متفاعلن، ينقل إلى مستفعلن إذا أضمر، فلو خرم لتعرّض للابتداء بالسّاكن، إذ الخرم حذف الأول من البيت»[٦].

١٠ ـ علاقته بعضد الدولة:

---

(١) معجم الأدباء ١/ ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه ١٨/ ١٥٧.

(٣) انظر رسالة الغفران: تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء ص ١٤٥ طبع دار المعارف بمصر.

(٤) معجم الأدباء ٧/ ٢٣٤.

(٥) الخرم: مصطلح الخرم في العروض، هو إسقاط أول الوتد من المجموع من صدر المصراع الأول من الطويل، فعولن: بحذف الفاء تكون: «عولن».

(٦) معجم الأدباء ٧/ ٢٣٦.

عرف عضد الدولة لأبي علي حقه من التقدير والإجلال، فصاحبه مصاحبة الأصدقاء، ولازمه في مجالسه حتى بلغ الأمر بعضد الدولة أن يدعوه إلى صحبته في نضاله ضد أعدائه.

ومن الطريف في هذا أن أبا علي صاحب القلم لا يستطيع أن يكون صاحب سيف مع صحبة هذا القلم يدلّ على ذلك أنه لما دخل أبو علي الفارسي على عضد الدولة قال له: «ما رأيك في صحبتنا؟ فقال له: أنا من رجال الدّعاء لا من رجال اللّقاء ـ فخار الله[1] للملك في عزيمته، وأنجح قصده في نهضته، وجعل العافية زاده، والظفر تجاهه، والملائكة أنصاره ـ ثم أنشد:

ودّعته حيث لا تودّعه   نفس، ولكنها تسير معهْ
ثم تولّى وفي الفؤاد له   ضيق محلٍّ، وفي الدموع سعه

فقال له عضد الدولة: بارك الله فيك، فإني واثق بطاعتك، وأتيقّن صفاء طويتك، وقد أنشدنا بعض، أشياخنا بفارس:

قالوا له إذ سار أحبابه   فبدّلوه البُعْد بالقرب
والله ما شطت نوى ظاعن   سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي، وقال: أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين فأذن له فاستملاهما منه»[2].

١١ ـ مؤلفاته:

من أشهر مؤلفاته بعد الحجة ما يلي:

١ ـ الإيضاح: بعد أن فرغ من تصنيفه حمله إلى عضد الدولة، فلما رآه استقصره عضد الدولة، وقال له: «ما زدت على ما أعرف شيئاً» وإنما يصلح هذا للصبيان، فمضى أبو علي، وصنّف «التكملة» وحملها إليه فلما وقف عليها عضد الدولة قال: غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو»[3].

---

(١) في هامش معجم الأدباء: خار الله لك من هذا الأمر، أي اختار. والمعنى: جعل الله لك خيره.

(٢) معجم الأدباء ٧/٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) السابق ٢٣٨، كتاب الإيضاح هذا حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف بمصر.

٢ ـ التكملة[١]، وهي الجزء الثاني من الإيضاح.
٣ ـ المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات[٢].
٤ ـ المسائل الحلبية.
٥ ـ كتاب: المسائل الشيرازية.
٦ ـ كتاب الإغفال:
عرفه ياقوت بقوله: «وهو مسائل أصلحها على الزجاج»[٣].

وعرف ابن النديم في «الفهرست» هذا الكتاب بقوله: كتاب المسائل المصلحة يَرويها عن الزجاج، وتعرف بالإغفال»[٤].

وقد بينت في كتابي: «القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية» أن القفطي في إنباه الرّواة أخطأ حيث ذكر أن لأبي علي الفارسي كتاب الإغفال فيما أغفله الزجاجيّ في المعاني، ولم يتنبه صاحب محقق الإنباه لهذا السّهو من القفطي، لأن الإغفال للفارسي فيما أغفله الزجاج لا الزّجاجي»[٥].

وهناك كتب أخرى أشارت إليها كتب الطبقات، واكتفيت فقط بما هو مشهور حرصاً على الإيجاز، هذا وقد سرد أبو علي الفارسي كتبه بخطه حيث ذكر ياقوت أن أبا علي: «كتب بخطه: ولأبي علي من التصانيف: كتاب الحجة ـ كتاب التذكرة»[٦] إلخ.

١٢ ـ ناقد نحويّ:

وأبو علي الفارسي ناقد نحويّ، يقلب المسائل النحوية على وجوهها المختلفة ويجمع كل الخطوط لأي قضية من القضايا ليصل بعد الموازنة

---

(١) حققها الدكتور حسن شاذلي فرهود نشر عمادة شئون المكتبات جامعة الرّياض ١٩٨١.
(٢) حققها صلاح الدين عبد الله، مطبعة العاني ببغداد.
(٣) معجم الأدباء ٧/ ٢٤٠، ٢٤١.
(٤) الفهرست ١٠١ ـ مطبعة الاستقامة.
(٥) القرآن الكريم وأثرة في الدراسات النحوية/ ٢٥٧ طبعة ثانية نشر مؤسسة علي جراح الصباح بالكويت.
(٦) معجم الأدباء ٧/ ٢٤٠.

والتمحيص والتحقيق والتدقيق إلى الرأي الذي يراه، والفكرة التي يرتضيها، وقصته في تخطئة الأصمعي قصة مشهورة ساقها ياقوت في معجمه فقال: «فأجرى يوماً بعض الحاضرين ذكر الأصمعيّ، وأسرف في الثناء عليه، وفضّله على أعيان العلماء في أيامه، فرأيته[١] ـ رحمه الله ـ كالمنكر لما كان يورده، وكان فيما ذكر من محاسنه، ونشر من فضائله أن قال: من ذا الذي يجسر أن يخطّىء الفحول من الشعراء غيره؟

فقال أبو علي: وما الذي ردّ عليهم؟ فقال الرجل: أنكر على ذي الرّمّة. مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها، وفضل معرفته بأغراضه ومراميها، وأنه سلك نهج الأوائل في وصف المفاوز، إذا لعب السّراب فيها، ورقص الآل في نواحيها، ونعت الجِرْيالَ[٢]، وقد سبح على جُدُله[٣].. فقال له الشيخ أبو علي: وما الذي أنكر على ذي الرمة، فقال في قوله:

وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم

لأنه كان يجب أن ينوّنه، فقال: أمّا هذا فالأصمعي مخطىء فيه وذو الرمة مصيب، والعجبُ أن يعقوب بن السكيت قد وقع عليه هذا السهو في بعض ما أنشده، فقلت: إن رأى الشيخ أن يصدع لنا بجليّة هذا الخطأ تفضل به، فأملى علينا: أنشد ابن السكيت لأعرابي من بني أسد:

وقائلةٍ أسيتَ فقلت جيرِ أسِيٌّ إنّني من ذاك إنّه

قال يعقوب: قوله: جيرِ، أي حقاً، وهي مخفوضة غير منوّنة فاحتاج إلى التنوين.

قال أبو علي: هذا سهو منه، لأن هذا يجري منه مجرى الأصوات وباب الأصوات كلّها، والمبنيّات بأسرها لا ينوّن إلاّ ما خصّ منها لعلة الفرقان فيها، بين نكرتها ومعرفتها، فإن كان منها معرفة جاء بغير تنوين، فإذا نكّرته نوّنته، ويكون من ذلك أنك تقول في الأمر: صهْ ومهْ، تريد

---

(١) نقل ياقوت هذه القصة عن الأستاذ أبي العلاء الحسين بن محمد، والضمير في «فرأيته» يرجع إلى الفاسي، والذي رآه هو أبو العلاء الحسين بن محمد.

(٢) الجريال: الفرَس (٣) الجدل: جمع جديل، حبل من أدم وشعر.

السكوت يا فتى، فإذا نكّرت قلت: صهٍ ومهٍ تريد سكوتاً.

وزعم الأصمعي أن ذا الرمة أخطأ في قوله:

وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم

وكان يجب أن ينوّنه، ويقول: إيهٍ منوّنة، وهذا من أوابد الأصمعي فاحتاج ألى التنوين قال أبو علي: هذا سهو من غير علم.

فقوله: جير بغير تنوين في موضع قوله الحقّ، وتجعله نكرة في موضع آخر فتنوّنه، فيكون معناه: قلت حقاً، ولا مدخل للضّرورة في ذلك، إنما التنوين للمعنى المذكور، وبالله التوفيق، وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير»[١].

بهذا الشرح والتحليل وضع أبو عليّ النقاط على الحروف في هذه القضيّة.

١٣ ـ مذهبه النحوي:

الدارس لكتب أبي علي ومؤلفاته يجد أنها في الكثير الغالب تدور في فلك البصريين الذين يستحدثون القياس، ويفرضون قوانينهم الصارمة على الأساليب العربيّة، فقد حكى ابن جنّي عن أبي عليّ أنه كان يقول: «أخطىء في مائة مسألة لغوية، ولا أخطىء في واحدة قياسيّة»[٢].

ويسجل أبو حيان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» بصرية أبي علي، فيقول: «وأَما أبو عليّ فأشدُّ تفرّداً بالكتاب، وأشدّ إكباباً عليه، وأبعد من كل ما عداه مما هو على الكوفيين»[٣].

ويذكر ابن جني أن أبا علي حدّثه فقال: «وحدثني أيضاً أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين، قال: وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي، وقرأته على أصحابنا، فلم أجد من الصندوق الذي

---

(١) معجم الأدباء ٧/٢٤٣ ـ ٢٤٧.

(٢) معجم الأدباء ٧/٢٣٨.
(٣) الإمتاع والمؤانسة ١/١٣١.

احترق شيئاً البتّة إلا نصف كتاب «الطلاق» عن محمد بن الحسن»[1].
ومّما يجدر ذكره أن أبا عليّ كان يحسد أبا سعيد السيرافي لعلمه بكتاب سيبويه فقد ذكر أبو حيان التوحيدي أنه «متّقد بالغيظ على أبي سعيد، وبالحسد له، كيف تمّ له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» لأن هذا شيء ما تمّ للمبرّد، ولا للزجاج، ولا لابن درستويه مع سعة علمهم، وفيض كلامهم، ويستطرد أبو حيان فيقول: وحدثني أصحابنا أن أبا علي اشترى شرح أبي سعيد في الأهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين.. بألفي درهم، وهذا حديث مشهور»[2].

١٤ ـ أخلاقه:

أبو علي صاحب هذه المنزلة الرفيعة في حقل العلم والمعرفة من العجيب أن يصفه أبو حيان حينما يقارن بينه وبين أبي سعيد السيرافي في السلوك والأخلاق والتدين فيقول عن أبي علي ما نصه:

«وأبو علي يشرب ويتخالع، ويفارق هدْى أهل العلم، وطريقة الربانيين، وعادة المتنسكين».

وأبو سعيد يصوم الدهر، ولا يصلي إلا في جماعة، ويقيم على مذهب أبي حنيفة ويلي القضاء سنين، ويتأله[3]، ويتحرج.

١٥ ـ أبو علي والشعر:

تحدّث أبو علي عن تأليفه الشعر العربي، وبيّن أنه قصير الباع فيه.

وأنه كان يحسد هؤلاء الذين يملكون هذه الموهبة.

يقول ابن جني: «لم أسمع لأبي علي شعراً قط إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء، فجرى ذكر الشعر، فقال أبو علي: إني

---

(١) معجم الأدباء ٧/٢٥٦.

(٢) الإمتاع: ١/١٣١.

(٣) التأله: التعبد والتنسك.

لأغبطهم على قول هذا الشعر، فإن حضري لا يؤاتيني على قوله، مع تحقق للعلوم التي هي من موارده، فقال له ذلك الرجل: فما قلت قط شيئاً منه البتة؟ فقال: ما أعهد لي شعراً إلاّ ثلاثة أبيات قلتها في الشيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً ... وخضب الشيب أولى أن يعابا

ولم أخضِب مخافة هجر خلٍّ ... ولا عيباً خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً ... فصيّرت الخضاب له عقابا

فاستحسناها وكتبناها عنه»[1].

(١) معجم الأدباء ٧/ ٢٥١، ٢٥٢.

٢ ـ ابن خالويه
مؤلف الحجة في القراءات السبع

١ ـ نسبه: اسمه الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، وكنيته: عبد الله[(١)].

٢ ـ نشأته: ذكر ياقوت أنه نشأ في «همذان»، ثم وفد إلى بغداد بعد ذلك[(٢)].

وقد سجل الرّواة أنه في سنة ٣١٤ هـ دخل بغداد، ليتلقى عن شيوخها ويأخذ عن أعلامها.

هذا، ولم تتعرض كتب الرّواة لسنة مولده، وإن تعرّضت لسنة وفاته فقد أجمعت على أنه توفي بحلب سنة ٣٧٠ هـ.

٣ ـ شيوخه: من شيوخه:

أ ـ ابن مجاهد:

تلقى ابن خالويه على ابن مجاهد علوم القرآن الكريم والقراءات، وابن مجاهد كما ذكرنا سابقاً أنه أوّل من سبّع السبعة، وكان إليه المرجع في فن القراءات[(٣)].

ب ـ ابن دريد:

وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي. تلقى عليه ابن خالويه النحو والأدب.

---

(١) البغية ١/٥٢٩، ومعجم الأدباء ٩/٢٠٠.

(٢) انظر: البغية ١/٥١٩ وغاية النهاية ١/٢٣٧.

(٣) غاية النهاية ١/١٤٢.

ولما مات ابن دريد وأبو هاشم الجبّائي في يوم واحد، ودفنا في مقبرة الخيزران، قال الناس: «مات علم اللغة والكلام بموت ابن «دريد والجبائي»[1].

ج ـ ابن الأنباري:

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي، وكان أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة. وكان ابن الأنباري مهتماً بالدراسة القرآنية، فقد ذكروا أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم[2].

د ـ أبو عمر الزاهد:

هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم اللغوي الزاهد كان من أكابر أهل اللغة، أخذ عن ثعلب، وكان يعرف بغلام ثعلب[3].

هـ ـ أبو سعيد السّيرافي:

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السِّيرافي، كان من ألمع نجوم عصره، فسعى إليه ابن خالويه، وجلس في حلقته. وكان أبو سعيد ـ كما يقول الأستاذ أحمد أمين، زعيم المحافظين في عصره حيث يرى أن اللّغة مرجعها الرواية والنقل، لا القياس والعقل»[4].

٤ ـ رحلاته:

ذكر القفطيّ في «إنباه الرّواة» أنه دخل اليمن، ونزل ديارها وهي رواية اللّحجيّ اليمني في كتاب: «الأُتْرجّة» حين تعرّضه لابن الحائك اليمني وشعره، قال ما نصه: «ومن الشاهد على ذلك أن الحسين بن خالويه الإمام لما دخل اليمن، ونزل ديارها، وأقام بها شرح ديوان ابن الحائك، وعني به وذكر غريبه وإعرابه».

قال القفطيّ: «ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلاّ من كتاب

---

(١) نزهة الألباء: ١٧٤.
(٢) نزهة الألباء ١٧٥.
(٣) السابق: ١٧٩.
(٤) ظهر الإسلام ٢/٩١.

«الأترجّة»، وهو كتاب غريب قليل الوجود»[1]..

على أية حال، إن صحّت هذه الرواية فمن المؤكد أن رحلته هذه إلى اليمن كانت قبل رحلته إلى حلب حيث سكنها وعاش في كنف سيف الدولة بها، وهناك انتشر علمه».

ويزيد «الإنباه» أنه تصدَّر أيضاً بميافارقين وحمص للإفادة والتصنيف[2]. وأخيراً استقرّ به المقام في حلب حيث وافاه الأجل المحتوم في سنة سبعين وثلاثمائة.

٥ ـ حياته الاجتماعية:

يبدو أن ابن خالويه كان يعيش في ضيق من الرّزق، فقد كان يجري وراء المال ليستر عوزه، ويبعد فاقته، يدلّ على ذلك قوله لسيف الدولة حينما سأل جماعة في مجلسه: هل تعرفون اسماً مَمْدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا: لا، فقال ابن خالويه: أنا أعرف اسمين لا أقولهما، إلا بألف درهم لئلا يؤخذا بلا شُكْر».

ويدل على ذلك قَوله أيضاً:

الجود طبعي ولكن ليس لي مال ... فكيف يبذل من بالقرْض يحتال
فهاك حظي فخذه اليوم تذكرة ... إلى اتّساعي فلي في الغيب آمال[3]

٦ ـ معاصروه:

أ ـ أبو علي الفارسيّ، وقد قدمنا له ترجمة سابقة.

ب ـ المتنبيّ:

لم يكن أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفيّ شاعراً يملأ الدنيا بأشعاره، وتسمع كلماته من به صمم فحسب، بل كان لغوياً نحوياً متضلّعاً يدلّ على ذلك أنّ أبا الطيب اجتمع هو وأبو علي الفارسيّ، فقال له أبو

---

(١) الإنباه ١/٣٢٦.
(٢) البغية ١/٥٢٩.
(٣) البغية ١/ ٥٣٠.

علي «كم جاء من الجمع على وزن فِعْلى بكسر الفاء، فقال المتنبي: حِجْلى وظِرْبى جمع حجل وظربان، قال أبو علي: فسهرت تلك الليلة، ألتمس لهما ثالثاً فلم أجد»[1].

وحدثت في مجلس سيف الدولة قضايا بين المتنبي وبين ابن خالويه، حكى أنه لما أنشد المتنبي سيف الدولة قوله في مطلع بعض قصائده:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسِمُهْ

كان هناك ابن خالويه، فقال له: يا أبا الطيب، إنما يقال: شجاه توهمه فعلاً ماضياً، فقال أبو الطيّب: اسكت فما وصل الأمر إليك»[2]. وقال له ابن خالويه يوماً في مجلس سيف الدولة: «لولا أن أخي جاهل لما رضي أن يُدْعى بالمتنبي، لأن معنى المتنبي: كاذب، ومن رضي أن يُدْعى بالكذب فهو جاهل، فقال: لست أرضى أن أدعى بذلك، وإنما يدعوني به من يريد الغضّ منّي، ولست أقدر على المنع».

ج ـ ابن جني، وسنخصه بالترجمة فيما بعد إن شاء الله.

٧ ـ مكانته اللغوية والنحوية:

كانت لابن خالويه قدم راسخة في الدراسات اللغوية، فقد تتلمذ على ابن دريد كما ذكرنا.

وابن دريد له في اللغة كتاب: «الجمهرة»، وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم ورجالات الأدب منذ تأليفه، يدل على ذلك أن أبا علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها وكان قد أعطي بها ثلاثمائة مثقال فأبى، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها هذه الأبيات:

أَنِسْتُ بها عشرين عاماً وبعتُها وقد طال وَجْدِي بعدها وحنيني

---

(١) نزهة الألباء ٢٠١. (٢) السابق ٢٠١.

(٣) نزهة الألباء ٢٠٠.

أَنِسْتُ بها عشرين عاماً وبعتُها وقد طال وَجْدِي بعدها وحنيني
وما كان ظنّي أني سأبيعها ولو خلّدتني في السُّجون ديوني

ولكن لعجزٍ وافتقار وصبيةٍ صغارٍ عليهم تستهلّ شؤوني
فقلت ولم أملك سوى عَبْرتي مقالة مكويّ الفؤاد حزين

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أم مالك كرائمَ رَبٌّ بهن ضنين

قال: فأرسلها الذي اشتراها، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى»[1].

وابن خالويه كان راوية لهذه الجمهرة، وقد كتب عليها حواش من استدراكه على مواضع منها، ونبه على بعض أوهام وتصحيفات[2].

ومما يدلّ على اتساعه في حفظ اللّغة أنه ردّ على ابن دريد حينما قال في جمهرته: لم يجىء في الكلام فَعَل فعِلاً إلاّ حرْفان: حنَق حَنِقاً، وضَرَط ضَرطاً.

قال ابن خالويه: وحكى الفراء: حلَف حَلِفاً، وحبَق حَبِقاً وسَرق سرِقاً، ورضَع رضعاً»[3].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل كان ابن خالويه في النحو كاللغة، لأن آثاره في اللغة متعدّدة، وأمّا آثاره في النحو لا تكاد تذكر مما دعا ابن الأنباري أن يقول عنه: «ولم يكن في النحو بذاك»[4].

وفي رأيي أن ابن خالويه له آراء في النحو، واستيعاب لقضاياه وقد ظهر ذلك جلياً في المسائل النحوية التي عرضت سابقاً في ضوء كتابه الحجة.

وفي رأيي أن السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو هو أنه كان يؤمن بأن اللغة تؤخذ سماعاً لا قياساً، ولعله في ذلك متأثر بمنهج شيخه أبي سعيد السيرافي الذي كان يسير في هذا الاتجاه في القضايا النحوية واللغوية. والتأليف النحوي ـ كما جرت به عادة النحاة ـ يدور حول العلة والمعلول، والقياس والمنطق.

ومن أجل ذلك لم يؤلف كتباً متعدّدة في النحو أو في أصوله كما

(١) المزهر ١/٩٥.
(٢) المزهر ١/٩٥.
(٣) المزهر ٢/٧٥.
(٤) نزهة الألباء ٢٠٨.

فعل معاصره أبو علي الفارسيّ اللهم إلاّ كتاب «الجمل» في النحو، وكتاب: «إعراب ثلاثين سورة»، وكتاب المبتدأ في النحو، ولكنه مع هذا كان معلماً نحوياً ولغوياً، وقد سجل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا: «كان إماماً أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب، وكان إليه الرحلة من الآفاق، وكان آل حمدان يكرمونه»[1].

٨ ـ عقيدته:

يذكر سالم الكرنوكيّ وهو مستشرق حقق كتاب: «إعراب ثلاثين سورة» أن ابن خالويه كان إمامياً عالماً بالمذهب في رواية ابن أبي طيٍّ على حين يرى الذهبي في تاريخه أنه كان صاحب سنة، وابن حجر يؤيد تشيعه، ويقول: كان صاحب سنة في الظاهر فقط ليتقرّب إلى سيف الدولة الحمداني.

وفي رأي سالم الكرنوكي أنه إماميّ لأنه ألف كتاب: «الإمامة» ومن هذا الكتاب، تظهر روح تشيعه واضحة جليّة، ذلك لأنه ذكر في كتابه أشياء لا يقولها أهل السنة.[2]

وفي رأيي أن تأليفه كتاب «الإمامة» لا يجعله إمامياً، وليس عَرْضه لمذهب الإماميّة يسلكه في نظمهم كما ادعى المستشرق الكرنوكي فالرجل مولع بثقافة عصره، وبالتأليف في مجالاته المختلفة، ومن ثمّ ألف كتابه هذا وعرض فيه فكر الإمامية ليدل على أنه ملمٌّ بأحداث عصره، وبتاريخ مجتمعه.

ولا أدل على سنيّته أَنه تعبّد على مذهب الشافعيّ، وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية.

٩ ـ مؤلفاته:

السيوطي في «البغية» ينصّ على أن من تصانيفه:

الجمل في النحو.

---

(١) إنباه الرواة ٣٢٦/١.

(٢) انظر: مقدمة إعراب ثلاثين سورة.

الاشتقاق.

إعراب ثلاثين سورة.

شرح الدريدية.

المقصور والممدود.

الألفات.

المذكر والمؤنث.

كتاب ليس.

كتاب اشتقاق خالويه.

البديع في القراءات[1].

ويزيد كتاب «الإنباه» على البغية ما يلي:

كتاب الأسد.

تقفية ما اختلف لفظه، واتفق معناه لليزيدي.

المبتدأ في النحو.

تذكرته وهو مجموع، ذكر القفطي أنه ملكه بخطه[2].

ومعجم الأدباء يزيد على ما ذكر:

كتاب الآل.

وغاية النهاية يزيد ما يلي:

حواشي البديع في القراءات.

كتاب مجدول من القراءات ألفه لعضد الدولة.

ومن قراءتي في حقل دراستي لابن خالويه أزيد على هؤلاء الرواة ما يلي:

كتاب «الريح» يتكون من ثلاث ورقات مخطوطة رقم ٥٢٥ دار الكتب.

كتاب أسماء الله الحسنى، فقد نصّ في كتابه: «إعراب ثلاثين سورة أن له كتاباً في أسماء الله الحسنى، وقد قال في ذلك ما نصه:

---

(١) البغية ١/ ٢٣٠.

(٢) الإنباه ١/ ٣٢٥.

«وقد صنفتها في كتاب مفرد، واشتقاق كل اسم منها ومعناه»[1].

رسالة في قوله: «ربنا لك الحمد، ملء السموات» إلخ.

وقد أشار إلى هذه الرسالة الشيخ محيي الدين يحيى النووي في كتابه: «تصحيح التنبيه في الفقه» على مذهب الإمام الشافعيّ للشيخ أبي إسحاق الشيرازي. وقال ما نصه: قوله: «ربنا لك الحمد ملء السموات»، يجوز مِلْء بالنصب والرفع، والنصب أشهر، وممن حكاها ابن خالويه، وصنف في المسألة.

شرح ديوان ابن الحائك حيث عني بغريبه وإعرابه.

كتاب مختصر في شواذ القراءات من كتاب: «البديع» عني بنشره المستشرق ج برجستراسر، وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤.

كتاب الشجر: ينفي نسبة الكتاب إليه المستشرق برجستراسر فيقول ليس مصنفه بل الحقيقة هو مصنف اللغوي أبي زيد صاحب كتاب: «النوادر في اللغة».

العشرات في اللغات أي اللغات التي لها عشر معان، وهو مخطوط بمكتبة، جيد موقر بطهران، ونسخ سنة ٧٦٠ هـ.

كتاب الهاذور الذي ردّ فيه على أبي علي الفارسيّ حينما ألّف كتاب «الإغفال» ليرد على شيخه أبي إسحاق الزجاج[2].

شرح ديوان أبي فراس الحمداني.

وليس لابن خالويه عمل في هذا الديوان غير روايته، وبيان المناسبات المختلفة للقصائد التي احتواها الديوان.

---

(١) إعراب ثلاثين سورة: ١٤.

(٢) التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي ٥.

(٣) خزانة الأدب ١/٣٥٢.

هذا وقد قام الدكتور سامي الدهّان بنشر الديوان وتحقيقه في جزأين ١٩٤٤، وطبع في بيروت.

كتاب: «شرح فصيح ثعلب» نقل عنه السيوطي في «المزهر».

والناظر إلى هذا التراث الضخم الذي ألفه ابن خالويه يجد أنه تراث يشهد بقدرته اللغوية والنحوية، ومكانته السامية في عصره وما بعد عصره إلى يومنا هذا. وأشهر كتبه: كتاب الحجة في القراء «السبع»[1] وقد قمت بدراسة واسعة في مجاله، ولا أستطيع أن أكرر هنا ما ذكرته هناك في مقدمة التحقيق واكتفيت هنا فقط برسم الخطوط العريضة لشخصية ابن خالويه ليستطيع القارىء لهذا الكتاب أن يضع يده على هذه الخطوط، ولا يكلّف نفسه مشقة الرجوع إلى مقدمة التحقيق في الحجة، أو المصادر الأخرى المتعددة التي تعرضت لترجمته.

(١) طبع بتحقيقي أربع طبعات نشر دار الشروق بيروت، والطبعة الخامسة طبعت بمؤسسة الرسالة سنة ١٩٩٠ م.

٣ ـ ابن جني
مؤلف المحتسب في القراءات الشاذة

١ ـ نسبه: هو عثمان بن جنّي بسكون الياء معرب: «كنّي»[١].

ويذكر الأستاذ محمد علي النجار محقق الخصائص معنى جنّي، فينقل لنا نصاً في مقدمة التحقيق عن معنى هذا الاسم من كتاب: «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء، والكنى والألقاب» وهو مخطوط في دار الكتب في فن المصطلح. والنّصّ هو:

«وجنيّ علم روميّ، ويذكرون أنه معرّب: «كنيّ»، ويقول ابن مأكولا: في كتابه في «المؤتلف والمختلف: وحكى لي إسماعيل بن المؤمل أن أبا الفتح كان يذكر أن أباه كان فاضلاً بالرومية، وظاهر أن ابن جني يريد تفسير اسم أبيه «جني» الروميّ، وأن معناه في العربية: فاضل. وجني تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة للفظ اليونانيّ: Gennaius ومعناها: كريم نبيل، جيد التفكير، عبقري ـ مخلص، ومن هذا يبدو تفسير ابن جني لاسم أبيه.

«وجني» بكسر الجيم وكسّر النون مشدّدة، وسكون الياء فلا تشدّد الياء كياء النّسب، إذ ليست بها.

وإعراب «جنيّ» على الحكاية لحالها في العجمية، فلا تعامل في الإعراب معاملة الكلمات المعربة، وذلك أنها لو ذُهب بها هذا المذهب فعوملت معاملة المنقوض لقيل: ابن جنّ، فتضيع صورة العَلم، ويلتبس الأمر بالجنّ، فمن ثمَّ أبقيت كما هي حفاظاً على صورتها»[٢].

٢ ـ ولادته:

في البغية: «مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة»[٣]. ويحاول الأستاذ محمد

---

(١) بغية الوعاة ٢/ ١٣٢.

(٢) انظر مقدمة تحقيق الخصائص: ٨.

(٣) البغية ٢/ ١٣٢.

على النجار أن يحدّد مولده على جهة التقريب فيقول: يذكر أبو الفداء في المختصر أن وفاته سنة ٣٠٢، ويقول ابن قاضي شُهبة في طبقات النحاة أنه توفي وهو في سن السّبعين، فإذا أخذ بهذا، وروعي أن وفاته كانت في سنة ٣٩٢، فإن ولادته تكون في سنة ٣٢٢، أو سنة ٣٢١ هـ.

وأما مكان ولادته فهو الموصل(١).

٣ ـ من صفاته:

«من صفاته الجسميّة «أنه ابتلي بفقد إحدى عينيه، ولذلك يقول صاحب «مسالك الأبصار»: نقلاً عن مقدمة الخصائص «وناهيك به من أعور عينه نضاخة، وأرضه مما تنبت سوّاخة»(٢).

ويقول ياقوت في معجمه: «وكان أبو الفتح بن جنّي مُمَتَّعاً بإحدى عينيه» ولذلك يقول في صديق له:

صدودك عنّي ولا ذنب لي	دليل على نيّة فاسدهْ
فقد ـ وحياتك ـ مما بكيتُ	خشيت على عيني الواحدهْ
ولولا مخافة ألا أراك	لما كان في تركها فائدة(٣)

أما سبب هذا العور، ومتى حدث، فإن المصادر لا توقفنا على تاريخ عوره.

فهل أصيب به في حداثته أو أصابه وقد علته كبرة(٤)؟

ومن صفاته التي ترتبط بالسّلوك والعادة أنه «كانت له عادة في حديثه بأن يميل بشفته، ويشير بيده».

ويبين لنا ياقوت في معجمه قصة طريفة وقعت بين ابن جني وبين

---

(١) مقدمة الخصائص: ٩.

(٢) في القاموس: صارت الأرض سواخاً أي كثر بها رزاغ المطر أي وحله. وانظر مقدمة الخصائص: ١٢.

(٣) معجم الألباء ١٢/ ٩٠.

(٤) انظر مقدمة الخصائص.

أبي الحسين القُمّي حول هذه العادة التي ارتبطت بابن جني أثناء حديثه، فيقول ياقوت بعد أن ذكر هذه العادة في المجلس الذي جمع بينه وبين القمّي: إن القمّي لما رآه على هذه الحالة بقي شاخِصاً ببصره، يتعجّب منه، فقال له ابن جني: ما بك يا أبا الحسين تُحدِّق إليّ النظر، وتُكثِر مني العجب، قال: شيء ظريف. قال: ما هو؟ قال: شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدّث ويقول: ببوزه[1] كذا، وبيده كذا بقِرْدٍ رأيته اليوم عند صعودي إلى دار المملكة وهو على شاطىء دجلة يفعل مثل ما يفعل مولاي الشيخ، فامتعض أبو الفتح، وقال ما هذا القول يا أبا الحسين ـ أعزّك الله ـ ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي، أو أمجن فتمجن بي.

فلما رآه أبو الحسين قد حرد[2]، واستشاط وغضب قال: المعذرة أيها الشيخ، وإلى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد، وإنما شبهت القرد بك، فضحك أبو الفتح، وقال: ما أحسن ما اعتذرت، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع، فكان يتحدّث بها هو دائماً»[3].

ويفسّر الأستاذ محمد علي النجّار سرّ هذه العادة التي تحكمت في ابن جني عند حديثه فيقول: «إن مردّ هذه العادة عند ابن جني ـ إذا صح إسنادها إليه ـ ما في خلقه وسجيته من توكيد المعنى في نفس السّامع وتسديده وهذا أمر ساد في كتبه، فهو يميل دائماً إلى الإطناب والتكرار، والتوسل إلى الإقناع بكل ما في وسعه، ولا ريب أن الإشارة باليد أو الفم من هذه الوسائل النافعة، وكذلك سائر أحوال المتكلم من طلاقة وجه أو انقباضه، وما جرى هذا المجرى، كل ذلك يوضح المعنى، ويبين عنه. .

وقد يجوز أن ابن جني كان في لسانه لكنة لمكانه من العجمة من

---

(١) في هامش معجم الأدباء: البوز: الفم، وقيل: للخنزير خاصة، ولم أجدها في القاموس أو اللسان بهذا المعنى الذي ذكر في هامش المعجم وفي لهجة مصر العامة بالصعيد تعني الفم أيضاً.

(٢) حرد: غضب وثار.

(٣) معجم الأدباء ١٢/٨٤، ٨٥.

جهة أبيه فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة»[1].

من صفاته النفسيّة العزة والكرامة:

ابن جني ليس عربيّ الأصل، وقد يكون هذا موضع نقص في شخصه وهو رجل طبع على العزّة، فأراد أن يبعد هذا النقص عنه بهذه الأبيات التي افتخر فيها بآبائه وأجداده، قال:

فإن أصْبح بلا نسبٍ ... فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤول إلى ... قروم[2] سادة نُجب
قياصرة إذا نطقوا ... أرمّ[3] الدهر في الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاءُ نبي[4]

ومن صفاته الخُلُقية:

أنه كان «رجل جدّ، وامرأ صِدْق في قوله وفعله، فلم يؤثر عنه ما أثر عن أمثاله من رجال الأدب في عصره من اللهو، والشرب والمجون، وما جرى في هذا المذهب.

وكان عفّ اللسان والقلم، يتجنب الألفاظ المُندية للجبين..

وقد يكون مردّ هذا إلى أنه اشتغل بالتعليم والتدريس... وانظر إلى قوله: لأبي الحسين في الحديث السابق: «ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي، أو أمجن فتمجن بي»[5].

٤ ـ أسرته: لا شك أن أخلاق ابن جني التي ذكرتها آنفاً كانت سبباً مباشراً في الاهتمام بأسرته، وتنشئة أبنائه تنشئة طيبة طاهرة.

---

(١) انظر مقدمة الخصائص ١٣، ١٤.
(٢) القرْم: السيّد: وجمعه: قروم.
(٣) أرمّ الدهر: سكت، كناية عن علو شأنهم.
(٤) علق في هامش معجم الأدباء أن المراد بدعوة النبي لهم أنه دعاهم إلى الإسلام وإنما يدعو من يراه أهلاً للدخول في دينه، وهذا شرف كبير.
(٥) انظر مقدمة التحقيق.

يذكر ياقوت أنه كان لابن جني من الولد: عليّ وعالٍ، وعلاء وتسمية أولاده بالمشتقات من العلوّ يدل على تأكيد ما قدمته سابقاً من اعتزازه بنفسه، والاعتداد بكرامته، والإحساس بتميّزه كما يذكر ياقوت أن أولاده: «كلهم أدباء فضلاء، قد خرّجهم والدهم وحسّن خطوطهم، فهم معدودون في الصحّيحي الضبط، وحسني الخط»[1].

٥ ـ شيوخه:

ابن جني رحل إلى طلب العلم وانتقل من مكان إلى مكان ليشفي غليله ويثقف نفسه، ويروي ظمأه من معين العلم، ونبع المعرفة.

وقد عبَر عن ذلك بقوله:

وإن أركْب مطا سفرٍ مُجدَّ الورْدِ والقَرَبِ[2]
فإنّي مُخْلِدٌ خَلَفَاً يضاهي الشمس مِن كثب
إذا لم يبق لي عَقِبٌ أقامت خَيْرَ ما عَقِب[3]

ولا أدلّ على كثرة شيوخه الذين رحل إليهم وأخذ عنهم مما ذكره في إجازته التي سأسرد طرفاً منها فيما بعد حيث يقول: لمن أجازه رواية كتبه: «وما صحّ عنده ـ أيّده الله ـ من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي رحمهم الله، وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام، وغير هذه البلاد التي أتيتها، وأقمت بها مباركاً له فيه منفوعاً به بإذن الله»[4].

ومن أبرز شيوخه الذين أسهموا في بناء شخصيته إسهاماً كبيراً أبو عليّ الفارسيّ الذي ترجمت له سابقاً.

وصحبته لأبي علي الفارسيّ امتدت أربعين سنة، «وكان السبب في صحبته له: أن أبا عليّ اجتاز بالموْصِل، فمرّ بالجامع، وأبو الفتح في حلقة يُقرىء النحو، وهو شابٌ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف، فقصّر

---

(١) معجم الأدباء ١٢/٩١.
(٢) القَرَب: طلب الماء ليلاً.
(٣) السابق: ٩٩.
(٤) السابق: ١١١.

فيها فقال له أبو علي: «زُبِّبْتَ[1] وأنت حِصْرِم»، فسأل عنه، فقيل له: هذا أبو عليّ الفارسي، فلزمه من يومئذ، واعتنى بالتصريف، فما أحدٌ أعلم منه به، ولا أقوم بأصوله وفروعه»[2].

٦ ـ تلاميذه:

يبدو أن لابن جني تلاميذ كثيرين فقد زاول مهنة التعليم منذ أن كان شاباً كما ذكرنا في قصّته مع أبي علي حينما مر بالجامع فوجد ابن جني يقرىء النحو.

وقد كان اتصاله بأبي علي طويلاً فقد بلغ مداه أربعين سنة استوعب في هذه المدّة الطويلة علم أستاذه مما أهله بعد أن يجلس في حلقة أبي علي ليقوم مقامه بعد أن لحق بربه، وناهيك برجل يجلس مكان أبي علي ليتصدّر التعليم والتدريس.

يقول ياقوت: «فلما مات أبو علي تَصَدَّر أبو الفتح في مجلسه ببغداد فأخذ عنه الثمانيني، وعبد السلام البصري، وأبو الحسن السمّسميّ»[3].

٧ ـ حياته الاجتماعية:

لم يكن ابن جني مغلقاً على نفسه باب بيته بعيداً عن حياة الناس، معتكفاً على العلم وحده بل كان رجل واجبات، يشارك الناس في أفراحهم ويمشي إليهم في المناسبات التي تفرضها تقاليد المجتمع الذي يعيش فيه والدليل على ذلك أنه كما يقول ياقوت اشترك في حفلة زواج وكان خطيبها اللامع، وسجل له ياقوت هذه الخطبة التي كانت من إنشائه.

وفي نهاية الخطبة وردت هذه العبارات التي تنمّ عن مكانة الزوج وزوجته فيقول: «وإن مما أفرط الله تعالى به سابق حُكمه، وأجرى بكونه

---

(١) أي صرت زبيباً قبل أن تكون حصرم، والحصرم: العنب قبل نضجه (هامش المعجم).

(٢) معجم الأدباء ٩١/١٢.

(٣) السابق: ٩١.

قلم علمه ليضُمّ بوقوعه متباين الشّمل، ويزمَّ به شارد الفرع إلى الأصل أنّ فلاناً بن فلان، وهو كما يعلم من حضر من ذِوى السِّتْرِ، وصِدْق المختبر، مسجوح الخليقة، مأمون الطريقة، متمسِّك بعصام الديّن، آخذ بسُنّة المسلمين، خطب للأمر المحموم، والقدر المحتوم.

من فلان بن فلانٍ الظاهر العدالة والإنصاف، أهل البرّ، وحسن الكفالة والكفاف، عقيلته فلانة بنت فلان خيرة نسائها، وصفوة آبائها في زكاء منْصِبها، وطيب مُرَكَّبِها، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا، فليشهد على ذلك أهل مجلسنا، وكفى بالله شهيداً، ثم يُقرّهما ثم يقال: لاءم الله على التقوى كلمتيكما، وأدام بالحسنى بينكما، وخار لكما فيما قضى، ولا ابتزّكما صالح ماكسا، وهو حسبنا وكفى»[١].

٨ ـ إشادة العلماء بقدره الأدبي، ومكانته العلمية:

قال الباخَرْزِيّ يشيد به في «دُمية القصر» ما نصه:

ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له، فقد وقع عليها من عثرات الأعراب، ولا سيما في علم الإعراب. ومن تأمّل مصنفاته وقف على بعض صفاته»[٢].

وأشاد به المتنبيّ معاصره الذي كان يلتقي به في حلبٍ ويناظره في شيء من النحو.

وطبيعة الأنفة والاعتزاز بالنفس ما كانت تفارق ابن جني حتى في شعر المتنبي الذي هز به دنيا عصره. قال ياقوت: «كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً، ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفة وإكباراً لنفسه».

أما شهادة المتنبي، وتقديره لابن جني فقد تمثلت في هذه العبارة: وهي: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس»[٣].

---

(١) معجم الأدباء ١٢/٩٥، ٩٦.

(٢) معجم الأدباء ٢/٨٥.

(٣) السابق: ٨٦.

ولما سئل أبو الطيب المتنبي بشيراز عن قوله:

وكان ابنا عَدُوٍّ كاثراه ... له يَائَيْ حُروفِ أُنَيْسِيانِ

فقال: لو صديقنا أبو الفتح ابن جني حاضراً فسّره.

قال ياقوت: قلت: وتفسيره أن لفظة إنسان خمسة أحرف إذا كانت مكبرّة فإذا صُغر قيل: أُنيسان، فزاد عدد حروفه، وصغر معناه، فيقول للمدوح: إن عدوّك الذي له ابنان فيكاثرك بهما كانا زائدين في عدده ناقصين من فضله وفخره، لأنهما ساقطان خسيسان كيائي أنيسيان يزيدان في عدد الحروف، وتنقصان من معناه»[1].

٩ ـ ابن جني والشعر:

من عبقرية هذا الرجل أنه لم يعش في رحاب اللغة والنحو فقط بل كان له إسهام كبير في الأدب والشعر، ولعل خطبته في النكاح التي اقتبسنا طرفاً منها تدل على أنه في نثره صاحب عبارة رائعة، وألفاظ متناسقة، ومعانٍ مبتكرة.

وأمّا عبقريته في الشعر فقد أورد له ياقوت من كتابه، «سرّ السّرور» الأبيات التالية:

رأيت محاسن ضِحْك الرّبيعِ ... أطالَ عَليها بُكاءَ السّحابْ

وقد ضَحِك الشّيب في لمّتي ... فَلِمْ لا أُبكّيّ ربيع الشبابْ؟

أأشرب في الكأس كَلاّ وحاشا ... لأُبْصرَهُ في صَفاء الشرابْ

وأنشد له أيضاً:

تَحَبَّبْ أو تَدرّعْ أو تَأبّ ... فلا والله لا أزداد حُبّا

أخَذْتَ ببعض حُبِّك كل قلبي ... فإن رمت المزيد فهات قلبا[2]

وابنه عالي يعترف بهذه الموهبة الشعرية لأبيه فقد قال: أنشدنا أبي لنفسه:

---

(١) معجم الأدباء ١٢/١٠٢ . (٢) السابق: ٩٢، ٩٣.

وحُــلْــوِ شـــمــــائـــل الأدبِ   مُـنِـيـفُ مـراتـبِ الـحَـسـبِ

وهي قصيدة طويلة شغلت ست صفحات من معجم الأدباء(١).

١٠ ـ ابن جني والأعراب:

وابن جنى يعرف أن الأعراب صفت ألسنتهم من الدخيل، وجلّ بيانهم عن التحريف، فكان يستأنس بهم، ويجالسهم، ويستمع إليهم، للإفادة منهم في حقول أبحاثه النّحوية واللغوية.

وأحياناً نراه يختبر الأعرابي ليرى هل هو باق على الفطرة، وسلامة العبارة، وفصاحة اللغة أو تَسرَّب إلى لسانه تحريف الحواضر، وتخليط أهل المدن في اللغة؟

يسوق ابن جني خبراً عن هذا الاختبار للأعراب فيقول: «فحضرني قديماً بالموصل أعرابيّ عقيليّ جوْني تميمي يقال له: محمد بن العسّاف الشجري، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه، فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته، والتذاذاً بمطاولته، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه، واقتداح زَند فطنته: كيف تقول: أكرم أخوك أباك. فقال: كذاك، فقلت له: أفتقول: أكرم أخوك أبوك، فقال: لا أقول: «أبوك» أبداً، فقلت: فكيف تقول: أكرمني أبوك؟، فقال: كذاك، قلت: ألست تزعم أنك لا تقول «أبوك» أبداً فقال: «إيش» هذا، اختلفت جهتا الكلام».

وعلق ابن جني على كلام الأعرابي بقوله: فهل قوله: اختلفت جهتا الكلام إلاّ كقولنا نحن: هو الآن فاعل، وكان في الأول مفعولاً؟ فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم، وإن لم تقطع به عبارتهم»(٢).

وفي قصة أخرى يقول ابن جني: «وسألت الشجري صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره، قلت له: كيف يا أبا عبد الله تقول: اليوم كان زيد قائماً فقال: كذلك، فقلت: فكيف تقول: اليوم إن زيداً قائم فأباها البتة، وذلك أن ما بعد إنَ لا يعمل فيما قبلها، لأنها إنما تأتي أبداً

---

(١) انظر معجم الأدباء ٩٦/١٢ وما بعدها.

(٢) معجم الأدباء ١٠٥/١٢.

مستقبلة قاطعة لما قبلها عمّا بعدها، وما بعدها عمّا قبلها.

وفي قصة ثالثة مع هذا الأعرابيّ قال ابن جني: قلت له يوماً ولابن عمّ له: يقال له: غصن» وكان أصغر منه سناً وألين لساناً: كيف تَحْقران «حمراء» فقالا: «حُمَيراء»، قلت: «فصفراء» قالا: صُفيراء، قلت: «فسوداء» قالا: سُويداء، واستمررت بهما في نحو هذا، فلما استويا عليه دسست بين ذلك «عِلْباء»[1]، فقلت: «فعلباء» فأسرع ابن عمّه على طريقته فقال: عُليبَاء، وكاد الشجري يقولها معه، فلما همّ بفتح الباء استرجع مستنكراً فقال: «إه عُلَيْبِي» وأشمّ الفتحة دائمة للحركة في الوقف وتلك عادة[2].

١٢ ـ مؤلفاته:

سرد ابن جني معظم مؤلفاته في إجازته للشيخ أبي عبد الله الحسين بن حميد بن نصر.

قال ياقوت: كتب ابن جني إجازة بما صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم: قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر ـ أدام الله عزه ـ أن يروي عنّي مصنفاتي وكتبي ممّا صحّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصريّ ـ أيّد الله عزه ـ عنده منها:

كتابي الموسوم بالخصائص، وحجمه ألف ورقة.

وكتابي التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السّكري ـ رحمه الله ـ وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك.

وكتابي في «سر الصناعة» وهو ستمائة ورقة.

وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقيّة المازني وحجمه خمسمائة ورقة.

---

(١) العلباء: عصب عنق البعير.

(٢) السابق: ١٠٦، ١٠٧.

وكتابي في شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها ومقداره خمسمائة ورقة.

وكتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السّكيت وحجمه أربعمائة ورقة.

وكتابي في تعاقب العربيّة - وأَطْرِفْ به - وحجمه مائتا ورقة.

وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير، وهو في ألف ورقة ونيفّ.

وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائتا ورقة وخمسون ورقة.

وكتابي: اللمع في العربية، وكان لطيفاً.

وكذلك كتابي مختصر التصريف على إجماعه.

وكتابي مختصر العروض والقوافي.

وكتاب الألفاظ المهموزة.

وكتابي في اسم المفعول المعتلّ العين من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المقتضب.

وما بدأت بعمله من كتاب تفسير المذكّر والمؤنث ليعقوب أيضاً - أعان الله على إتمامه.

وكتاب ما خرج عنّي من تأييد المذكَّرة عن الشيخ أبي علي - أدام الله عزّه.

وكتابي في المحاسن في العربيّة، وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذّ عنها، ومقداره ستمائة ورقة.

وكتابي النوادر الممتعة في العربية، وحجمه ألف ورقة، وقد شذّ أيضاً أصله عنّي فإن وقعا كلاهما أو شيء منهما فهو لاحق بما أجزت روايته هنا.

وكتاب ما أحضرَنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو -

أدام الله عزه ـ ذلك عني أجمع، إذ أصبح عنده، وأنِس بتثقيفه وتسديده، وما صح عنده ـ أيده الله ـ من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي ـ رحمهم الله ـ وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركاً له فيه، منفوعاً به بإذن الله.

وكتب عثمان بن جني بيده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة»[1].

والناظر إلى هذه المؤلفات التي ضمتها هذه الإجازة يرى أنها لم تشمل كل مؤلفاته أو تحصر كل إنتاجه العلميّ.

فمن كتبه التي لم تتضمنها هذه الإجازة:

كتاب تفسير أرجوزة أبي نواس.

وكتاب تفسير العلويّات، وهي أربع قصائد للشريف الرضي، كل واحدة في مجلد.

وكتاب البشرى والظفر، صنعه لعضد الدولة ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت من شعر عضد الدولة.

وكتاب رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدّات كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري، مقدارها ست عشرة ورقة بخط ولده عالى:

كتاب المذكر والمؤنث.

كتاب المنتصف.

كتاب مقدّمات أبواب التصريف.

كتاب النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته.

كتاب المُغْرِب في شرح القوافي.

---

(١) معجم الأدباء ١٢/١٠٩ ـ ١١١.

كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام.

كتاب الوقف والابتداء.

كتاب الفِرَق.

كتاب المعاني المجرّدة.

كتاب الفائق.

كتاب الخطيب.

كتاب الأراجيز.

كتاب ذي القدّ في النحو.

كتاب شرح الفصيح.

كتاب شرح الكافي في القوافي.

ومن أهم المؤلفات التي لم ترد في الإجازة المؤلّف المشهور وهو «المحتسب في علل شواذ القراءات»، وهو الكتاب الذي قدمنا صوراً من منهجه فيما مضى.

ويبدو أن الكتاب لم يكن كاملاً عند ابن جني أو لم يفرغ من تمامه حينما أجاز أبا عبد الله بن الحسين في رواية مصنفاته.

والدليل على ذلك قوله:

«أخبرني بعض من يعتاد في القراءة عليّ والأخذ قال:

رأيتك في منامي جالساً في مجلس لك على حال كذا، وبصورة كذا، وذكر من الجِلْسة والشّارة جميلاً، وإذا رجل له رُواء ومنظر، وظاهر نُبل وقدر، قد أتاك فحين رأيته أعْظَمْتَ مورده، وأسرعت القيام له، فجلس في مجلسك، وقال لك: اجلس، فجلست، فقال: كذا «شيئاً ذكره»، ثم قال لك أتمم كتاب الشواذّ الذي عملته، فإنه كتاب يصل إلينا، ثم نهض، فلما ولّى سألت بعض من كان معه عنه فقال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ذكر هذا الرائي لهذه الرؤيا لي، وقد بقيت من نواحي هذا الكتاب أُميكنة تحتاج إلى معاودة نظر، وأنا على الفراغ منها»[1].

١٣ ـ مذهبه النحويّ:

ابن جني جرى على نهج شيخه أبي علي في الارتشاف من معين مدرسة البصرة فهو بصريّ المذهب، يدافع عنه، ويبذل كل ما في وسعه لتصحيحه.

وقد استدل محقق الخصائص في مقدّمته على بصريته بأدلة، منها:

قوله في حرف الكاف من سرّ الصناعة: «فإذا قلت أنت كزيد، وجعلت الكاف اسماً فلا ضمير فيها كما أنك إذا قلت: أنت مثل زيد فلا ضمير في «مثل» كما لا ضمير في الأخ ولا الابن إذا قلت: أنت أخو زيد، وأنت ابن زيد هذا قول أصحابنا...».

ومن الجليّ إنه يريد بقوله: «أصحابنا» البصريين. وعدد محقق الخصائص أمثلة مختلفة من كتبه تثبت بصريته.

ولعلي بعد هذا الذي قدمت قد ألقيت بعض الضوء على شخصية ابن جني ومكانتها في الدراسة النحوية واللغوية.

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٢/١١٣، ١١٤.

٤ ـ مكي بن أبي طالب
مؤلف كتاب: الكشف عن وجوه القراءات

١ ـ نسبه:

مكيّ بن أبي طالب حموّش بن محمد بن مختار القيسيّ المقرىء، يكنى أبا محمّد؛ وأصله من القيروان، وسكن قرطبة[١].

٢ ـ تاريخ ولادته:

ولد لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل بالقيروان[٢].

٣ ـ رحلاته:

رحل إلى مصر سنة سبع وستين وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

ورجع إلى القيروان سنة تسع وسبعين أي بعد اثني عشر عاماً قضاها بمصر.

وعاد بعد ذلك إلى مصر سنة اثنتين وثمانين ثم رجع إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين إلى سنة سبع وثمانين.

ثم خرج إلى مكة سنة سبع وثمانين، وأقام بها إلى آخر سنة تسعين فحج أربع حجج متوالية.

ثم رجع من مكة فوصل إلى مصر سنة إحدى وتسعين.

ثم عاد إلى بلده القيْروان سنة اثنتين وتسعين.

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة رحل إلى الأندلس فدخل قرطبة

---

(١) إنباه الرواة ٣/٣١٣.

(٢) السابق.

في رجب من السّنة في أيام المظفر ابن أبي زيد، وبقي في قرطبة إلى أن تُوفي يوم السبت لليلتين خلتا من المحرّم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وقد أناف على الثمانين، وصلى عليه ولده أبو طالب محمد، ودفن ضحوة يوم الأحد بالرَّبَض[1]. وفي هامش «معرفة القراء الكبار» أنه «رزىء به أهل قرطبة بأعظم رزيّة، وحف بسريره أمة منهم شباب ومشيخة، فعظم مشهده، وبكوه ورثوه»[2].

٣ ـ ثقافته وشيوخه:

بقي بعد ولادته بمدينة القيروان إلى أن بلغ ثلاث عشرة سنة من عمره ولا شك أنه في هذه المدّة تعلم القراءة والكتابة، وشيئاً من العلوم الأولية، وقدراً من القرآن الكريم.

ولما بلغ ثلاثة عشر عاماً أراد أن يتزوّد من العلم فرحل إلى مصر، وتتلمذ على ابن غَلْبَون المقرىء وغيره من المؤدبين والعلماء[3].

وفي القيروان بعد رجوعه من مصر استظهر القراءات وغيرها من الآداب.

ويبدو أن إقامته في مصر لم تمكنه من استيعاب القراءات القرآنية، لذلك سرعان ما عاد إليها، ليتلقى ما بقي عليه من القراءات سنة اثنتين وثمانين وعاد بعد ذلك إلى القيروان مسقط رأسه، وقد تمّ ما أراد من معرفة كثير من العلوم في مصر، ومع ذلك لم يكتف بهذا بل أخذ عن علماء القيروان ما أخذ من العلوم والمعارف ومن أشهر من أخذ عنهم في القيروان: محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وغيرهما.

وقد أتاح الله له أن يحج أربع مرّات حيث أقام بمكة إلى آخر سنة تسعين «فسمع بمكة من أكابر علمائها».

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٩/١٦٧ وما بعدها.

(٢) هامش معرفة القراء الكبار ١/٣١٦.

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٦٨.

وظل مكيّ ينتقل إلى مراكز العلم في مصر ـ ومكة، والقيروان إلى أن استقر به المقام في مدينة قرطبة.

ولا شك أنه بعد هذه الرحلات المتعدّدة والسماع من العلماء في كل بلد يزوره، والتلقي عن الأساتذة الكبار في مصر ومكة لا شك أنه بعد ذلك، وبعد هذا التمكن من العلم عليه أن يعطي كما أخذ، وأن ينشر العلم الذي تعلّمه، فعقدت له حلقة في المسجد الجامع بقرطبة، «للإقراء ونشر علمه، فعلا ذكره ورحل إليه». ولمكانته «قلده» الحسن بن جوهر الصّلاة والخطبة بالمسجد الجامع، فأقام على ذلك إلى أن مات[1].

تلاميذه:

يذكر شمس الدين الذهبيّ أنه قرأ عليه جماعة كثيرة، فممّن قرأ عليه محمد بن أحمد بن مطرف الكناني[2].

ويذكر ياقوت أنه روى عنه جماعة من الأئمة كأبي عبدالله بن عَتّاب وأبي الوليد الباجيّ وغيرهما[3].

٤ ـ الإشادة بفضله وعلمه:

وصفه ياقوت فقال: كان إماماً عالماً بوجوه القراءات، متبحّراً في علوم القرآن والعربيّة، فقيهاً أديباً متفنناً، غلبت عليه علوم القرآن فكان من الراسخين فيها»[4].

٥ ـ أخلاقه وصفاته:

وصف القفطي أخلاقه بقوله: «وكان خيّراً متواضعاً متديّناً مشهوراً بالصلاح وإجابة الدعوة.

من ذلك ما حكاه عنه أبو عبد الله الطرفيّ المقرىء قال: كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدّة، وكان له على الشيخ أبي محمد مكيّ تسلّط،

---

(١) معجم الأدباء ١٩/١٦٨ وما بعدها. (٢) معرفة القراء الكبار ١/٣١٧.

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٦٩. (٤) معجم الأدباء ١٩/١٦٧.

كان يدنو منه إذا خطب، فيغمزه، ويحصي عليه سقطاته، فكان الشيخ كثيراً ما يتلعثم ويتوقف، فجاء ذلك الرجل في بعض الجمع، وجعل يُحدّ النظر إلى الشيخ ويغمزه، فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقْرِىء فيه قال لنا: أمّنوا على دعائي ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه، اكفنيه فأمّنّا، قال: فأقْعِد ذلك الرجل، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم[(١)].

ومن أخلاق مكيّ أنه مشهور بالالتزام بالشرع، والبعد عن الخرافات التي تنتشر بين العامة، بل كان يهجو من يتصف بهذه الصفات التي لا تتفق مع العقل والشرع؛ ففي هامش «الإنباه» نقلاً عن ابن مكتوم قال: «أنشدني له شيخنا الحافظ البارع أبو حيّان، وقد أنشده له أيضاً أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد السلام الأنصاري المعروف بابن شق الليل:

قل لمن يبغي المراء والجدلا ... في البراهين وذكر البدلا
وحكايات الأحاديث التي ... تورث العجز، وتبدي الكسلا
ويَكُ دع عنك الخرافات ولا ... تكثر المزح أخي والهزَلا
هل يجوز الجهل عند العلما ... أم يجوز الحمق عند العقلا
أين من يمشي على الماء ولم ... تخش منه قدماه البللا
أو يَلُتّ الرمل بالماء فإن ... شاء زُبْداً ردّه أو عَسَلا

وهي قصيدة طويلة نكتفي منها بما ذكرنا[(٢)].

٦ ـ مؤلفاته:

مؤلفات مكيّ كثيرة ومتعدّدة بلغت ثمانين مؤلفاً كما ذكر الذهبي وهي في فنون مختلفة، في التفسير، في الفقه، في اللغة، في القراءات.

على أن مكيّ اشتهر بصفة خاصة بالعلوم القرآنية التي برّز فيها، وعاش في محرابها بروحه وقلبه، ومشاعره ووجدانه.

---

(١) إنباه الرواة ٣/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) انظرها في الإنباه ٣/ ٣١٩.

أ ـ أشهر مؤلفاته القرآنية:

١ ـ كتاب: «الهداية إلى بلوغ النهاية» وصفه ابن حزم الفقيه المشهور بقوله:

«أما القرآن، فمن أجلّ ما صنّف في تفسيره كتاب: الهداية إلى بلوغ النهاية» في نحو عشرة أسفار، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكيّ بن أبي طالب القرطبي»[١].

٢ ـ كتاب التبصرة في القراءات:

وقد حققه الدكتور محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربيّة بالكويت والهدف من تأليفه هذا الكتاب بينه مكيّ في مقدمته فقال: وقد رغب إلي راغبون في جمع كتاب في أصول القراءة، وذكر ما اختلف فيه المشهورون من القراء، فبادرت إلى ذلك لما رجوت من ثواب الله العظيم في انتفاع دارسيه من أهل القرآن..

إلى أن يقول: فجمعت في هذا الكتاب من أصول ما فرّق في الكتب وقربت البعيد فهمه على الطالب، واعتمدت على حذف التطويل، والإتيان بتمام المعاني مع الاختصار ليكون تبصرة للطالب، وتذكرة للعالم حتى قويت نيّتي في كتاب قد علقت أكثره أعمله لنفسي تذكرة إن شاء الله، أذكر فيه كشف وجوه القراءات، واختيار العلماء في ذلك[٢].

٣ ـ كتاب: الكشف عن وجوه القراءات، وقد مضى ذكره، وتقديم أمثلة تدلّ على منهجه[٣].

٤ ـ «الرّعاية لتجريد القراءة، وتحقيق لفظ التلاوة»: حققه الدكتور أحمد حسن فرحات[٤] ولهذا الكتاب مكانة في نفس مؤلفه، يقول: وما

(١) نفح الطيب ١٧٨/٣. (٢) انظر التبصرة: ٢٦.

(٣) درست هذا الكتاب مخطوطاً قبل أن يحقق، سنة ١٩٧٤، وكتابي أثر القراءات طبع طبعة أولى ١٩٦٩ نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

(٤) طبع دار عمّار بالأردن.

علمتُ أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألفاظها ومعانيها.

وبدت فكرة هذا الكتاب في نفس مؤلفه، ولكنه ترك السّير فيه لأنه «لم يجد معيناً فيه من مؤلف سبقه بمثله على حدّ تعبيره، يقول: «ثمّ قوّى الله النيّة، وحدّد البصيرة في إتمامه بعد نحوٍ من ثلاثين سنة، فسهلّ الله تعالى أمره، ويسَّر جمعه وأعان على تأليفه، وعسى أن يكون ذلك سبباً لأجر، وسُلّماً لذخر، جعله الله لوجهه خالصاً»[1].

وقد أجمل صاحب الإنباه مؤلفات مكي، وساقها باختصار، وهي زيادة على ما تقدم كما يلي:

٥ ـ منتخب الحجة لأبي علي الفارسي، ثلاثون جزءاً.

٦ ـ الموجز في القراءات: جزءان.

٧ ـ المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء.

٨ ـ اختصار أحكام القرآن، أربعة أجزاء.

٩ ـ كتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، جزء.

١٠ ـ كتاب التنبيه على أصول قراءة نافع، وذكر الاختلاف فيه جزءان.

١١ ـ كتاب الانتصاف فيما روي على أبي بكر الأدفويّ، وزعم أنه غلط فيه في كتاب الإبانة ثلاثة أجزاء.

١٢ ـ كتاب الرسالة إلى أصحاب الأنطاكيّ في تصحيح المد لورش، جزءان.

١٣ ـ كتاب الإبانة عن معاني القراءة، جزء.

١٤ ـ كتاب انتخاب كتاب الجرجاني في نظم القرآن، وإصلاح غلطه، أربعة أجزاء.

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة: ٥٢.

١٥ ـ كتاب الوقف على كلا، وبل في القرآن، جزءان.

١٦ ـ كتاب الاختلاف في عدد الأعشار، جزء واحد.

١٧ ـ كتاب الاختلاف بين قالون وابن كثير، جزء.

١٨ ـ كتاب الاختلاف بين قالون وابن عامر، جزء.

١٩ ـ كتاب الاختلاف بين قالون وعاصم، جزء.

٢٠ ـ كتاب الاختلاف بين قالون والكسائي، جزء.

٢١ ـ كتاب الاختلاف بين قالون وحمزة، جزء.

٢٢ ـ كتاب التبيان في اختلاف قالون وورش، جزء.

٢٣ ـ كتاب شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم، جزء.

٢٤ ـ كتاب شرح الفرق لحمزة وهشام.

٢٥ ـ كتاب الياء المشدّدة في القرآن الكريم جزء.

٢٦ ـ كتاب بيان إعجاز القرآن.

٢٧ ـ كتاب فيه أصول الظاء في القرآن والكلام، وذكر مواضعها في القرآن.

٢٨ ـ كتاب شرح مشكل غريب القرآن، ثلاثة أجزاء.

٢٩ ـ كتاب الراءات على قراءة ورش وغيره.

٣٠ ـ كتاب اتفاق القراء، جزء.

٣١ ـ كتاب اختلاف القراء في ياءات الإضافة، وفي الزوائد.

٣٢ ـ كتاب اختصار الوقف على كلا، وبلى، ونعم، جزء.

٣٣ ـ كتاب التذكرة لاختلاف القراء السبعة، جزء.

٣٤ ـ كتاب قِسْمة، الأحزاب، جزء.

٣٥ ـ التهجّد في القرآن، أربعة أجزاء.

٣٦ ـ كتاب دعاء خاتمة القرآن.

٣٧ ـ كتاب إصلاح ما أغفله ابن مسرّة من قراءات شاذّة، جزء.

٣٨ ـ كتاب وجوه كشف اللبس التي لبّس بها أصحاب الأنطاكي في المد لورش.

٣٩ ـ كتاب فرش الحروف المدغمة، جزءان.

٤٠ ـ كتاب شرح التمام والوقف، أربعة أجزاء.

٤١ ـ كتاب تفسير مشكل المعاني والتفسير، خمسة عشر جزءاً.

٤٢ ـ كتاب علل هجاء المصاحف، جزءان.

٢٣ ـ كتاب تحميد القرآن وتهليله وتسبيحه.

هذه مجمل المؤلفات القرآنية لمكيّ، وهي مؤلفات كثيرة كما رأينا خدم فيها القرآن الكريم ولغته كجندي من جنود الله، يجاهد في محراب القرآن ليقدّم هذا الزاد العظيم، وهذه الثروة الكبيرة من الفكر الإسلاميّ الذي ازدهر على يده، ونما بفضله.

وأمّا المؤلفات الأخرى النحوية واللغوية، والفقهية فهي قليلة بالنسبة للمؤلفات القرآنية، وقد سردها ضمن مؤلفات مكي إنباه الرواة[1].

(١) انظر ثبت تصنيف مكي بن أبي طالب: إنباه الرّواة ٣/ ٣١٥.

٥ ـ العُكبري
مؤلف كتاب: إعراب القراءات الشواذ

١ ـ نسبه: عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبريّ بضم العين وسكون الكاف، وفتح الباء، منسوب إلى «عكبرا»، وهي بلدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ[١].

٢ ـ مولده: ولد ببغداد في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

٣ ـ وفاته: توفي ليلة الأحد من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة. ودفن يوم الأحد بباب حرب[٢].

٤ ـ شيوخه:

قرأ بالروايات على أبي الحسن البطائحي.

وتفقه بالقاضي أبي يعلى الفراء، ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف والأصول.

قرأ العربية على يحيى بن نجاح وابن الخشاب حتى حاز قصب السبق وصار فيها من الرؤساء المتقدّمين.

وسمع الحديث من أبي الفتح بن البطي وأبي زُرعة المقدسيّ وخلقٌ[٣].

٥ ـ مرضه بالجدريّ:

يلقب بالضّرير لأنه أصيب في صباه بالجُدري، فكان إذا أراد

---

(١) إنباه الرواة ٢/١١٦.

(٢) السابق ١١٧.

(٣) البغية ٢/٣٨، ٣٩.

التصنيف أحضرت له مصنّفات ذلك الفن، وقرئت عليه، فإذا حصل ما يريده في خاطره أملاه، وكان لا تمضي عليه ساعة من ليل أو نهار إلا في العلم[1]. ويزيد القفطيّ خبراً آخر في مجال تحصيله العلم فيقول: «كان يخلّ بكثير من المحتاج إليه، وما أحسن ما وصفه بعض الأدباء فقال: «أبو البقاء تلميذ تلاميذه» أي هو تبع لهم فيما يلقونه عليه من القراءة عند الجمع من كلام المتقدّمين[2].

٦ ـ صفاته وأخلاقه:

وصفه السيوطي في «البغية» بقوله: «كان ثقة صدوقاً، غزير الفضل، كامل الأوصاف، كثير المحفوظ، ديّناً، حسن الأخلاق، متواضعاً».

٧ ـ مصنفاته:

مصنفاته متعددة، مختلف ألوانها، ومما يجدر ذكره أنه ليس كمكي الذي قصر همه على المؤلفات التي لها علاقة بالقرآن الكريم، وبعض مصنفات أخرى تعدّ قليلة بالنسبة لهذا الكم الهائل من الدراسات القرآنية التي عددناها فيما سبق.

وأمّا صاحبنا العكبري فليس له من المؤلفات الكثيرة إلا إعراب القرآن الكريم، وكتاب إعراب القراءات الشوّاذ الذي بينا منهجه فيما مضى، أما كتاب إعراب القرآن فهو موسوم بهذا العنوان: «إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات» واشتهر في كتب التراجم بإعراب القرآن.

وإعراب القرآن طبع أول مرة بتصحيح الأستاذ إبراهيم عطوة عوض ١٩٦١ م طبع مصطفى الحلبي.

هدفه من تصنيف إعراب القرآن:

يقول في مقدمة كتابه: «إن أولى ما عني به باغي العلم بمراعاته،

---

(١) السابق.

(٢) إنباه الروّاة ٢/١١٨.

(٣) البغية ٢/٣٩.

وأحقّ ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، وحاكماً عليها وَلِهاً فيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك هو القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجز الباقي على الأبد، والمودع أسرار المعاني التي لا تنفد، وحبل الله المتين، وحجته على الخلق أجمعين».

وبعد أن بيّن أن أهم ما يشغل بال الدارس للقرآن الكريم أن يقف على معرفة إعرابه، واشتقاق مقاصده قدم لنا الهدف من تأليفه كتابه فيقول:

«والكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جداً، مختلفة ترتيباً وحدّاً، فمنها المختصر حجماً وعلماً، ومنها المطوّل بكثرة إعراب الظواهر، وخلط الإعراب بالمعاني، وقلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدتها على ما وصفت أحببت أن أملي كتاباً يصغر حجمه، ويكثر علمه، أقتصر فيه على ذكر الإعراب، ووجوه القراءات فأتيت به على ذلك، والله أسأل أن يوفقني فيه لإصابة الصواب»[١].

ومن مصنفاته الأخرى كما ذكرها صاحب الإنباه هي:

كتاب شرح الإيضاح.

كتاب شرح اللمّع.

كتاب اللباب في علل النحو.

كتاب شرح المفصّل، لطيف.

كتاب إعراب شعر الحماسة.

كتاب شرح المتنبي.

كتاب إعراب الحديث. لطيف[٢].

---

(١) مقدمة إعراب القرآن للكعبري.

(٢) الإنباه ٢/١١٧.

٨ ـ شعره:

كان العكبري شاعراً، ومن شعره فيما قاله في الوزير ناصر بن مهدي العلويّ:

بك أضحى جيد الزّمان محلىّ ... بعد أن كان من حُلاه مُخلّى
لا يجاريك في نِجارَيْك خلق ... أنت أعلى قدراً وأعلى محلاّ
دُمت تحيي ما قد أميت من الفضل، وتنفي فقراً وتطرد مَحْلا[1]

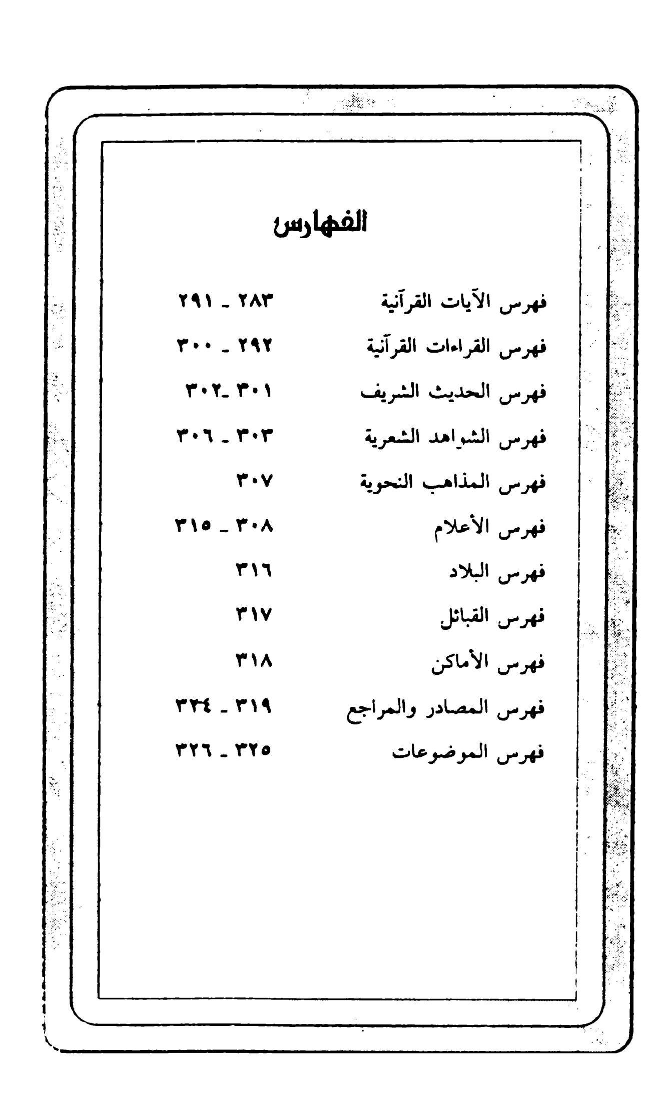
وبعد، فلعل إضافة هذا الفصل إلى كتابي «أثر القراءات» يلقي الضوء على هؤلاء الأعلام الذين شغلوا أنفسهم، في بيان وجوه القراءات، والترجمة الذاتية للأعلام علاقتها وطيدة بأفكارهم، وبيان مذاهبهم وطريقة استدلالهم، ومقدار علومهم. والله الموفق.

انتهى بحمد الله بـ «مدينة الكويت»

في ٢٨ من ذي الحجة ١٤١٣ ـ ١٨ من يونيو ١٩٩٣

---

(١) السابق ١١٨.



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

آل عمران

النّساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

هود

يوسف

الرعد

فهرس القراءات القرآنية

﴿والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما بنصب «السارق» و «السارقة»	٣٨	١٤٠
﴿من يرتد منكم عن دينه﴾ بفك الإدغام	٥٤	٤٠

الأنعام

﴿وكذلك زُيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾	١٣٧	١٢٦
﴿آزرُ﴾ بضم الراء	٧٤	٢٣٠
﴿والملائكة باسطوا أيديهم يقولون أخرجوا﴾	٩٣	١١٤
﴿وما يشعركم إنّها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ بكسر همزة «إنّها»	١٠٩	١٦٩
﴿يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ بكسر الراء	١٢٥	٣٩
﴿وكذلك زَيّن لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركائهم﴾ بضم الزاي من زّين	١٣٧	١٤ ، ١٧١
﴿تماماً على الذي أحسن﴾ بضم الهمزة وكسر السّين	١٥٤	٢٣٠
﴿لا تنفع نعساً إيمانها﴾ بالتاء	١٥٨	١٦٥

الأعراف

﴿ولكم فيها معائش﴾	١٠	١٣٦ ـ ١٧٤
﴿وباطلاً ما كانوا يعملون﴾	١٣٩	١٦٧
﴿وإن يروا سبيل الرَّشَد﴾ بفتح الراء والشين	١٤٦	٤١
﴿إنْ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم﴾	١٩٤	١١٥ ـ ١٦٠
﴿وإذا طاف طائف من الشيطان تأملوا﴾	٢٠١	٨٨

الأنفال

﴿وعلم أن فيكم ضُعفاً﴾ بضم الضاد	٦٦	٤١

التوبة

﴿الّذين اتبعوهم بإحسان﴾ بدون واو	١٠٠	٧٠
﴿على تقوىً من الله﴾ بالتنوين	١٠٩	٢٠٦

يونس

﴿فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم﴾	٧١	١٥٦

هود

﴿وإنْ كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ بتخفيف النون	١١	١٠٩
﴿وجاءه قومه يَهْرعون إليه﴾ بفتح الياء	٧٨	٩٠

يوسف

الرعد

الحجر

النحل

الإسراء

الكهف

مريم

الضُّحى

﴿ما وَدَعك ربك وما قلى﴾ بتخفيف الدال	٣	١٥٧

الشرح

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ بفتح الحاء	١	١٦٣

القارعة

﴿كالصوف المنفوش﴾	٥	٨٩ ٢٤

المسد

﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ بنصب «حمالة»	٤	١٧١

فهرس الحديث الشريف

فهرس الشواهد الشعرية

أنصاف الأبيات

مذاهب نحوية

فهرس الأعلام

فهرس البلاد

فهرس القبائل

فهرس الأماكن

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

١ ـ إتحاف فضلاء البشر للشيخ أحمد بن محمد البنا رقم ٧٣ ـ قراءات ـ دار الكتب المصرية.

٢ ـ إعراب القراءات الشواذ للعكبري رقم ١١٩٩ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

٣ ـ إعراب القراءات لابن الأنباري رقم ٦٤٤ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

٤ ـ إعراب القراءات المنسوب إلى الزجاج رقم ٥٢٨ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

٥ ـ إعراب القرآن للسفاقسي رقم ٢٢٢ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

٦ ـ إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس رقم ٤٨ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

٧ ـ أمالي ابن الحاجب النحوية رقم ١٠٣٤ ـ نحو ـ دار الكتب المصرية.

٨ ـ تفسير مشكل إعراب القرآن لمكيّ بن أبي طالب رقم ٢٣٢ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

٩ ـ لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين القسطلاني ـ قراءات ـ دار الكتب المصرية.

١٠ ـ ما تفرّد به بعض أئمة اللغة للصاغاني رقم ٤١٨ ـ لغة ـ دار الكتب المصرية.

١١ ـ معاني القرآن للزجاج ـ رقم ١١١ ـ تفسير ـ دار الكتب المصرية.

ثانياً: المطبوعات:

١٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي، مطبعة مصر بالفجالة.

١٣ - الإتقان للسيوطي مطبعة الحلبي - طبعة ثالثة.
١٤ - أدب مصر الإسلامية للدكتور محمد كامل حسين - مطبعة الوفد - القاهرة.
١٥ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الجزري طبع ١٢٨٦ هـ.
١٦ - الأشباه والنظائر للسيوطي تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ٩ أجزاء مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٧ - إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر طبع دار المعارف.
١٨ - أصول النحو لسعيد الأفغاني - مطبعة الجامعة السورية طبعة ثانية.
١٩ - إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي - مطبعة الاستقامة طبعة سادسة.
٢٠ - إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه - مطبعة دار الكتب المصرية.
٢١ - الأمالي لأبي القاسم الزجاجي - مطبعة السعادة.
٢٢ - إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري - مطبعة الحلبي.
٢٣ - إنباه الرواة للقفطي تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل - مطبعة دار الكتب.
٢٤ - الانتصاف لأحمد بن المنير - مطبعة الاستقامة، طبعة ثانية.
٢٥ - الإنصاف لابن الأنباري تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - طبعة رابعة.
٢٦ - البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي - مطبعة السعادة طبعة أولى.
٢٧ - البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل - مطبعة عيسى الحلبي.
٢٨ - بغية الوعاة للسيوطي مطبعة عيسى الحلبي.
٢٩ - البيان والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ثانية.
٣٠ - تاج العروس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - المطبعة الوهبية.
٣١ - تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
٣٢ - تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٣٣ - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد بن طاهر بن عبد القادر الكردي مطبعة مصطفى الحلبي - طبعة ثانية.

٣٤ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب العربية.
٣٥ ـ التصحيف والتحريف لأحمد العسكري ـ مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٦ هـ.
٣٦ ـ تفسير الألوسي ـ إدارة الطباعة المنيرية.
٣٧ ـ تفسر الطبري ـ المطبعة اليمنية.
٣٨ ـ التيّسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه أوتوبرتزل.
٣٩ ـ الحجة لابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم خمس طبعات ـ دار الشروق ـ مؤسسة الرسالة.
٤٠ ـ الحجة لابن علي الفارسي ـ تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي وآخرين ـ دار الكاتب العربي.
٤١ ـ الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ـ للدكتور عبد العال سالم مكرم ـ مؤسسة الرسالة بيروت.
٤٢ ـ خزانة الأدب للبغدادي ـ المطبعة الأميرية ـ الطبعة الأولى.
٤٣ ـ الخصائص لابن جني ـ طبع دار الكتب المصرية.
٤٤ ـ الدرر اللوامع على همع الهوامع تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٤٥ ـ درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ـ مطبعة الجوائب ـ طبعة أولى.
٤٦ ـ ديوان ذي الرمة ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ طبعة ثانية.
٤٧ ـ ديوان الفرزدق ـ مطبعة الصاوي.
٤٨ ـ ديوان النابغة. . من مجموعة خمسة دواوين ـ المطبعة الوهبية.
٤٩ ـ رسالة الغفران ـ تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ دار المعارف بمصر.
٥٠ ـ سيبويه والقراءات للدكتور أحمد مكي الأنصاري ـ دار المعارف بمصر.
٥١ ـ شرح الجاربردي على الشافية.
٥٢ ـ شرح شذور الذهب لابن هشام ـ مطبعة مصطفى محمد.
٥٣ ـ شرح شواهد العيني ـ هامش الأشموني.
٥٤ ـ شرح ابن عقيل ـ المطبعة الرحمانية.
٥٥ ـ شرح ابن القاصح على الشاطبية ـ المطبعة الأزهرية.

٥٦ ـ شرح المفصل لابن يعيش ـ إدارة الطباعة المنيرية.
٥٧ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك تحقيق فؤاد عبد الباقي ـ نشر دار العروبة.
٥٨ ـ شواهد المغني للسيوطي ـ المطبعة البهية بمصر.
٥٩ ـ صبح الأعشى لأبي العباس أحمد القلقشندي ـ طبع دار الكتب المصرية.
٦٠ ـ صحيح البخاري ـ المطبعة الأميرية.
٦١ ـ الصاحبي لأحمد بن فارس ـ مطبعة المؤيد.
٦٢ ـ الصديق أبو بكر للدكتور محمد حسين هيكل ـ مكتبة النهضة المصرية.
٦٣ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد تصحيح أدوارد سخو ـ مطبعة ليدن ١٣٣٢ هـ.
٦٤ ـ الطراز ليحيى بن حمزة العلوي ـ مطبعة المقتطف بمصر ١٩٢٤.
٦٥ ـ العربية ليوهان فك ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار.
٦٦ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري عني بنشره ج ـ برحستراسر.
٦٧ ـ غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي ـ هامش سراج القارىء، طبع مصطفى الحلبي.
٦٨ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني ـ المطبعة البهية بمصر.
٦٩ ـ فقه الشيعة الإمامية للدكتور علي السالوسي ـ مكتبة ابن تيمية ـ الكويت.
٧٠ ـ فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي ـ مطبعة لجنة البيان العربي.
٧١ ـ فلسفة اللغة العربية وتطورها لجبر ضومط ـ مطبعة المقتطف.
٧٢ ـ الفهرست لابن النديم ـ مطبعة الاستقامة.
٧٣ ـ في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ـ دار المعارف بمصر.
٧٤ ـ القراءات واللهجات للدكتور عبد الوهاب حمودة ـ مطبعة السعادة.
٧٥ ـ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم. دار المعارف بمصر ـ طبعة أولى ـ مؤسسة الصباح الكويت ـ طبعة ثانية ـ المكتبة الأزهرية للتراث طبعة ثالثة ١٩٩٥.
٧٦ ـ الكامل في اللغة والأدب ـ تحقيق الدكتور زكي مبارك.
٧٧ ـ الكتاب لسيبويه المطبعة الأميرية.
٧٨ ـ الكشاف للزمخشري ـ مطبعة الاستقامة.
٧٩ ـ الكلمات الحسان في الحروف السبعة للشيخ محمد بخيت المطيعي ـ المطبعة الخيرية.

٨٠ ـ لسان العرب ـ عدة طبعات.
٨١ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني تحقيق. الشيخ عامر السيد عثمان ـ والدكتور عبد الصبور شاهين ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
٨٢ ـ اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ـ مطبعة الرسالة.
٨٣ ـ مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ـ مطبعة الجامعة السورية.
٨٤ ـ المثل السائر لضياء الدين المعروف بابن الأثير.
٨٥ ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة ـ تحقيق محمد فؤاد سزكين.
٨٦ ـ مجلة الأزهر ـ مشيخة الأزهر.
٨٧ ـ مجلة المجمع اللغوي بمصر.
٨٨ ـ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للشيخ محمد الخضري.
٨٩ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني تحقيق الأستاذين علي النجدي ـ عبد الفتاح شلبي.
٩٠ ـ مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب ـ مطبعة كردستان العلمية.
٩١ ـ مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار.
٩٢ ـ المزهر لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل وآخرين.
٩٣ ـ المصاحف لأبي داود ـ تحقيق الدكتور أرثر جفري ـ المطبعة الرحمانية.
٩٤ ـ معاني القرآن للفراء ـ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ـ ومحمد علي النجار ـ طبع دار الكتب المصرية.
٩٥ ـ معجم الأدباء لياقوت ـ مطبعة الحلبي.
٩٦ ـ معرفة القراء الكبار للذهبي، تحقيق محمد سيد جاد ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.
٩٧ ـ مفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي ـ المطبعة الخيرية.
٩٨ ـ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ـ طبع دائرة المعارف النظامية بالهند.
٩٩ ـ مقدمتان في علوم القرآن ـ تحقيق أرثر جفري ـ مطبعة السنة المحمدية.
١٠٠ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ مطبعة الحلبي.

١٠١ -الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي جعفر النحاس - مطبعة السعادة.
١٠٢ - نزهة الألبا لعبد الرحمن بن محمد الأنباري طبع ١٩٢٤.
١٠٣ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري - طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠٤ - همع الهوامع للسيوطي - تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم في سبعة أجزاء. مؤسسة الرسالة - بيروت، والجزء الأول منه بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون.
١٠٥ - وفيات الأعيان لابن خلكان طبع ١٣١٠.

فهرس الموضوعات

كتب أخرى للمؤلف

أولاً: المؤلفات:

أ- دراسات قرآنية:

١- معجم القراءات القرآنية بالاشتراك - تسعة أجزاء.
نشر جامعة الكويت - طبعة أولى ١٩٨٢ - طبعة ثانية ١٩٨٨ - طبعة ثالثة: عالم الكتب ١٩٩٧ - طبعة مفهرسة.

٢- القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية:
طبعة أولى: دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨ - طبعة ثانية: مؤسسة الصباح بالكويت ١٩٧٨م - طبعة ثالثة: المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ١٩٩٦ م.

٣- القراءات القرآنية وأثرها فى الدراسات النحوية:
طبعة أولى: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - طبعة ثانية: مؤسسة الصباح بالكويت - طبعة ثالثة: دار الرسالة - بيروت ١٩٩٦ م.

٤- قضايا قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية - دار الرسالة - بيروت.

٥- من الدراسات القرآنية - عالم الكتب - القاهرة

٦- اللغة العربية فى رحاب القرآن الكريم - عالم الكتب - طبعة أولى ١٩٩٥م.

٧- غريب القرآن الكريم فى عصر الرسول والصحابة والتابعين - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٦ م.

٨- الكلمات الإسلامية فى الحقل القرآنى - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٦م.

٩- المشترك اللفظى فى ضوء غريب القرآن الكريم - طبعة أولى: جامعة الكويت ١٩٩٤ - طبعة ثانية: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٦.

١٠ - الترادف فى ضوء غريب القرآن الكريم - تحت الطبع - مؤسسة الرسالة - بيروت.

ب- دراسات إسلامية:

١١- الفكر الإسلامى بين العقل والوحى - طبعة أولى: دار الشروق بيروت والقاهرة - طبعة ثانية: مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٢- أثر العقيدة فى بناء الفرد والمجتمع - دار الرسالة - بيروت.

ج- دراسات نحوية ولغوية:

١٣- المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة - طبعة أولى: دار الشروق - بيروت والقاهرة - طبعة ثانية : مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٤- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي - طبعة أولى: مؤسسة الوحدة للنشر - الكويت - طبعة ثانية مزيدة ومنقحة: دار الرسالة - بيروت.

١٥- شواهد سيبويه من المعلقات في ميزان النقد - دار الرسالة - بيروت.

١٦- التعريب في التراث اللغوى: مقاييسه وعلاماته - طبعة أولى: ذات السلاسل بالكويت - طبعة ثانية: عالم الكتب بالقاهرة.

١٧- ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للعربية قبل الإسلام - دار الرسالة - بيروت.

١٨- جلال الدين السّيوطي وأثره في الدراسات اللغوية - دار الرسالة - بيروت.

١٩- تطبيقات نحوية وبلاغية: أربعة مجلدات - دار البحوث العلمية بالكويت، وعدة طبعات بمؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٠- تدريبات نحوية ولغوية في ظلال النصوص القرآنية - مؤسسة الرسالة - بيروت - عدة طبعات.

●●●

ثانيا: التحقيق:

٢١- تحقيق همع الهوامع لجلال الدين السيوطي - سبعة مجلدات - نشر دار البحوث العلمية بالكويت - ومؤسسة الرسالة - بيروت - عدة طبعات.

٢٢- تحقيق الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي - تسعة مجلدات - دار الرسالة - بيروت.

٢٣- تحقيق الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي - سبعة مجلدات - مؤسسة الرسالة - بيروت - عدة طبعات.

٢٤- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: أربع طبعات بدار الشروق - بيروت والقاهرة، وطبعة خامسة: دار الرسالة - بيروت.

٢٥- شرح تصريف العزّى لسعود بن عمر التفتازاني - طبعة أولى: ذات السلاسل بالكويت - طبعة ثانية ١٩٩٧: المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة.

٢٦- الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي - تحقيق ودراسة - سبعة أجزاء: عالم الكتب - القاهرة.